@ketab_n
Follow Me
22.4.2016

صيف بارد جدا

تأليف: روي ياكوبسن
ترجمة: عمرو محمود السيد

العربي للنشر والتوزيع

صيف بارد جداً

(أدب نرويجي معاصر)

تأليف: روي ياكوبسن

ترجمة: عمرو محمود السيد

2013

Twitter: @ketab_n

60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة
ت: 27921943 - 27954529 / فاكس: 27947566
sheriffbakr@yahoo.com

صيف بارد جداً

تأليف: روي ياكوبسن

ترجمة: عمرو محمود السيد

مراجعة: هدي عبد الرحمن النمر

الطبعة الأولى 2013

رقم الإيداع 2012/20795

ISBN: 978-977-319-165-8

© جميع حقوق النشر محفوظة للناشر

"This translation has been published with the financial support of NORLA".

Vidunderbarn. Copyright © CAPPELEN DAMM AS 2009

Twitter: @ketab_n

لماذا هذه الرواية ؟

وجدت كقاريء وناشر نقصاً كبيراً في سوق النشر العربي بشكل عام والمصري بشكل خاص في المتاح من الترجمات عن الأدب العالمي. فالموجود ليس بالكافي، وهو دائماً أما كتب كلاسيكية من روائع الأدب العالمي أو كتب حاصلة على جوائز أو مختارة من على القوائم الأكثر مبيعاً. في حين أن هناك كثير من الأدب المعاصر يستحق إلقاء الضوء عليه. ولكن الأمر لا يخلو من المشاكل بدءاً من صعوبة البحث عنه والحصول عليه والتفاوض بشأن حقوق النشر والترجمة، وترجمتة ومراجعة الترجمة وتحريرها، انتهاءاً بمحاولة تسويقه وإقناع المكتبات والقارىء بالآفاق الجديدة المطروحة للاستكشاف عبر الترجمة.

فانصب بحثي على **الأدب المعاصر من "أغرب" مناطق العالم** كما أحب أن أصفه، وأنا متأكد من وجود تشابه بين الحياة اليومية للأسرة المصرية وأسرة من التشيك وأن قصة حب في اسطنبول لا تختلف كثيراً في مشاكلها عن قصة حب في الاسكندرية وان العلاقة بين ام وابنها فيهما الكثير من الأشياء المشتركة سواءا كانت في مصر أو في النرويج، كما نراه في هذه الرواية.

ومن هنا كان اختياري لرواية صيف بارد جداً للكاتب روي ياكوبسون لما تحمله من مشاعر إنسانية متنوعة متضاربة تربط بين إبن ووالدته فى غياب الأب، إلى أن ظهرت فجأة فى حياتهما طفلة صغيرة تحمل شنطة سفر زرقاء كبيرة وتعيش مع الأسرة باعتبارها أخت غير شقيقة لهذا الولد. ومن هنا تبدأ الأحداث. زاوية الرؤية التي اختارها ياكوبسون تنطلق من عين الطفلة وتفرض مقاييسها.

Twitter: @ketab_n

حققت رواية صيف بارد جداً "Vidunderbarn" أو "Child Wonder" (في الترجمة الانجليزية) أعلى نسبة مبيعات فى النرويج عام 2009. وباعت أكثر من" مائة وخمسون ألف نسخة" في النرويج وحدها. تم ترجمتها إلى 24 لغة حتى الأن. وحصلت الرواية على جائزة "Bookseller's Award" فى النرويج. ورُشِّحَتْ لجائزة "Brage" النروجية، أهم الجوائز الأدبية فى النرويج، وتضمّنتها كذلك القائمة القصيرة لجائزة "IMPAC" الدولية فى دبلن وهى من أرقى الجوائز العالمية حيث يخضع التحكيم لتصويت أمناء المكتبات الممثلين لـ 120 مدينة مختارة من 44 دولة.

روي ياكوبسون من مواليد 1954. وقد صدرت أولى رواياتة عام 1982 بعنوان "سجن الحياة". وهو يُعْتَبَر من أشهر الكتاب المؤثرين فى الأدب النورويجى المعاصر. تعدّ حصيلة أعماله حتى الآن أربع مجموعات قصصية قصيرة إلى جانب إحدى عشر رواية وقصة للأطفال وسيرة ذاتية.

تميز ياكوبسون بأسلوبه السهل والمتعمق في آن واحد. فهو يغوص فى أعماق الشخصية ومشاعرها وأحاسيسها المضطربة ويخرجها لنا بصورة واضحة وبريشة الفنان الموهوب لشخصيات رواياتة التي غالبا ما تكون من خلفيات اجتماعية متعددة، إلى جانب مهارتة ككاتب فى الربط بين تلك الشخصيات المعبرة عن المجتمع النرويجى إلى حدّ كبير. وقد ساعد ياكوبسون فى تنمية مهاراتة الروائية ما راكمه من تجربة في أشغال وحرف بسيطة انغمس بها في مجتمعه النرويجى. تميزت روايات ياكبسون بالأحداث المتلاحقة السريعة التى لاتشعر معها كقارىء بالملل.

الناشر

Twitter: @ketab_n

1

كانت البداية حين اضطررت أنا وأمي للقيام ببعض أعمال التزيين. قمت أنا بطلاء الجزء السفلي من الحائط لأنني قصير القامة. أخذت أناضل كي أتم مهمتي، بينما وقفت هي على كرسي المطبخ وركزت على الجزء الصغير الذي يلي السقف. قضينا أياماً عديدة من أجل طلاء حائط واحد. حتى جاءت السيدة سيفرسن في مساء أحد الأيام وعاينت عملنا. وقفت عاقدة ساعديها أمام صدرها العريض، وقالت:

- لماذا لا تجربي ورق الحائط يا "جيرد"؟

- ورق الحائط؟

- نعم، تعالي معي.

ذهبنا مع السيدة سيفرسن التي كانت تعيش في الناحية الأخرى من الممر، والتي لم يسبق لي أن ذهبت إلى منزلها من قبل على الرغم من أننا كنا نعيش في منزلين متقابلين لسنوات. هناك تعيش آن بيريت، وهي فتاة في سني تدرس في فصل مواز لفصلي، ولها أختان توءم في سن السادسة يتردد اسماهما كلما أشارت أمي إلى شيء فعلته وأزعجها.

تفتتح أمي قصائد التأنيب دائما بأن تقول "أنظر إلى ريدان ومنى". أو تشير إلى آن بيريت، التي – وفقا للسيدة سيفرسن – تعتبر البقاء في المنزل حيث سريرها وطعامها أكثر متعة من الخروج إلى الشارع، حيث الحياة في بوتقة البناء بكل ما فيها من مجموعات هائلة من الألواح

Twitter: @ketab_n

وحجارة البناء وبلاط الأسطح الملقى بين المباني السكنية، وما خلف هذه المباني من حقول مغطاة بالحشائش ومفروشة بجذوع وسيقان الأشجار والجداول المنسابة والأشجار الخفيضة متشابكة الفروع التي تخفي الطرق الموحلة عن العيون، والتي يمكنك أن توقد بها النار كذلك، وتبني أكواخا بطابقين، وتستغلها في أشياء أخرى كثيرة، قامت لأجلها الحروب بين العظماء ومن لا يقهرون .

صروح ربما سويت بالأرض بين لحظة وأخرى وأعيد بناؤها في اليوم التالي، لكن لم يبنها يوما من هدمها، فمن يبنون يختلفون عمن يهدمون. وأنا أقول هذا لأنني كنت بنّاء على الرغم من أنني كنت صغيرا . كثيرا ما ذرفت الدموع عندما عرفت أن قلاعنا دمرت، واستمعت للأحاديث التي تدور حول القصاص والانتقام المخيف، لكن الأوغاد ليس لديهم ما يخسرونه، ما عدا مزاجهم الرائق وابتساماتهم المتكلفة. كانت الحياة تمتليء بإشارات تدلل على الانقسام بين من لديهم ما يخسرونه ومن ليس لديهم شيءٌ كي يخسروه ولا خطط على الإطلاق.

لم يكن لدى هذا العالم ما يقدمه لآن بيريت وأختيها، فهن لم يبنين أو يدمرن. كن يجلسن فقط حول طاولة المطبخ طوال اليوم. في تلك المرة كن يتناولن العشاء، وكان السيد سيفرسن حاضراً. بدا نصفه العلوي من فوق الطاولة وعليه سترة مثقبة ولها أحزمة تتدلى على فخذيه الضخمتين اللتين كتمتا على أنفاس الكرسي النحيل.

Twitter: @ketab_n

على جدران غرفة المعيشة الخاصة بعائلة سيفرسن، رأينا للمرة الأولى ورق الحائط ذا الورود الكبيرة الذي حول بيوت الطبقة النرويجية الكادحة في الستينات إلى ما يشبه غابات استوائية صغيرة. وشاهدنا أرفف الكتب الخفيفة المصنوعة من خشب الساج، والمثبتة بدعامات نحاسية أنيقة بين صفوف الورود، وفي ركن الغرفة وُضِعت كنبة مخططة بالألوان البني والبيج والأبيض، تتسلل إليها الإضاءة من لمبات صغيرة غير مرئية، مثبتة تحت الأرفف كما لو كانت نجوما لامعة.

لاحظت النظرة الزائغة في عيني أمي، والحماس المبدئي الذي قد يستمر ثلاث ثواني أو أربعة، قبل أن يظهر عليها التردد المعتاد وينتهي بدوره بتعبير واقعي عقلي: "لا، لا يمكننا تحمل تكلفة هذا"، أو "هذا لا يناسبنا" إلى آخر تلك العبارات. وكان هناك الكثير من "هذا لا يناسبنا" في هذا الوقت بالنسبة لي ولأمي، لأنها كانت تعمل نصف دوام فقط في محل الأحذية الموجود في مقاطعة فاترلاند بأوسلو، حتى تتمكن من التواجد في المنزل عند عودتي من المدرسة. وبالتالي لم يكن باستطاعتها أن ترسل ابنها إلى رحلة ترفيهية في العطلات، وهو الأمر الذي تذكره في كل مرة ينتهي فيها فصل الربيع. لكنني لم أود الذهاب إلى أي مكان، بل كل ما كنت أريده حقيقة هو المكوث مع أمي في المنزل فحسب، حتى في الصيف. وقد كان هناك كثيرون ممن يمكثون في منازلهم في فصل الصيف، غير أن العادة جرت على أن يتظاهر الناس بأنهم لم يفعلوا هذا، أو على الأقل أن يقولوا إنهم لم يشاؤوا الذهاب إلى أي رحلة في العطلة.

Twitter: @ketab_n

تساءلت أمي قائلة: "أليس هذا مكلفا إلى حد ما؟" وهي كلمة نستخدمها عندما نكون مع الآخرين فقط، أما حين نكون وحدنا نستخدم كلمة "عزيز"، وكنا نعنيها. ردت السيدة سيفرسن وهي قارئة للمجلات السويدية الخاصة بالمرأة، على عكس أمي المتابعة للمجلات النرويجية: "لا، على الإطلاق". ثم أنزلت كومة من المجلات السويدية من فوق رف في هذه الغابة الاستوائية المطيرة، وقلبت فيها حتى وصلت إلى سلعة في مجلة "مالما"، وفي هذه الأثناء استدعت السيد سيفرسن من المطبخ وطلبت منه أن يطلع "جيرد" على الإيصالات.

شاهدت الرجل الضخم وهو يضحك ضحكة خافتة ويقول "حسنا". كان تجسيدا للإرادة وهو يتهادى نحو خزانة الكتب المصنوعة من خشب الساج. سحب درجا لم يكن كبيرا بما يكفي لحفظ أكثر من بطاقة بريدية مصورة. لاحظت تلك الرائحة الغريبة التي تفوح من الرجل المجتهد في عمله وزكمت أنفي. روادتني خاطرة تتردد في بالي دائما، كلما اقترب هذا الرجل الضخم مني: "الحياة بدون أبي ليست سيئة جدا على الرغم من كل شيء". جاءتني هذه الفكرة مع أن السيد سيفرسن كان طيب المزاج وغير مؤذ، كما أنه كان دائما ما يطلق تعليقات مبهجة عن مواضيع لا تهمني. وكانت زوجته هي المسئولة عن تربية الفتيات الثلاث الجالسات في المطبخ واللاتي يقضمن الطعام في صمت بينما يختلسن النظر إلينا.

لفت نظري أن أمي لم تقدر على إبعاد الإيصالات عنها بعباراتها المعتادة. في الحقيقة لم يكن ورق الحائط "مكلفا" جدا، ولم يكن مجلوبا من السويد، بل من محل "أجدا مانوفاتور أوغ ميكلبست" في مركز "أورفول" التجاري الموجود بجوار البنك، والذي نشتري منه الطعام إن لم نذهب إلى متجر "ليان" في "ترافر" أو "أومار هانسن" في شارع "رفستاد"، والذي استأجرت منه

Twitter: @ketab_n

أمي مجمدا. إلى أن أدركنا أنه أصبح "عزيزا" جدا، بل إننا لم نعد نعرف ماذا نفعل به. كانت هذه أيام حائط برلين والرئيس كينيدي، أو على الأغلب كانت أيام يوري جاجارين، الروسي الذي أبهر العالم بأكمله عندما عاد حيا من موت محقق. وكان هذا هو الوقت الذي بلغ فيه سعر السيارة جاجوار مارك تو 49300 كرونا نرويجية، وهي معلومة لا أذكرها هنا للاستطراد، وإنما لأنني رأيت السعر والسيارة في معرض السيارات في استاد "بيريكا تروتنج" ولم أستطع نسيانه. ربما شجعني على عدم نسيان هذه المعلومة معرفتي بأننا دفعنا مقدما لرابطة الإسكان قدره 3200 كرونا، وهذا معناه أن الجاجوار كانت تساوي قيمة ست عشرة شقة، أي عمارة كاملة. أن تكون قيمة إحدى السيارات مساوية لقيمة 76 منزلا لأشخاص من مختلف الأعمار، كما هو حال سكان العمارة رقم ثلاثة، فإن هذه هي الحقيقة التي تصدمك وأنت صغير ولا تتعافى من هذه الصدمة أبدا. فكر في الروائح، فلكل أسرة رائحة مميزة عن روائح الأسر الأخرى ؛ فكر في الوجوه والأصوات، في جوقة الأصوات المتنافرة ؛ أنظر إلى أجسادهم وملابسهم وحركاتهم، وهم يجلسون بأكمام مشمرة يتناولون العشاء، ويتناقشون أو يضحكون أو يبكون أو يجلسون في صمت. ما الذي لدى سيارة الجاجوار مقارنة بهذا؟ مسدس في درج حفظ القفازات؟ فكرت مليا في السيارة، ربما كثيرا جدا في لونها الأخضر الداكن.

استطردت السيدة سيفرسن عندما استشعرت أن الأمور تسير بسلاسة: "لكن كما تعلمين عليك أن تضيفي لذلك ثمن المادة اللاصقة في اعتبارك".

قاطعها السيد سيفرسن: "لا ليس عليك أن تفعلي".

"ماذا قلت يا فرانك؟"ردت السيدة سيفرسن بنبرة حادة، وهي تأخذ الإيصالات منه وتفحصها بارتياب، من خلال نظارتها السوداء السداسية العدسات والتي كان من الصعب العثور عليها بين تماثيل البورسلين اللبنية

Twitter: @ketab_n

ومنافض السجائر المعدنية المستديرة الموضوعة على أرفف. في رأيي كان من المفترض أن تحمل هذه الأرفف كتبا، ألم يكن لدى هذه الأسرة أي كتب؟

هز فرانك كتفيه وابتسم لأمي وهو يربت بيده الثقيلة على كتفي قائلاً:

- "حسناً يا "فين"، أنت الزعيم في المنزل، أليس كذلك؟".

وهو سؤال افترضت أنه جاء تعليقا على الطلاء الأخضر، الموجود على وجهي وأصابعي وشعري. لابد وأن شكلي بدا كرجل يعمل من أجل الحفاظ على حياة شخصين.

انكسر صوت أمي عندها وهي تجيب: "نعم، إنه ماهر جدا. لا أعرف كيف كنت سأتصرف بدونه".

أحببت هذه الجملة جدا، لأنها لم تقلل من شأن أمي. فمع أننا نعيش في بيت متواضع من الخرسانة المسلحة، تعشش في عليته طيور السنونو، بينما جيراننا يجلسون في شُرُفات منازلهم في أوقات فراغهم يشربون القهوة، أو ينحنون ورؤوسهم مندسة تحت أغطية محركات السيارات لساعات، إلا أنني كنت أجيد القراءة والكتابة أكثر من أي شخص آخر، وكان راتب أمي يصل في موعده كل أسبوعين. صحيح أننا لم نتعرض لأي مكروه هنا، إلا أننا كنا كالمحاطين بالمخاطر على الدوام. وكان لدينا شعور دائم بأن الحظ حالفنا فتجنبناها.

غمغمت أمي: "أتدري يا فين؟ إنني لم أعد قوية كما كنت"، وبدا كأنما تفكر في شيء آخر. ثم ألمحت لطلاقها، مع أنني لم أسألها من قبل ولم تقدم لي هي أي تفسير عنه. أعلم أنه كان صدمة لها، وأنه كان بداية سلسلة من الفصول الصغيرة لمأساة مستمرة. ربما يكون هذا عصر يوري

Twitter: @ketab_n

جاجارين، لكنه ليس عصر الطلاق أبدا، بل عصر الزواج، وقد توفي أبي بعد عام واحد من الطلاق – حسبما أخبرتني أمي- نتيجة حادثة في العمل. مات أبي في حادث رافعة في شركة "آكيش ميكانيسكا فيكستا" لبناء السفن. لا يمكنني تذكره، أو تذكر الطلاق، أو حتى الحادثة، غير أن أمي تذكر جيدا، ومع ذلك لن تستطيع الحصول على تفاصيل محددة منها، عن شكله على سبيل المثال، أو الأشياء التي كان يحب القيام بها، أو التي لم يحب القيام بها في وقت فراغه، إن كان لديه وقت فراغ، أو أن تعرف من أين هو، أو الأشياء التي كانا يتحدثان عنها في سنوات السعادة، والتي لابد أنهما عاشاها قبل أن أولد، أو حتى عن صورهما التي تحتفظ بها. خلاصة القول إنه كان ذكرى لابد أن تبقى طي النسيان.

وقعت حادثة أخرى، لها علاقة بمعاش أرملة أبي. ذلك أن أبي قد تزوج بأخرى قبل وفاته، وأنجب طفلة لم أكن أعرف حتى اسمها. لذا فقد كانت هناك أرملة أخرى في مكان ما، تتلقى الأموال التي كان ينبغي أن نحصل عليها أنا وأمي، وتبعثرها في المقامرات، أو على التاكسيات، وتصفيف الشعر.

أخيرا قالت السيدة سيفرسن في استسلام، ملوحة بالإيصالات الخاصة بورق الحائط، والتي لا تذكر شيئا عن المادة اللاصقة: "حسنا، لا تسأليني عنها". استطاعت أمي إنهاء اللقاء بعبارتها البسيطة:"امم، علينا أن ننصرف الآن. شكرا على أن سمحت لنا بإلقاء نظرة، كان هذا لطفاً منك"، وأرسلت للفتيات ابتسامة وداع.

Twitter: @ketab_n

2

في اليوم التالي مباشرة كنا في مركز "أورفول" التجاري نتأمل ورق الحائط، وقد بدا على وجه أمي مزيج من انفعالات شتى. فلم تكن منزعجة فقط من المخاطر التي تحيط بنا هذه المرة، لكنها كانت تفكر أيضاً في أشياء أخرى، مثل أن الطلاء الأخضر الذي أضعنا عليه نقودنا لم يكن مجرد نزوة طائشة، وإنما كان نتيجةَ حسابات عقلية مجهدة بدأت منذ عيد الميلاد الماضي حينما دعانا زوجان مسنان في الطابق الأرضي إلى تناول القهوة والكيك في بيتهما، وهناك وجدنا أن جميع حوائطهما مطلية بلون يختلف عن لون بيتنا، وعرفنا أنهما طليا بيتهما بأنفسهما، وبالطريقة البطيئة... باستخدام فرشاة.

في مناسبة أخرى جاءت أمي لكي تأخذني من بيت أحد أصدقائي، واسمه "إيسي". وقد قام أبوه بنقل الباب المؤدي لأصغر حجرة من غرفة المعيشة إلى الطرقة، حتى يتسنى لأخته ذات الأعوام الستة عشر أن تحظى بمدخل خاص بها من الرواق مباشرة. تبدو كل هذه الملاحظات الآن – بالإضافة إلى الشعور بالرغبة في شراء علب الطلاء الموجودة بالمتجر ذي الجدران الزرقاء، الذي يحوي بضائع تغري أي شخص بالشراء - كما لو أنها مزجت فأخرجت استنتاجا واحدا.

قالت أمي: "حسناً، إذاً علينا أن نقبل بوجود ساكن آخر معنا. لا يوجد حل آخر".

نظرت إليها مندهشا، فقد ناقشنا هذا من قبل، ووصلنا إلى اتفاق - حسبما فهمت-بأننا لن نأتي بساكن مهما كانت الصعاب التي نواجهها، إذ أن هذا يعني أن أتخلى أنا عن غرفتي التي أحبها كثيرا، وأنتقل إلى غرفتها.

Twitter: @ketab_n

وقبل أن أفتح فمي، أردفت هي: "يمكنني أن أنام في غرفة المعيشة".

في ظهيرة ذلك اليوم، لم نحضر ورق الحائط والمادة اللاصقة فقط، بل كتبنا أيضا إعلانا كي ننشره في جريدة "أربايدربلا" تحت عنوان "مطلوب ساكن". وتحدثنا مرة أخرى مع الرجل الثور: فرانك. هل يمكن حقا لفرانك الذي كان يعمل في النهار كسائق جرافة في مواقع البناء الجديدة بالقرب من وادي "جريرودلان"، أن يعمل في المساء وينقل الباب من حجرة نومنا الصغيرة إلى الرواق، حتى لا يفسد الساكن علينا حياتنا الخاصة بذهابه وإيابه، ولنتجنب خروجه ودخوله إلى غرفة المعيشة الخاصة بنا، لا سيما بعد تركيب ورق الحائط الجديد؟

تبين لي أن فرانك ليس جيدا للغاية كنجار، فقد أثار جلبة كبيرة وهو يخلع الباب، وكان يعمل مرتديا سترته المثقبة، ويلهث ويعرق كثيرا. كما أنه منذ الصباح بدأ ينادي أمي بـ"يا عزيزتي".

"ما رأيك يا عزيزتي، هل تودين الاحتفاظ بهذا الإطار، أم أن علي أن أحضر واحدا جديدا؟".

فترد أمي "هذا يعتمد على تكلفته".

- "لن يكلفك الكثير يا عزيزتي، فلدي معارفي".

لحسن الحظ لم تنزعج أمي من أنه كان يناديها بـ"عزيزته" طوال الوقت. وكانت السيدة سيفرسن تواظب على الظهور بشكل دوري، كي تقول إن الطعام جاهز، أو كي تخبرنا بأن سيارة القمامة ستتأخر اليوم. علي أن أعترف بأنني كنت أراقب الوضع عن كثب، لأنني رأيت أمي تضع أحمر الشفاة وتحل شعرها كل مرة، حتى أنه لم يكن لدي وقت للخروج إلى الشارع. وبين الحين والآخر كانت السيدة سيفرسن ترسل ابنتها آن

Twitter: @ketab_n

بيريت إلينا، فكنت أقف معها لنشاهد فرانك قوي البنية وهو عاكف على الأبواب وألواح الخشب الرقائقي، والشعر الأسود يغطي أكتافه وظهره مثل حزم العشب الذي ينمو في الشتاء، وقد برز الشعر من ثقوب سترته بشكل جعلها تبدو شبكة صيد أكثر منها قطعة ملابس. ظل فرانك يصيح أثناء العمل: "مطرقة! مسامير! شريط القياس!"، بطريقة مازحة كما لو كنا نعمل لديه، وكان هذا ممتعا. ولما ثبّت الباب في مكانه وتم غلق المدخل الآخر بعد نحو أسبوع ، سألته أمي عن أجرته بالإضافة لثمن الإطارات الجديدة وكل ما اشتراه، إلا أنه لم يرغب في أخذ أي نقود.

قالت أمي: "هل جننت؟"

"هل لديك أي مشروب قوي يا عزيزتي؟" قالها بصوت ناعم كما لو أن لديهما طريقة سرية للتفاهم اتفقا عليها خلال فترة العمل. جاءت أمي وحافظة نقودها مفتوحة، وبين أظافرها المطلية حديثا ثلاث ورقات زرقاء قيمة كل منها خمس كرونات، كانت مستعدة لدفع المزيد وما على فرانك إلا أن يطلب فحسب، لكن أيا من هذا لم يغير من موقف فرانك، الذي استمر لطيفا حتى النهاية، وأخذ زجاجتين من شراب الكوراكو بدلا من النقود، قائلا: "واحدة لكل ساق".

بعد أن تخلصنا من فرانك أصبح بإمكاننا تركيب ورق الحائط. سارت الأمور على ما يرام، فقد وقفت أمي على كرسي المطبخ كي تعمل في المساحة التي تلي السقف وعملت أنا في المساحة السفلى. وانتهينا في أمسية واحدة من الحائط الذي قضينا أسبوعا كاملا في طلائه. ثم قضينا أمسيتين في الأجزاء المتعبة حول باب البلكونة ونافذة غرفة المعيشة الكبيرة، وأخيرا قضينا أمسية نعمل على الحائط الذي يفصلنا عن حجرة نومي والتي ستصبح غرفة الساكن الجديد. كان التغيير ملحوظا... لا، بل كان كبيرا وملفتا. صحيح أننا لم نختر ورق الحائط ذا الغابة المطيرة -

Twitter: @ketab_n

فأمي أرادت شيئا أكثر تحفظا - لكننا اخترنا ورق حائط من النوع الذي به نباتات بحدود مستديرة وزهور وله أرضية تشبه الأرض العشبية حين تتحلى في الخريف بلون بني يميل للون الذهب. عندما أتى شخصان في اليوم التالي مباشرة إلى الغرفة، كنا مستعدين لتأجيرها لهما.

لكننا لم نفعل.كان هناك شيء غريب فيهما. ثم جاء ساكن ثالث، لكنه رأى أن هنالك خطأ ما في الغرفة، مما زعزع ثقة أمي، فتساءلت إن كان الإيجار غاليا جدا، أم منخفضا جدا، قبل أن تحدثني عن الانتقال إلى منطقة أورفول، من أجل الحصول على مسكن أبسط في الحي الذي كانت تسكن فيه من قبل مع أبي، وبالتحديد في شارع "أفري فوس"، فهناك يرضى الناس بغرفة واحدة ومطبخ. في أحد الأيام جاءنا خطاب بخط متعرج، من سيدة عزباء في الخامسة والثلاثين، اسمها إنغريد أولاسن، تقول فيه إنها تريد أن ترى الغرفة يوم الجمعة التالي، إن كان ذلك مناسبا.

فأجابت أمي: "بالتأكيد".

ثم في اليوم التالي غابت أمي بلا مقدمات، فلم أجدها في المنزل عندما عدت من المدرسة أنا وآن بيريت وإيسي.

كان الباب مغلقا. ولم يُفتح حتى حين ضغطت الجرس مرة بعد مرة، فتعكر صفو مزاجي تماما. أخذني إيسي إلى بيته حيث طمأنتني أمه - وهي واحدة من أمهات قليلات غير أمي يمكنني الاعتماد عليهن- بأن أكدت لي أن أمي خرجت للتسوق، وأنني يمكنني القيام بواجباتي المدرسية مع إيسي حتى تعود. كان إيسي يحتاج إلى مساعدة في هجاء الكلمات كما أنه لم يكن ماهرا في الحساب أيضاً.

- "أنت ماهر جدا يا فين، أليس كذلك؟"

Twitter: @ketab_n

نعم، كنت مواظبا على دروسي جيدا، لأنني أبرمت عقدا مع أمي، وهو رمانة الميزان في أسرة من فردين. قدمت لي والدة إيسي شرائح الخبز مع النقانق التي كنت أحبها، لكنني لم أستطع أن أضعها في فمي، فليس هيناً أن يكون لديك أم، ثم تختفي دون أن تعرف أين هي. جلست إلى جوار إيسي على مكتبه العريض ممسكا بالقلم، غير أنني كنت أفتقد أمي بشدة بحيث لم أكتب حرفا واحدا. فليس من عادتها أن تذهب وتتركني هكذا. مرت أكثر من ساعة الآن. (أربعون دقيقة فقط في الواقع). ثم مرت ساعتان حتى سمعنا صوتا في الممر القصير داخل البناية، تبين أنه عامل شاحنة قديمة كانت تحاول الاستدارة للاتجاه المعاكس أمام المبنى السكني. ثم رأيت أمي أيضاً، التي قفزت من مقصورة السائق مرتدية فستانها الطويل المطرز بالأزهار، وجرت نحو المدخل. كانت الأبواب القرمزية للشاحنة تحمل عبارة "ستوشتاين للأثاث والموبيليا"، بحروف محددة بلون ذهبي. أنزل رجل ضخم باب الشاحنة الجانبي، بينما قفز رجل آخر داخل الشاحنة وكشفا مع بعضهما البعض عن كنبة-سرير مخططة بالبيج والأصفر والبني، اشترتها أمي بناء على خطاب إنغريد أولاسن. أنزلاها الرجلان من الشاحنة وشرعا في تحريكها نحو الباب الأمامي.

في هذا الوقت كانت حقيبتي المدرسية لا تزال على ظهري، وكنت أعدو بأقصى ما لدي من سرعة إلى الباب الأرضي، وفوق السلالم خلف قطعة الأثاث الثقيلة التي استطاع الرجلان أن ينقلاها إلى الدور الثاني مع صيحات العناء واللعنات بعد إدخالها عبر الباب الأمامي الذي ظل مغلقا للمرة الأولى لفترة طويلة بدت دهرا بالنسبة لي.

وقفت أمي وقد ارتسم على وجهها توتر بائس، وصل لدرجة غير عادية بمجرد أن وقعت عينها علي، لا شك أن هذا كان بسبب حالتي الإنفعالية السيئة. بدأت في الاعتذار "لقد اضطررت إلى قضاء وقت كبير في المحل"، لكن كلمات المواساة التي نطقت بها ، خرجت ضعيفة منهكة .

Twitter: @ketab_n

وقعّت على إيصال استلام، بينما كانت الكنبة الجديدة تقبع بجوار حائط غرفة المعيشة، وهو مكان مناسب لها جدا. استلقت أمي على الكنبة لفترة وفعلت أنا الشيء نفسه. استلقيت إلى جوارها وشممت عبيرها وشعرت بذراعيها تطوقانني، في حين رحت أنا في نوم عميق على الفور، ولم أستيقظ سوى بعد ساعتين.كنت تحت الغطاء، بينما كانت أمي في المطبخ تعد العشاء، وهي تدندن كعادتها.

لم يكن العشاء اليوم طعاما جاهزا، وإنما كان شرائح اللحم المقلي والبيض، وهو أفضل من أي عشاء آخر بالنسبة لي. بينما كنا نأكل قالت لي إن هناك ما يطلق عليه بطاقة ائتمان، وهذا يعني أنه لم يعد علينا أن نوفر كي نشتري أي شيء، إذ يمكننا أن ندفع ثمنه لاحقا، مما كان بدوره يعني أننا لن ننتظر طويلا قبل أن نذهب لنشتري خزانة كتب، كما أنه لن يكون علينا أن ننتظر قبل شراء التليفزيون - ذلك الجهاز الذي كان يغزو الشقق المحيطة بنا - وأنه لم يعد علي أن أجري إلى بيت إيسي في كل مرة لا أود فيها أن تفوتني مشاهدة شيء.

كان هذا أمرا مثيرا، لكن شيئا ما ذلك المساء جعلني مرتابا، فقد أحسست بأن شيئا ما انهار بداخلها وذهبت معه سكينتها وراحة بالها. أما أنا – وبعد أن مررت بتلك التجربة المؤلمة - فلم أنم أيضا تلك الليلة كما اعتدت أن أنام.

في اليوم التالي، جئت مباشرة من المدرسة، ووجدت أمي هذه المرة في مكانها، مستعدة لاستقبال إنغريد أولاسن. بدأت في إعداد نفسي فورا بعد أن ألقت أمي على مسامعي من التأنيب والتحذير ما أشعرني أننا على وشك خوض امتحان، وكان كل ما استوعبته مما يحدث هو خطورة وجدية الموقف.

Twitter: @ketab_n

سألتها: "هل جننتِ؟"

قالت: "ما الذي تعنيه؟" بينما كانت تسير نحو المرآة كي تنظر فيها، وتعود وتدمدم: "ليس لديك خطة سحرية للخروج من الموقف، أليس كذلك؟"

لم أعرف ما الذي كانت تعنيه. لكنها عادت إلى طبيعتها مرة أخرى، وألقت نظرة عاطفية نحوي، وقالت إنها تعرف أن هذا ليس هينا علي لكن لم يكن هناك بديل، هل كنت أدرك هذا؟

نعم كنت أدركه.

كنا عقلا واحدا.

وصلت إنغريد أولاسن متأخرة عن موعدها بنصف ساعة. اتضح أنها تعمل في محل تصفيف الشعر الموجودة في شارع "لوفتاس"، وبدت وكأنها في العشرين من عمرها، مع أنها في مثل عمر أمي. كان لها شعر كثيف أحمر وقبعة رمادية مزينة بسلسلة من اللؤلؤ والخرز الأسود، كما أنها كانت تدخن. أدارت نظرها في الغرفة وقالت بسخرية:

- "تجهيزات أساسية فقط، ألم يتوجب عليك ذكر هذا في الإعلان؟"

لم أعرف معنى هذا، لكن وجه أمي امتقع بألوان مختلفة قبل أن تقول إن الجميع يعرفون كم تكلف هذه الإعلانات في الجرائد.

أخذت إنغريد أولاسن نفسا طويلا من سيجارتها وبحثت عن منفضة سجائر، لكننا لم نقدم لها واحدة. أرادت أمي أن توقف الصفقة، وقالت إننا غيرنا رأينا وإننا نحتاج الغرفة.

- "آسفة لأنك جئت وستذهبين دون فائدة".

فتحت الباب الأمامي لها. لكن فجأة بدت إنغريد أولاسن حزينة للغاية. سقط رأسها المصفف الشعر على صدرها، وبدأ جسدها الطويل في الترنح.

Twitter: @ketab_n

- "يا إلهي، ألست بصحة جيدة؟"

قادتها أمي بأن أمسكتها من كم المعطف إلى غرفة المعيشة، وأجلستها على الكنبة الجديدة، وسألتها إن كانت تحتاج إلى كوب ماء أو فنجان من القهوة.

ثم حدث شيء أكثر غرابة. قالت إنغريد أولاسن إنها تريد فنجان القهوة لكن قبل أن تقوم أمي لوضع الغلاية، بدأت إنغريد في عقد أصابعها كما لو كانت تصل بين حبلين، وتحدثت بصوت متقطع عن وظيفتها وعن العملاء كثيري المطالب، الذين كانوا ينتقدونها بكل سبل النقد وفقا لما فهمت، وعن المالك المغرور، وعن مسألة جعلت أمي تتغير كليا، وتدفعني إلى غرفة النوم قبل أن أعرف المزيد.

من خلف الباب سمعت الحديث وتمتمة حادة وما بدا كأنه بكاء. ومع مرور الوقت بدا وكأنهما قد توصلتا إلى اتفاق، حتى أن بعض الضحكات الهستيرية صدرت عنهما، وعندما فتحت أمي باب الغرفة في النهاية وخرجْت، اعتقدت أنهما قد أصبحتا صديقتين. غادرت إنغريد وتركت أمي مستغرقة في تفكير عميق بينما كانت تعد العشاء.

سألتها: "ألن تعيش هنا؟"

قالت "لا. ليس لديها أي نقود أصلا، غير أن حياتها مرتبكة للغاية، وهي لا تدعى إنغريد أولاسن بالمناسبة..."

أردت أن أسأل أمي كيف عرفت كل هذا، أو كيف يمكن لشخص غريب أن يفتح قلبه لها بهذه الطريقة. لكن ضيقا غريبا سيطر علي بسبب النصف ساعة التي قضيتها في غرفة النوم. لابد أن إجابة هذين السؤالين ستكون أن أمي تعرفها، أو أنها رأت نفسها في إنغريد. لم أرغب في سماع

Twitter: @ketab_n

أي تأكيد لأي من المعلومتين، وفضلت أن أركز في تناول الطعام، لكن شعورا بأن هناك جوانب لأمي لم أفهمها بعد ظل بداخلي، ليس فقط بسبب غيابها المفاجيء يوم الخميس الماضي، وقد كان غيابا له ما يبرره... شراء الكنبة، لكن أيضا بسبب دخول هذه المرأة الغريبة إلى حياتنا التي كانت هادئة حتى اليوم وأصبحت الآن كثيرة التطورات، وانهيارها على الكنبة الجديدة، وإفشائها لكل أسرارها ثم انصرافها مرة أخرى، لم يكن هذا لغزا ليس له حل، بل كان لغزا لا أريد أن أجد له حلا.

جلست أختلس النظرات إليها، أمي العصبية، التي تخاف من الظلام، والتي تتسم بالثبات بشكل عام. أمي التي هي ملاذي في الأرض وقلعتي في السماء، ترتدي اليوم وجها لا أعرفه.

Twitter: @ketab_n

3

توقفنا عن البحث عن ساكن لأيام قليلة،كما لو أن أمي خافت من أن يطرق بابها لغز جديد. كنا قد اتفقنا على ألا نتراجع عن هذه المسألة، لذا لم يكن هناك بد من أن نضع إعلانا جديدا في جريدة أربايدربلا مقابل نصف كرونا. وكانت أمي لا تزال ساخطة ومشتتة الذهن، حتى أنها وضعت حشوا خطأ في الساندويتش الخاص بي، ولم تكن تنصت حين أتحدث، ولم تعد تقرأ لي في المساء.

قالت مدافعة عن نفسها حين اعترضت على امتناعها عن القراءة لي: "على أي حال، أنت تستطيع أن تقرأ بشكل أفضل مني الآن". لكن ليس لهذا تعلمت القراءة! كان لدينا الكثير من الكتب، وكنا سنقرأها جميعا معا، كتب للأطفال، وروايات "لمارجيت سوردولهم"، وسلسلة "جالنا" الروائية، وموسوعة تدعى "هيامسكريمنا"، ورواية لكابتن "ماريات"، بالإضافة إلى كتاب وحيد تركه أبي، وهو كتاب فنلندي عنوانه "الجندي المجهول" لفاينو لينا،لم يقرأه أي منا حتى الآن وليس لدينا - كما تقول أمي – أي نية لقراءته. كانت كل هذه الكتب مكدسة في صندوق في غرفة نومي، بانتظار خزانة الكتب التي سوف نشتريها بنظام الائتمان، لو أننا استطعنا فقط أن نصطاد ساكنا لعينا. في أحد المرات التي لم تكن منصتة لي فيها، صدمني شعور بأنني شخص آخر، شعرت أنني تغيرت. لم يكن هذا شعورا واضحا أو محددا، لكنه كان قويا بما يكفي لأسأل:

- "إلى أي منا تتحدثين الآن: أنا أم الآخر الموجود هناك؟"

لم يلق هذا السؤال استحسانها.

Twitter: @ketab_n

سألَت بحدة "ما الذي تعنيه؟" وأعطتني محاضرة قالت فيها إنني أبدو غامضا وغير مفهوم في بعض الأوقات، حتى أنها لم تعد تفهمني، محاضرة قالتها مرة أو مرتين من قبل. ربما كان لهذا علاقة بأنني ولد، فقد قالت لي من قبل إن الحياة ستكون أسهل لو أنني كنت بنتا.

قلت مازحا "لا أفهم ما تتحدثين عنه"، ثم ذهبت إلى غرفتي واستلقيت على السرير بكامل ملابسي،كي أقرأ وحدي في كتاب مصور يحكي مغامرات "يوكان"، إلا أنني لم أستطع التركيز. ازداد غضبي أكثر فأكثر وأنا مستلق، أتساءل كم من الوقت ينبغي أن يمر على ولد صغير وهو ينتظر أن تعود أمه لصوابها وأن تؤكد له أن شيئا لم يتغير. إن هذا لا يتطلب الكثير من الوقت عادة في بيتنا، لكن الغريب أنني غفوت وأنا غضبان هذه المرة.

لم أكتشف أنها جاءت لغرفتي سوى في الصباح التالي،حين وجدت نفسي مرتديا ملابس النوم ووجدتني تحت غطاء كانت قد ألقته علي. قمت من السرير وارتديت ملابسي ثم ذهبت للمطبخ. تناولنا الإفطار كعادتنا وضحكنا على بعض الحمقى في الراديو ممن يستخدمون كلمات رنانة. مع هذا فقد ظلت هناك مسافة مزعجة بيننا تؤكد أننا لن نستطيع حسم خلافاتنا، أو هكذا شعرت. انغلق الباب في الجانب الآخر من الرواق بينما كنت أرتدي سترتي البنفسجية. وضعت حقيبتي المدرسية على كتفي وانصرفت للمدرسة مع آن بيريبت.

هل أكون أنا من تغير على الرغم من كل شيء؟

كانت آن بيريت كما هي دون تغير. لم أعرف شخصا من قبل استغل فرصة أن يكون نفسه مثلما كانت آن بيريت تفعل، فهي جميلة وواثقة من نفسها وواقعية. ولم يكن هناك أي أثر لوالديها عليها، كما أنها اعتادت ألا تفكر في المرح أو تبدأ في الضحك إلا إذا كانت واثقة من أن هناك ما

Twitter: @ketab_n

يستحق، ودائما لم يكن هناك ما يستحق. في العادة كنت أنا من يبدأ الكلام، لكنني اليوم لم أفعل هذا، ولم تقل هي أي شيء حتى أصبح الصمت ثقيلا، فسألتني:

- "ماذا بك؟".

لم يكن لدي الكثير كي أرد عليها. مشينا في الممرات الموحلة داخل حديقة "موزيلوندن" التي كانت -وفقا لأمي وللسيدة سيفرسن- أكثر أمانا من رصيف شارع "تروندهايمز"، مع أن المتشردين يسكنون على جوانب هذه الحديقة التي تنحدر نحو الطريق في أكواخ آيلة للسقوط يمكن رؤيتها في أواخر الخريف من وراء الأشجار العارية من الأوراق. يعيش هنا بعض الرجال المخيفين نسميهم الصفر والحمر والسود لأن الصفر يعانون من مرض ما جعل لونهم يميل للصفرة، أما الحمر فقد كانت وجوههم دائمة الحمرة، بينما ألهبت الشمس وجوه السود حتى أصبحت مثل وجوه الغجر. كان علينا ألا نطيعهم عندما ينادوننا لندخل أكواخهم، لأنك إن فعلت هذا، علقوك كذبيحة وحولوك إلى شربة بنية خفيفة وصنعوا منك مكعبات المرق. على العموم، لم يكن هذا ممكنا اليوم، إذ لم نشاهد أيا منهم. ربما لهذا السبب لم يكن لدي ما أتحدث عنه، وكنت في مزاج يدفعني إلى التنفيس عن غضبي في شخص آخر.

قلت لآن بيريت بينما كنا ندخل إلى فناء المدرسة: "أنت مملة جدا".

ردت قائلة: "ابتعد عني".

لم يكن هذا أسلوبها المعتاد في الحديث حتى حين يتكدر مزاجها. افترقنا بطريقة ليس بها أي مودة، ذهبت هي إلى فصل البنات وذهبت أنا إلى الفصل المختلط، الذي تم افتتاحه لبحث ما إذا كان من الممكن أن تجلس البنات إلى جانب الأولاد ويتعلموا في الوقت نفسه أم لا.

Twitter: @ketab_n

أحببت الدراسة في الفصل المختلط على الرغم من أن الفتيات الأجمل كن في الفصل الآخر. فهنا يمكنني أن أمتع عيني برؤية شعر "تانجا" الأسود اللامع. كانت تانجا لا تزال لغزا بالنسبة لي لأنها لم تكن تتحدث مطلقا وكانت تجيب الأسئلة بصوت يأست الآنسة "هنريكسن" من أن تجعلها ترفعه. لكنها كانت تتلفت في كل مرة أقول فيها شيئا وترسل لي ابتسامات صغيرة، وهذا جعلني أشعر أنه لا يوجد شيء آخر أفضل كي أعيش لأجله. قال البعض إنها من الغجر وإنها تعيش في خيمة سيرك خارج الحدائق الموجودة في منطقة تويان السكنية، وهذا عقد الأمور أكثر، لأنه ذكرني بالأشخاص الذين يسافرون حول العالم يعزفون على الجيتار ويسرقون ويعملون على لعبة الخيل الخشبية الدوارة.

كنت أرفع يدي أولا وقبل الجميع كي تلتفت تانجا نحوي. فعلت هذه الحركة اليوم كي أتخلص من كل الفوضى التي كانت لاتزال تعبث برأسي. لكن بدلا من أن أتباهى بمهارتي، أدركت متأخرا جدا أنني لم أقم بعمل واجبي المنزلي وانفجرت في نوبة بكاء فظيع وغير مفهوم. وما إن بدأت البكاء، حتى أصبح التحكم فيه مستحيلا. ارتميت على طاولتي على الرغم من أنني كنت أعرف أن هذا لن يجعل الأمور أفضل.

- "عزيزي فين ما الذي حدث؟".

صرخت: "لا أعرف!" وقد كان هذا صحيحا. كنت راضيا للغاية بهذه الإجابة، فماذا لو أنني قلت الحقيقة، هل كنت سأقول إن أمرا ما جد على أمي؟

أخذتني الآنسة هنريكسن إلى الردهة، وهدأتني بما يكفي لأن أفهم ما كانت تقوله لي. كانت تريد أن ترسلني للمنزل وترسل معي خطابا كي تتأكد

Twitter: @ketab_n

من أن كل شيء على ما يرام، لكنني رفضت بشدة، وانهمر سيل آخر من الدموع جعلها تنتظر حتى تمالكت نفسي. جلست متكئا على الحائط محملقا في الرواق الخالي، الذي تخيلته مستشفى يضحك بها جميع الأطفال دون أن يحدثوا أي جلبة، ويرفرف فيها الميتين بأجنحة نبتت في أجسادهم. فجأة سألتني الآنسة هنريكسن التي كانت تربطني بها علاقة جيدة:

- "هل رأيت شيئاً؟".

- "ماذا؟".

- "كنت أتساءل فقط إن كنت رأيت شيئاً؟".

صحت: "ماذا لاحظت؟" كان الجحيم المشتعل بداخلي يتسع، لقد أصبحت أنا وأمي منفصلين أكثر، ربما كنت أعرف هذا، ربما توقعته. صرخت "لم أر أشباحاً!".

قالت الآنسة: "هون عليك يا فين" لكن بنبرة أصبحت تبعث على النوم أكثر منها على الراحة. تداعت في رأسي ذكريات أو كلمات معينة وبشكل مفاجيء، فقد كنت أجمع مع أمي الحروف لتكوين كلمات نضحك عليها أحيانا، أو نشعر أنها سخيفة في أحيان أخرى. كانت تلك الكلمات حقيقية للغاية حتى أن بإمكانك لمسها، مثل "خرسانة"، و"مكانس"، و"بنزين"، و"جلد"، و"أحنية جلدية"... دخلت في استغراق عميق، تخيلت نفسي أتزلج على مزلجتي الجديدة وأصرخ منزعجا، حتى أخذتني أمي من يدي، وسحبتني بقوة ناحية المنحدر الذي يمتد من شارع ترونديمز إلى المبنى الذي نسكن فيه، ولم يعد هناك ذلك النهر المتعرج المتجمد كالزجاج وإنما مسار موحل بني اللون.

صرخت أمي فأحدثت طنينا في أذني: "هل تفهم الآن؟" لقد انتهى الشتاء! إنه الربيع!"

Twitter: @ketab_n

سألتني الآنسة هنريكسن "هل نعود إلى الداخل؟"

نظرت إليها، وقلت: "نعم" وحركت قدمي كما لو أننا اتفقنا في الدقائق الأخيرة على اعتبار أن شيئا لم يحدث. لكن أخبار هذا البكاء كانت قد وصلت فناء المدرسة بالطبع، وترك هذا ابتسامة على وجه آن بيريت.

في طريق عودتنا من المدرسة لم ألحظ الحمر في أي مكان، لكن الصفر والسود استيقظوا. كانوا يجلسون خارج أكواخهم يتناولون المشروبات المعلبة ويدعوننا كي نزورهم، أرانا شخص أسود سنجابه فانفجرت آن بيريت في قهقهة غريبة.

صرخت بأعلى صوتي "قتلة". وقف واحد من السود وقلم بتحية هتلر وصاح بشيء لم نستطع سماعه لأننا كنا نجري باتجاه بيت الشباب كي ننقذ أنفسنا، لم نكف عن الجري سوى حين تجاوزنا ملاعب التنس حيث رأيت مجموعة من أصدقائي يشعلون نارا، وطلبوا من آن بيريت أن تشاركهم.

توقفَت ونظرَت إلى عيني، وقالت إن أمها لا تحب أن تكون ملابسها مليئة برائحة الدخان، خاصة إذا كان من احتراق القطران، وإن حذائي به ما يكفي من الوحل، وأشياء أخرى تافهة. لم أعتدها ثرثارة هكذا. فكرت في أنها ربما نسيت أمر انهياري وبكائي اليوم في المدرسة.

في وقت متأخر من مساء هذا اليوم، سمعت جرس الباب يدق، وجاءت السيدة سيفرسن وتحدثت مع أمي هامسة، بعدها مباشرة وقفت أمي في مدخل الباب الجديد عاقدة ذراعيها، نظرت لي كأنني غريب تماما بينما كنت مستلقيا على السرير أحاول أن أقرأ.

"ما الذي فعلته بالضبط؟" قالتها بطريقة جافة للغاية حتى أنني لم أستطع ألا أتجاهلها. لم يكن هناك ما يمكنني فعله، لذا فقد بقيت

Twitter: @ketab_n

مستلقيا أحملق في كتاب مغامرات يوكان حتى بدا الموقف حربا حقيقية، "هل رأيت أي شيء؟"

لم تفعل ما يجب على الأم أن تفعله كي تستعيد ولدها الضائع، وإنما أشاحت بوجهها بحزن ودخلت المطبخ. تركَت البابين مفتوحين، باب غرفة الساكن الذي ركبه فرانك، وباب غرفة المعيشة، فكان بإمكاني أن أسمعها وهي تغسل الأطباق، وقد كان غسيل الأطباق مهمتي أنا، وواجب منزلي نادرا ما استطعت التهرب منه، بينما كانت مهمتها أن تقوم بتجفيف وترتيب الأطباق.

تركت الكتاب المصور جانبا، وقمت من سريري وذهبت إلى المطبخ، دفعتها بلطف بعيدا عن الحوض، وقفنا أمام أحدنا الآخر كزوجين ليس لدى أي منهما ما يقوله للآخر، غسلنا وجففنا زجاجات اللبن والأطباق والشوك حتى أصبحت لامعة مثل الذهب، فعلنا هذا في صمت تام سيسيطر فيما بعد على هذه الشقة.

كان مخزوني من البكاء لهذا اليوم قد انتهى، لذا فقد بقيت صامتا حتى شعرت أنني سأبدأ في الضحك. في هذه اللحظة ألقيت الفرشاة في الماء غير النظيف، فارتد الرذاذ على وجهها، مالت إلى الخلف وأطلقت صيحة غضب، لكنها تماسكت ووقفت بوجه حزين وغريب واضعة يدا على فخذها والأخرى على عينيها، قبل أن تجلس على أقرب كرسي مطبخ وتقول بشيء من اللامبالاة بينما يجري الماء المختلط بالصابون على وجهها:

- "هل تعرف أن لك أختا؟"

- "ماذا؟"

- "أخت غير شقيقة".

Twitter: @ketab_n

لم أستطع أن أقول الكثير ردا على جملتها. كنت أعرف بأمر أختي بالطبع وكنت أعرف أنها في مكان ما تتمتع بمعاش أمها الذي كان يجب أن يكون لنا نحن. الآن اتضح كل شيء.

- "مصففة الشعر؟"

- "نعم".

نعم مصففة الشعر إنغريد أولاسن واسمها بالمناسبة ليس كذلك، هي أم الفتاة... اسمها ليندا، وهي في السادسة من عمرها. لقد رأت إنغريد الإعلان الذي نشرناه في الجريدة، وقد كان غباء منا أن نكتب أسماءنا بدل أن نستخدم رقم صندوق البريد، لكن من كان ليظن أن هذا قد يحدث؟

- "رقم صندوق البريد؟"

اضطرت أمي إلى أن تجفف نفسها أولا، فعلت هذا في الحمام باهتمام وعناية كبيرة بينما وقفت أنا على مسند القدمين الذي أصبحتُ كبيرا على استخدامه في الواقع. حملقتُ في الفرشاة التي كنت أحركها في الماء المخلوط بالصابون فتتكون فيه دوامات. أخذت أحملق حتى شعرت بدوار، عادت أمي بعد أن أزالت المكياج الذي يجب أن تضعه كلما ذهبت لعملها، بدت وهي بغير زينة كما في عطلات نهاية الأسبوع حيث نجلس مع بعضنا وتكون في أوج جاذبيتها.

قالت: "لكنها لن تستطيع الاعتناء بها" ثم أطرقت في صمت. مرة أخرى استغرقْت في التفكير وتألمت وأخذت أحرك الفرشاة. تكلّمت إلي بصوت ناعم وكانت تحاول أن تقدم لي الأمر تدريجيا بنفس الطريقة التي تعطي بها الدواء لرضيع. لم تكن إنغريد أولاسن أرملة فقط، بل كانت مدمنة مخدرات أيضاً، وكانت هذه المرة الأولى التي أسمع فيها هذا المصطلح، كانت تتعاطى المورفين.

Twitter: @ketab_n

أردفت أمي:"وأنا أقول لك هذا لأنني أعرف أنك كبير بما يكفي لتتفهم هذه المسألة".

لكن: "هل ستعيش هنا؟".

بدأ الأمر يتضح أخيراً. صحت منفجرا بالغيظ فجأة "كنت تعلمين هذا من البداية! لقد جهزنا المكان وأعددنا مدخلا منفصلا كي يعيشوا هنا!"

"لا، لا" قاطعتني بطريقة أعطتني المزيد من الثقة في أن هذا لن يحدث وكنت أحتاج إلى هذه الثقة. "لا يمكنها الاعتناء بالفتاة، لقد تحققْت من الأمر وعرفت أن الفتاة سترسل إلى دار أيتام إذا لم نأخذها...".

- "إذا سوف تعيش هنا؟"

جلست أمي دون حراك، لكنها على الرغم من هذا أومأت.

قلت بإحباط "سيكون لدينا ساكن إذا؟"

- "نعم".

- "هل سيكون لدينا أخت وساكن؟"

- "اممم".

- "لكن مصففة الشعر لن تعيش معنا؟"

- "إنها ليست مصففة شعر يا فين! لا، لن تعيش هنا فعليها أن تخضع للعلاج، لا أدري...".

- "إذا، فلن تعيش هنا!"

- "لا! قلت لك هذا مرارا. أنصت إلي ما أقوله من فضلك!"

Twitter: @ketab_n

مرت عشر دقائق... كانت أمي تجلس على الكنبة الجديدة ومعها كوب من الشاي، في حين جلست أنا على الكرسي ذي المسندين ومعي كوب من عصير الليمون. أصبحنا أفضل الآن عما كنا عليه منذ عشر دقائق مضت. صرنا على نفس الموجة، موجة جديدة لأنني أنا أيضا تغيرت، بل إنني اعتدت على هذا التغير. أعتقد أن لتغيري هذا علاقة بإخفاء أمي الأسرار عني فقد تغيرت هي الأخرى حتى أصبحنا غريبين يجلسان هنا ويتحدثان بعقلانية عن كيفية التعايش مع غريب آخر، فتاة في السادسة تدعى ليندا وهي ابنة سائق جرافة تصادف أنه أبي.

أعرف أنه لم يكن قرارا سهلا على أمي، ففي البداية لم تكن تقول كلمات لطيفة عن أرملة أبي الأخرى وابنته، لكنها الآن تبدو مؤمنة للغاية بضرورة التكافل. إننا لا نعيش في رخاء هنا، فنحن نعيش على الائتمان، وخلال الأسبوعين الماضيين لم تضع أمي تكاليف هذا في اعتبارها فحسب، ولكن فكرت أيضاً في أراء الناس إذا تخلينا عن الفتاة، ومشاعرنا إذا لم نأخذها، والأثر الذي سيتركه عليها مكوثها في دار الأيتام. أليس من الأفضل أن تكون أمي هي الأرملة التي فعلت ما يجب عليها القيام به وهو ما سأقدره أنا لاحقا، بدلا من أن تكون الشخص الذي يتملص من المسئولية بسبب شيء تافه يجلبه المرء على نفسه مثل إدمان المخدرات؟

كان هذا يعني انتصار أمي على السيدة التي رحلت مع سائق الجرافة والتي ربما كانت السبب غير المباشر في سقوطه بين مخالب الموت، الرجل الذي تتسبب ذكراه في ألم كبير لأمي حتى أنها دفنت صوره في درج أغلقته بقفل.

وسط هذا كله شعرت بأنني ينبغي أن أطرح سؤالا لم تجبه أمي حتى الآن عن معاش أرملة أبي.

Twitter: @ketab_n

ردت "لا، لن نرى منه شيئاً" كان من الواضح أن الإجابة قد أعدت مسبقا، لكنها قالت وصوتها يرتعش "أنا لم يكن في نيتي تبني الفتاة و..."

ليس هذا ما أود أن أسمعه. كنت أريد أن أعلم إن كانت أمي أخيرا قد وجدت فرصة كي يكون لديها ابنة. تجنبت البوح بما في نفسي ولم أفتح فمي، ربما كي لا أفسد حالة التوازن التي سادت بيننا. أنهيت عصير الليمون وذهبت لغرفتي للقيام بواجبي المدرسي بينما كانت الأبواب مفتوحة حتى نسمع أحدنا الآخر. تحركت أمي بلا هدف في غرفة المعيشة والمطبخ، وانسابت موسيقى السوناتة التي تذاع في الراديو في المساء، ثم تهادى بعدها صوت نشرة الأحوال الجوية مما يعني أن وقت الذهاب للنوم قد اقترب. نظرت من النافذة إلى العمارة التي يسكن فيها إيسي، نظرت إلى المصابيح المطفأة في شرفته، إلى مصابيح في شرفات أصدقائي هانزا، وروجر، وجريجا، وفاتن. كانت العمارة التي يسكنون بها تغمض عينا بعد أخرى بينما أجلس أنا بجوار صف الدمى على حافة نافذتي. ولسبب ما بدأت أتطلع إلى حدث كان منذ أسبوعين فقط مصيبة بالنسبة لي: أن يكون لي أخت، أخت صغرى.

Twitter: @ketab_n

4

في البداية كان علينا الانتهاء من مسألة الساكن فهو مصدر دخلنا الجديد، ولم تكن هذه مسألة هينة. جاءنا ثلاثة أشخاص خلال عدة أيام. قدمت أمي القهوة والكيك لامرأة شابة، كانت صورة طبق الأصل من الممثلة دوريس داي، لكنها حين نسيت نفسها وابتسمت، بدا خلف أحمر الشفاه الملتهب سنتان أصابهما التسوس، وعندها توقفت عملية التفاوض بينها وبين أمي.

ثم زرانا رجل مسن، كانت رائحته تفوح بالكحول وعطر فواح لم نتعرف عليه، وكان غير قادر على التعبير عن نفسه، لذا فعلى الرغم من أنه أخرج من جيبه ما يزيد على المائة كرونا -وهو مبلغ لم أره من قبل- إلا أننا أرشدناه إلى الباب.

جاء رجل آخر يرتدي قبعة ومعطفا، لم يكن ودودا للغاية لكنه على الرغم من هذا كان ظريفا، تفوح منه رائحة كولونيا بعد الحلاقة بنفس النوع الذي كان فرانك يضعه في أيام الآحاد، والذي أخبرتني آن بيريت أن اسمه "أكوا فيلفا". لم تكن عيناه الهادئتان ترقبان أمي فحسب، بل ترقبانني أنا أيضاً بفضول. أخبرنا بأنه كان يعمل في البحر، وانتقل الآن إلى صناعة البناء المربحة، ويحتاج إلى مكان مؤقت قبل أن يجد لنفسه مكانا خاصا به.

شيء ما في هذا الرجل كان يجعله يبدو عصريا ومطمئنا، بدا "متعلما" كما قالت أمي فيما بعد. لكنه في الوقت ذاته كان طبيعيا للغاية، أو كان بالصورة التي تخيلنا أن يكون عليها الساكن الجديد فيما عدا بالطبع أنه كان يلبس قبعة ومعطفا جعلاه يبدو كنجم سينمائي. ربما ما جعلنا نستقر عليه هو تعليقه التالي عندما وقف عند المدخل الجديد للغرفة

Twitter: @ketab_n

ونظر إلى مكتبي بكل الكتب المصورة وسيارات ماتشبوكس التي عليه وأومأ ببطء قائلاً:

- "غرفة تبعث على الدفء".

- "نعم، أليس كذلك؟"

- "لكن ألا يوجد مكان للتلفزيون؟"

" لديك تلفزيون، أليس كذلك؟" قالتها أمي كما لو كان اقتناء التلفزيون أمرا عاديا لشخص لا يمتلك مكانا يعيش فيه، وأردفت مبتسمة: "سنضطر إلى وضعه في غرفة المعيشة إذا". رد عليها ببساطة:

- "نعم بالطبع، أنا لا أشاهده كثيرا على أي حال".

بطريقة أو بأخرى تم الأمر، وأبرمت الصفقة.

اسمه كريستيان، وقد انتقل إلى الغرفة يوم السبت التالي، بعد أن كنت قد انتقلت لغرفة أمي التي لم تعرف ماذا تفعل بنفسها. فبعد قليل من الحيرة انتهى بها الحال محبوسة في غرفة نومها، أي في المكان الذي كانت تلتزمه على الدوام، والمكان الذي سنستقبل فيه فردا جديدا من أفراد الأسرة...

ليندا ذات السنوات الست.

قالت أمي وهي تنظر إلي نظرة متعاطفة: "لابد وأن هذا غريب بالنسبة لك".

لم يبد ذلك غريبا لي، فبإمكاني الآن أن أرى العمارات المقابلة لنا وبها الكثير من أصدقائي أيضاً. على العموم نحن محظوظون للغاية، لأن أمي اشترت سريرا بدورين منذ ثلاث سنوات بسعر رخيص ووضعت دورا منه

Twitter: @ketab_n

في العلية. كل ما نحتاجه الآن أن نحضره ونضعه فوق سريري، وهي عملية سهلة لن نحتاج فيها لمساعدة فرانك.

بدا واضحا أن هناك شيئا آخر يقلق أمي، إنه جهاز التلفزيون الذي تم وضعه في غرفة المعيشة، ولم يتم تشغيله على الإطلاق لأننا لم نر كريستيان كثيرا بعد أن انتقل. غير أننا كنا نرى بالطبع قبعته ومعطفه المعلقين في مكانهما في الرواق إلى جانب معطف أمي وسترتي الوردية. لم يسأل إن كان استئجار الغرفة يعني المشاركة في المطبخ، وهذا لم يكن متاحا بالطبع. كان بإمكانه استخدام المرحاض، واستخدام الحمام مرة كل أسبوع. لابد وأنه يتناول طعامه بالخارج، أو أنه يحتفظ بطعام في غرفته، كان منعزلا حتى أننا لم نسمع منه أي صوت. في مساء أحد الأيام قررت أمي أن هذا يكفي وذهبت إلى الرواق وقرعت بابه.

سمعناه يقول: "تفضل". دخلنا فوجدنا كريستيان جالسا بهدوء على الكرسي ذي المسندين يقرأ صحيفة لم أرها من قبل.

سألته أمي: "ألن تشاهد هذا التلفزيون؟"

- "يمكنك أن تشاهديه. أنا لا آبه تماما بهذا الشيء اللعين".

أعلم أن هذا الأسلوب في الحديث لم يرح أمي. أخبرته بأنها لن تشاهده.

قالت وهي تنفخ: "هل تناولت العشاء؟"

"لا أتناول الطعام بعد الساعة الخامسة" قالها كريستيان بنفس النبرة المحايدة، بينما أنفه لا يزال مدفونا في الجريدة.

قالت أمي: "من فضلك، تعال وتناول معنا العشاء".

فعل كريستيان ما أفعله حين تكون أمي في هذا المزاج: وقف وعلى وجهه ابتسامة خفيفة وشكرها كثيرا...

Twitter: @ketab_n

وأضاف بينما كنا نخرج من الغرفة: "لا أريد أن أتعود على هذا".

"لا تقلق، لن يحدث" قالتها أمي وهي تطمئن نفسها إلى أن استخدامه للغة سوقية حدث لن يتكرر.

- "من فضلك اسحب مقعدا".

قال كريستيان وهو جالس في نهاية الطاولة في مكان لم يجلس فيه أحد من قبل: "أيكون من الخطأ أن أسقط هذا الأسلوب الرسمي".

- "أوه؟" صاحت أمي وهي تقطع الخبز إلى شرائح أنحف من المعتاد.

استطردت قائلة: "لا، فهذا الأسلوب هو رأسمال الطبقة العاملة".

أثار هذا جدلا، لكنني كنت أتفق مع كريستيان. فاللغة التي تستخدمها أمي حين نكون في الخارج والتي كانت ضرورية جدا في متجر الأحذية الذي تعمل به لم تكن تنتمي إلى أي مكان آخر إلا هنالك.

سأل: "وماذا سوف يصبح هذا الشاب الصغير؟"

"كاتبا" قلتها بغير تردد فانفجرت أمي ضاحكة ، وقالت:"إنه حتى لا يعرف معنى أن يكون كاتبا".

قال كريستيان: "حسنا، ربما تكون هذه ميزة".

قالت أمي مرة أخرى "حقا؟"

رد كريستيان "نعم، إنها مهنة تحتاج إلى مقومات كثيرة" وبدا أنه يعرف ما يتحدث عنه. تبادلت أنا وأمي النظرات...

سألتُه: "هل قرأت الجندي المجهول؟"

قالت أمي: "توقف عن هذا الآن".

Twitter: @ketab_n

رد كريستيان: "نعم، بالطبع. إنه كتاب رائع. لكنني أعتقد أنك لم تقرأه، أليس كذلك؟".

قلت معترفا بالحقيقة: "لا، لم أفعل". كان الجو العام للحديث لطيفا، ركزت على تناول طعامي بينما ابتسمت أمي وأخبرت كريستيان ألا يشعر بالدهشة إن صادف فتاة صغيرة هنا في القريب العاجل لأننا نتوقع زيادة في عدد أفراد الأسرة.

- "يا إلهي" رد كريستيان بصوت غير مسموع، ثم ضحكا ضحكة خافتة بطريقة لن أتجشم عناء وصفها الآن.

كان كريستيان يأكل بنفس الطريقة التي كان يقف ويمشي بها، بهدوء وبوقار منتظرا بعد الانتهاء من كل شريحة خبز حتى تدفعه أمي إلى أخذ شريحة أخرى، "تناول المزيد من فضلك"... إلى آخر هذه العبارات. لم تفهم أمي هذا الجنون الذي يمكن أن يدفع المرء إلى عدم تناول الطعام بعد الساعة الخامسة، بينما اعتبر كريستيان أن هناك وبلا شك الكثير من الناس في هذا البلد سيحتاجون إلى تعلم القليل من التقشف قريبا.

- "لأنه ليس من الأكيد أن هذا كله سيستمر".

قالت أمي بصوت هامس"وما الذي تعنيه بهذا، إن جاز لي أن أسأل؟" هنا أشار كريستيان نحوها بالسكينة مازحا وابتسم.

- "ها أنتِ مرة أخرى تتحدثين بشكل رسمي".

لم أستطع أن أنصت لهذا الحوار، فقد كنت أتوق ولمدة طويلة إلى مشاهدة التلفزيون. قضينا الأمسيات القليلة الماضية في غرفة المعيشة، أمي تنسج التريكو وبجانبها كوب من الشاي، وأنا أقرأ كتابا فكاهيا ملقيا نظرات حائرة على الصندوق البني العملاق القابع هناك والذي يحملق نحونا

Twitter: @ketab_n

بعينه الخضراء التي لا ترى. يقبع المستقبل في هذا الصندوق: العالم الكبير وغير المفهوم، الجميل والغامض. انفجار ذري فكري ينتشر ببطء لكننا لم نعرف عنه شيئا حتى الآن، وإن كانت لدينا عنه لمحة بسيطة. أما السبب في أنه لا يزال صامتا كما عرفت من أمي هو أن الساكن قد يعتقد أننا تجاوزنا حدودنا إذا ما تركتني أضغط زر التشغيل العاجي الأصفر، أو ربما يسمع الصوت من غرفته فيشجعه هذا على احتلال مساحات أوسع عن تلك المنصوص عليها في عقده، فقد يغزو غرفة المعيشة الخاصة بنا، وليلة بعد ليلة قد يشعر أنها امتياز مستحق له، كانت هنالك الكثير من الاحتمالات التي لم تمنعني من التفكير في شيء واحد:

- "أنا أريد مشاهدة التلفزيون!"

أصبح علينا أن نجلس ونتظاهر أن هذا الشيء موجود هنا كي نحافظ عليه. وكان الحفاظ على الأشياء أكبر همنا في هذه الشقة. بدأت أمي تقرأ الصحيفة كي تعرف ما هي البرامج التي ستذاع، حيث وجدت فيها برنامج إريك ديسن "استعراض الأغاني" Hit Parade والذي يذيع موسيقى "بحار" Sailor كما يمكننا انتظار معزوفة الفالس "الحياة في غابات فنلندا" Life in the Finnish Woods والتي لا تستطيع سماعها إلا من خلال برنامج ما يطلبه المستمعون، وماذا عن لعبة "ضاعف أو توقف" Double or Quit التي سمعت إيسي يتحدث عنها على أنها العجيبة الثامنة من عجائب العالم؟

قمت من الطاولة واتجهت مباشرة إلى غرفة المعيشة دون أي تردد، وضغطت زر التشغيل الموجود فوق علامة تاندبرج التجارية، لكن شيئا لم يحدث. لم يصدر أي صوت، ولم يخرج أي وميض لمدة ثلاثين ثانية. ثم حدثت فرقعة كعاصفة ثلجية عصفت بوجهي، وسمعت صوت كريستيان من المطبخ يقول:

Twitter: @ketab_n

"علينا أن نحصل على رخصة للمشاهدة، غير أن هذا التلفزيون يحتاج إلى هوائي".

نهض على قدميه ودخل غرفته، فتش في صندوق وجاء بشيء يسمى هوائي داخلي، كان يشبه قرن استشعار مجلفن لخنفساء عملاقة، قال إنه قديم ولا يعمل. لكن بمجرد أن ثبته بدت على الأقل سمكات قليلات يسبحن حول شيء مجوف، وظهرت خطوط متموجة تشبه بعض الشيء ورق الحائط الملصق في بيت السيد سيفرسن.

قال كريستيان: "سأشتري واحدا جديدا" ثم قام بثني الهوائي مما جعل الموجات تكبر وتصغر.

جلسنا ننظر إلى السمك، بينما جلست أمي على حافة الكنبة وألصقت ركبتيها وانحنت في وضعية مترقبة كما لو كانت تنتظر الأتوبيس، كان كريستيان يقف في منتصف الغرفة بينما يباعد بين ساقيه. عقد ذراعيه، وثبت عينيه على باب البلكونة التي من المفترض أن يثبت فيها الهوائي. لم يجلس حتى طلبت أمي منه ذلك، ثم استغرق في تفكير عميق على حافة الكرسي بينما أراح كوعيه على ركبتيه ومسح ذقنه بمفاصل أصابعه وبدا عليه عدم الارتياح أيضاً. كنت أنا الشخص الوحيد متيقظ الذهن، وخلال هذه الأمسية وضعت الأسس الأولى لما اعتقدت وشعرت في هذا الوقت أنه صداقة.

اتضح أن كريستيان كان مغرما بالأرقام مثلي وبحساب الوقت، والتواريخ، وأرقام السيارات. كانت أي معلومة تتعلق بهذه الأشياء تمكث في عقلي على الدوام. كان يعرف على سبيل المثال أنه يوجد حوالي

Twitter: @ketab_n

60000 جهاز تلفزيون في النرويج، بما يعني جهازا لكل عشرة منازل، بينما في الولايات المتحدة هناك جهاز ملون لكل بيت. كان يستخدم كلمات مثل "ذكي"، و"تنمية" و"غير دوري" وهي مفاهيم لم يكن لدي أنا وأمي سوى أفكار غامضة عنها. بعدما اختفت الأسماك، امتلأت الشاشة بوجه آسيوي كبير اكتشفنا بعدها أنه ينتمي لرجل له اسم سخيف النطق، يو ذانت، كان كريستيان يعلم أن يو ذانت ذكي وصاحب وجهة نظر، أو كما أضاف "يقولون عنه ذلك". هذا الرأي المتعلق بالمستوى الفكري ليوذانت لم يكن رأي الساكن وحده، بل كاد يكون رأي الأغلبية، عرفت هذا من خلال عبارات مثل "إنهم يقولون" و"طبقا للتقارير". كان هناك سحر لا يقاوم في كل جملة يقولها كريستيان. وعلى الرغم من أنه في الدقائق التالية استخدم الكلمات "حمار" (مرة)، و"مقرف"، و"كرش"، و"ذاهل" إلا أننا اعتقدنا أنه ربما يكون متعلما. من خلال ملامح وجه أمي كنت أعرف أن هذا يزعجها أكثر من استخدامه للغة مبتذلة، أعني أنه يمكن لأي شخص أن يلاحظ أن جو الحديث قد تكدر بعدما تم نقل باب حجرتي القديمة. لابد وأن ما يزعج أمي هو هذا الخليط، إن ما يضايقها هو أن نفس الشخص الذي يستخدم كلمة "غير دوري" يمكنه أن يستخدم كلمة "حمار" كما لو أنه هجين، رجل من دون أصل، شخص يعرف الجميع أنه غجري، مما يعني بدوره أنه زائف ولا يمكن الثقة به، هل سمحنا لحصان طروادة أن يستقر في حياتنا؟

انتهى المساء بتعليق مختصر من أمي:

- "حسنا، أعتقد أن وقت النوم قد حان".

وقفَت وسحبَت خلفها حافة تنورتها. قفز كريستيان واقفا كما لو أن أحدا أمسك به وهو منغمس في فعل فاضح.

Twitter: @ketab_n

- "نعم، الغد يوم جديد. طاب مساؤك".

ما كاد يدخل الغرفة حتى عاد ليقول: "أشكرك على العشاء، نسيت أن أقول شكرا". ووضع عملة سوداء اللون بقيمة خمسة أورا على التلفزيون... قال إن بإمكاني أن آخذها، كانت هذه عملة من أيام الحرب، أخبرني بأنه كان يجمع العملات و افترض أنني أقوم بالشيء نفسه.

أخيرا أصبحت أنا وأمي قادرين على الذهاب إلى الحمام كما نفعل كل مساء، أصبح مكوثنا به أطول منذ مجيء الساكن، حيث كان على أمي أن تنتظر حتى اللحظة الأخيرة لكي تزيل الزينة التي تضعها قبل أن تذهب لمحل الأحذية، بينما كنت أجلس أنا في زاوية الحمام على حافة حوض الاستحمام ممسكا بفرشاة الأسنان في يد وبالعملة في اليد الأخرى.

قالت بينما كانت تنظر إلى المرآة: "ما رأيك؟"

قلت: "جيد" وكنت أعني التلفزيون الذي على الرغم من أنه لم يرتق لتوقعاتنا بسبب البرامج التي عرضها على ما أعتقد، إلا أن هنا كان من السهل تداركه، فعلى الأقل لدي ما يمكنني أن أخبر به زملائي في المدرسة في اليوم التالي.

قالت: "غريب".

- "ما هو؟"

- "أتمنى فقط أن لا نكون قد ارتكبنا حماقة".

- "ماذا؟"

- "ألم تر يديه؟ إنه ليس عامل بناء على الإطلاق".

- "ماذا تعنين؟"

Twitter: @ketab_n

- "حسنا، هل رأيت يدي فرانك... السيد سيفرسن؟"

لم يكن لدي أدنى فكرة عما كانت ترمي إليه لكنني نظرت إلى يدي اليسرى التي بها العملة، لم يكن هناك أي شيء غريب.

قالت أمي: "آمل ألا يكون متعجرفا".

لم أكن أعرف معنى هذه الكلمة لكنني لم أعتقد أن كريستيان كذلك بعدما شرحتها لي.

في الأيام التالية، اتضح أن الساكن الجديد لديه عدد من الأشياء التي يتوق أي شخص لامتلاكها، حربة حصل عليها حين كان جنديا، مجهر في صندوق خشبي له تركيبات نحاسية، صرة جلدية تحتوي على ثمانية وعشرين كرة حديدية كانت في محامل الجرافات الصفراء ويمكن أن تستخدم كبلي أو كأشياء تقلبها في يدك. في صندوق خشبي آخر كان لديه قطعة نحاسية لها قمة دوارة بها أشكال حلزونية خضراء تجعلك تشعر بالدوخة حين تشاهدها. كما كان لديه شطرنج له قطع معدنية زعم أنه صنعه بنفسه هو والقمة الدوارة، كانت حرفته صناعة الأدوات كما أخبرني. على الرغم من هذا فهو لم يحب صناعة الأدوات لأسباب شرحها لي لكنني لم أفهم منها كلمة واحدة. ولأنه لا يحب صناعة الأدوات فقد انتقل إلى البحر الذي استمتع به كثيرا حتى تحطم قاربه في غرب أيرلندا. وعندها شعر بأنه لا يريد الإبحار مرة أخرى وعاد إلى صنعته القديمة. ولأنه لم يتغير في غضون هذه السنوات، فقد تحول إلى مجال البناء.

لم نعرف المزيد من المعلومات عن هذه الوظيفة التي لم تكن تتسق وحالة يديه وفقا لما اعتقدته أمي، حتى سألته صراحة في إحدى الأمسيات بعد أن دفع الإيجار عن الشهر الأول في موعده.

Twitter: @ketab_n

رد بنظرة مصوبة إليها "أقوم بأعمال اتحاد البنائين في أغلب الوقت"، ثم دخل إلى غرفته وتركني وأمي ننظر إلى بعضنا في ذهول.

قالت: "يا إلهي".

لقد أفسح هذا اللغز الطريق لألغاز أخرى للظهور. لماذا لا يكشف كريستيان أوراقه على الطاولة كما نفعل أنا وأمي، خاصة وهو الآن يعيش هنا وهو لطيف بشكل جعلنا نحبه؟

كنت منسجما لفترة طويلة مع كريستيان لأنه كان بحارا وصانع أدوات، كنت منسجما معه إلى حد كبير لدرجة أن هذا تحول إلى مشكلة أيضاً حيث كانت أمي ترفض أن تتركني أدخل إلى غرفته كلما شعرت بأنني أريد ذلك، وكنت أشعر بهذه الرغبة كل ليلة تقريبا. قرعتُ الباب، فقال "تفضل بالدخول" دخلت ووقفت محملقا باندهاش حتى نظر إلي من فوق الجريدة وأومأ إلى الكرسي الدوار الوحيد الذي اتستعت له غرفته بجوار الكرسي ذي المسندين الذي كان يجلس فيه. استمر في القراءة لدقيقة أو دقيقتين بينما كنت أجلس ويداي محشورتان بين ركبتيّ. أخذت أمر على الكتب بعيني، فلاحظت صرة البلي المعدني ولوحة الشطرنج تتدليان من خطاف على الحائط، انتهى من القراءة وسألني إن كنت قد قمت بواجبي المدرسي.

قلت: "نعم".

قال: "لم أقم بأي واجب مدرسي مطلقا".

لم يكسر هذا حاجز التوتر الذي كان بيننا، فقد كان لدي الكثير من الأصدقاء ممن لا يقومون بواجبهم المدرسي أيضاً، وأوقعهم هذا في

Twitter: @ketab_n

المتاعب، علاوة على أن الكلمات والأرقام ممتعة بالنسبة لي، ولابد أنه قد لاحظ هذا.

قال: "أنت فتى ظريف".

قلت: "وأنت أيضاً. هل يمكننا النظر في المجهر؟"

- "اذهب وأحضره إذا".

سحبت المجهر وركبت المرايا وشرائح الزجاج وفحصنا سطح عملة معدنية، لم يبد منها الكثير سوى خدوش في كل مكان بعمق الوديان المنحدرة، وأشياء أخرى لا يمكننا رؤيتها بالعين المجردة.

سألني: "هل تعرف ما هذا؟"

- "لا".

- "إنه تاريخ العملة، أنظر هنا، التاريخ 1948، لقد مرت على آلاف الأيدي منذ هذا الوقت، فقد اهتزت في الحصالات وأدراج الصرف والمحافظ وماكينات العملة، وربما وقعت من تاكسي ورنت على أرضية شارع ستورجاتا في ليلة مطيرة، وأطاح بها أتوبيس قبل أن تجدها فتاة صغيرة في طريقها للمدرسة في الصباح التالي، فأخذتها إلى منزلها ووضعتها في حصالتها. إن هذه كلها مسارات، إنه تاريخ العملة، هل تعلم ما هو التاريخ يا فتى؟ إنه التمزق والبلى. حسنا انظر إلى وجهي على سبيل المثال، إنه مليء بالتجاعيد، مع أنني في الثامنة والثلاثين من عمري، الآن أنظر إلى وجهك، إنه بنعومة جلد الطفل، وهذا هو الفرق الوحيد بيننا، التمزق والبلى، تمزق ضئيل سببته ثلاثون سنة، وهو مثل الفرق بين هذه العملة وكرون أصدرت بالأمس مثل هذه". أخرج عملة جديدة عليها حصان مكان التاج الذي كان من قبل، تركني أتفحصها تحت المجهر. لقد كانت ناعمة بنعومة بحر لا تحركه الريح. غيرنا العدسة

Twitter: @ketab_n

ونظرنا بشكل أقرب، عندها لاحظنا أن سطح العملة الجديدة أيضا غير أملس، وإنما هو مليء ببلايين الجزيئات الصغيرة التي سماها كريستيان الدقائق المتبلورة، والتي سيزيلها التمزق والبلى. "بعبارة أخرى، فإن العملة لا تكون في أعلى درجات اللمعان، في نروتها كعملة، حين تلفظها ماكينة السك، ولكن حين يخرجها المالك السادس والعشرون أو الثالث والأربعون من جيبه ويشتري بها نقانق وكعكة بطاطس ومسطردة من أسبوا في بيركا، إن هذا هو ذروة تاريخ العملة حين تخرج من بين يدي عميل جائع وتستقر على طاولة بائع النقانق السمين. ومن هذه النقطة يبدأ كل شيء في الانحدار وبلا رجعة مع أن هذا يأخذ وقتا. هل رأيت قبل هذا عملات تبلى على الفور؟"

- "لا".

"ادخل إلى غرفة المعيشة وأحضر الموسوعة الخاصة بأمك، المجلد الذي على طيته حرف السين".

فعلت كما قال لي، بحثنا عن الملك "سيفرا"، الذي كان ذروة للتمزق والبلى في بلادنا، لكن سيفرا لم يكن محاربا وملكا قلب أمته رأسا على عقب فحسب، بل كان هناك تحت اسمه عملات مصورة في الموسوعة. يمكنك بالكاد أن تميز عليها الكلمات Suerus Magnus Rex والمكتوبة باللاتينية، كانت هذه العملات نحيلة كأوراق الشجر لذا فقد كانت كالورق الفضي اللامع الذي ينفذ نور الشمس من خلاله. لكننا هنا نتحدث عن فترة لا تقل عن 800 عام من التمزق والبلى، وكان هذا البلى الذي أصابها مناسبا لها كعملات، هكذا قال كريستيان في النهاية.

نظرت نحوه وأنا متحير.

قال بطريقة فلسفية: "وبناء على هذا، متى يمكن أن تحكم أن الإنسان في ذروته؟".

Twitter: @ketab_n

فكرت قليلا.

- "ربما حين يكون في عمرك" قالها بابتسامة ماكرة.

في هذه الليلة أخذت الموسوعة معي إلى الفراش، وقرأت المقالة المكتوبة عن الملك سيفرا بأكملها، وعلى الرغم من أن المقالة كان بها كلمات كثيرة لم يكن كريستيان يستخدمها إلا أنني شعرت أنه محق تماما.

Twitter: @ketab_n

5

لم تحب أمي زياراتي لغرفة كريستيان، كانت تقول إنني لا يجب أن أزعج الساكن، كما أنها لم تكن تحب أن أمكث بالداخل لمدة طويلة .كنت في بعض الأحيان أطرق لكنه لا يقول "تفضل"، فأمتنع عن الدخول. ربما أكثر ما كرهته أمي أنني كنت أعود من الداخل محملا بكل أنواع المعلومات، درجة الحرارة المتوسطة في أرخبيل سفالبارد، أو الاستهلاك النرويجي من خمر الأكوافيت، وهو 3,3 مليون لتر كل عام، بينما لا تشرب النرويج عشر هذا المقدار من النبيذ الأحمر، لم تكن هذه هي المعلومات المناسبة لحشو عقل طفل صغير بها ، كما كانت تقول.

- "لست طفلا صغيرا".

أخبرتها أن ما نطلق عليه نقانق حمراء هو في الحقيقة "سلامي"، وأن "أينار جيرهاردسن" رئيس الوزراء لم يكن محل ثقة على الرغم من أننا انتخبناه مرارا وتكرارا. لذا، فقد تم وضع حد لهذه الزيارات الليلية التي كنت أقوم بها. لم تسمح لي حتى بأن أعيد المجهر الذي استعرته لدراسة النسيج الشبكي لجوارب أمي المصنوعة من النايلون، بل فعلَت هذا نيابة عني. لكنها حين عادت كان خداها متوردين وأرادت أن تعرف إن كان الساكن عادة ما يعلق ملابسه الداخلية على عمود الستارة حتى تجف. لم تكن لدي أي فكرة عن هذا. لكنها استجمعت نفسها لغزوة جديدة ودخلت إلى غرفته مجددا كي تقول إنها لا تريده أن يترك الملابس الداخلية معلقة أمام النافذة فتراها كل المدينة.

Twitter: @ketab_n

- "حسنا" قال كريستيان دون أن يتحرك. "لكن أين يمكنني أن أجففها أو أغسلها؟"

انتهى الحديث بأن صار لكريستيان سلة خاصة به للملابس المتسخة، عليه أن يحملها إلى غرفة الغسيل، حيث ستغسلها أمي وتعلقها له في غرفة التجفيف. شعرت أن هذه الترتيبات كانت كي تتجنب أمي لمس ملابسه المتسخة، وكان هذا تفسير كريستيان أيضاً. أصبح التواصل قليلا بيننا خلال الأسابيع القليلة التالية.

في هذا الخريف، أضرب جميع الموردين، حتى أن البضاعة نفدت من متجر أومار هانسن، وقضت أمي وقتا طويلا في البحث عن الأشياء التي نحتاجها وهي في طريق العودة إلى المنزل من متجر الأحذية. مع هذا، ففي ظهيرة أحد الأيام وجدنا صندوقا كبيرا في البيت به سمن نباتي، وخبز، وبطاطس، وكفتة سمك، ولفافة من الكافيار، ومعجون الكبدة، وزجاجتين من شراب سولو، وثلاثة قطع من شيكولاتة فريا، وفي أسفل الصندوق نسختين من مجلة رعاة بقر كوميدية تركها لي.

قالت أمي: "لم يكن ينبغي أن تفعل هذا".

- "لم لا؟" قالها كريستيان الذي كانت له علاقات في اتحاد البنائين مثل فرانك بينما لم تكن أمي كذلك، بل إن اتحادها هو الذي كان يقود الإضراب.

- "يمكنك على الأقل أن تحتفظي لي بها في الثلاجة، أليس كذلك؟"

هذا هو نفس الإجراء الذي قمنا به مع التلفزيون، الذي كنا نشاهده أنا وأمي كل ليلة بشكل قانوني بعد أن حصلنا على رخصة باسمها. كان كريستيان يتدخل في حياتنا أكثر وأكثر بغض النظر عما كانت أمي تفعله.

سألَته: "كم تريد مقابل هذا؟".

Twitter: @ketab_n

أجاب بضيق: "ما هي مشكلتك؟" ثم دخل إلى غرفته وأغلق الباب خلفه. بينما ظل الصندوق مكانه لساعة أو اثنتين قبل أن تعود أمي لعقلها وتضع الأشياء في الثلاجة.

قالت: "هناك شيء ما ليس صحيحا"، ثم أضافت "حسنا" وأعطتني واحدة من زجاجات مشروب السولو... سولو مرة أخرى في منتصف الأسبوع!

تناولنا قطعة شيكولاتة أيضاً وفتحنا التلفزيون كي نشاهد استعراض الأغاني وفيلم وثائقي طويل، عن حصان يجر عربة تحمل صناديق البيرة من مصنعها وتوزعها على المحلات في المدينة. كان اسمه بامسا، أي الملاكم، وكان يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما وهو سن عظيم بالنسبة لحصان. وكان الموضوع الأساسي للفيلم أن عصر بامسا قد فات ومضى، ليس عصره هو فقط ولكن عصر جنسه بأكمله، فقد كان عليه أن يفسح الطريق للنقل بالسيارات والإسفلت وللسرعة. أصبح البرنامج باعثا على الاكتئاب أكثر وأكثر مع مكوثنا أمامه محملقين، حتى أننا بكينا. لحسن الحظ فقد انتهى البرنامج ببامسا وصاحبه يمشيان على مهل حول مرج في مزرعة كبيرة، حيث سيعيش آخر أيامه تحت الشمس المشرقة وبين الزهور المتمايلة وغناء العصافير.

قالت أمي: "شكرا للرب" ثم أغلقت التلفزيون بسرعة. أخذنا نطرف بأعيننا من الحملقة في التلفزيون حتى قالت أمي فجأة:

"سوف أخصم ثمنها من إيجاره!"

Twitter: @ketab_n

6

ثم وصلت ليندا. جاءت بالأتوبيس وحدها، لأن أمي لم يكن لديها أي رغبة في مقابلة أمها مرة أخرى، أو على الأقل كان هذا انطباعي عما يحدث.

كان هذا يوم أحد، وقد سرنا متمهلين صوب موقف الأتوبيس المجاور لمستشفى" آكر" قبل وصول الأتوبيس بوقت كاف وانتظرنا وصوله المزمع في الساعة 1:26، قضيت اليوم في المدرسة وبالكاد وصلت المنزل بحقيبتي المدرسية. لم أخبر أي كائن عن هذا أو عن ليندا لأنني لم أجد كلمات تصف الأمر. لكنني ألمحت بما سيحدث وبشكل غير مباشر تمامًا لصديق حميم لي يدعى روجر كان لديه أخوان كبيران. سألته عن شعور المرء حين يكون له إخوة كثيرون، وهو سؤال لم يستوعبه وإنما قال وهو يتكلف الابتسام:

- "أنت طفل وحيد".بدت العبارة وكأنها تشخيص لمرض، كما لو أنه يشير إلى أنني أعاني من عرج مثلا.

ألمحت إلى قليل من الأفكار بالإضافة إلى هذا التساؤل بينما كنا نركّب أجزاء السرير الجديد الذي نمت عليه لليلة واحدة، وبينما كانت أمي تجلس غارقة في التفكير خلال الفترة الماضية، أو عندما ذهبتْ إلى العلية وعادت بحقيبة السفر العملاقة الخاصة بنا الملصق عليها بطاقات للسفر بين لوم ودومبلس، والتي اتضح أنها مليئة بملابس أمي التي كانت تلبسها حين كانت طفلة في سن ليندا، أي في السادسة، أخرجتها، وأمسكتها قطعة قطعة وكانت تفكر وتتمتم وتقول "حسنا، يا إلهي، ما هذا إذاً؟ لا يوجد ما يناسب من بين هذا كله، ربما ما عدا هذا" أخرجت عروسة تدعى أماليا لم يكن شكلها جميلا للغاية حيث كان حشوها خارجا من جرح في بطنها، لأن إخوة أمي كما

Twitter: @ketab_n

قالت لي جربوا القيام بجراحة الزائدة الدودية عليها. كان لأماليا قدمان متدليتان ورأس طري غير ثابت، به خرزتان باهتتان مكان العينين.

- "أليست لطيفة؟".

- "امم".

وضعت أمي أماليا في سرير ليندا الذي كانت تنام عليه هي طيلة الأسبوع الماضي إلى أن اختفت أماليا مرة أخرى هذا الصباح.

تساءلت حين استيقظت: "أين أماليا؟" لكن أمي لم تجبني. "ستأتي اليوم، أليس كذلك؟ أقصد ليندا؟"

"بالطبع" قالتها أمي كما لو أن هذا سبب كاف لإعادة أماليا إلى العلية، حتى لا يكون هناك أي سوء فهم بين أمي وليندا على ما أعتقد، لكن ما أدراني أنا؟ كانت الملاءات قد تم تغييرها للمرة الثالثة، وكان السرير جاهزا.

أخيرا وبعد طول انتظار جاء الأتوبيس. توقف لكن لم ينزل منه أحد. في الناحية المقابلة ركب بداخله مجموعة من المسافرين، بينما وقفت أنا وأمي ننظر إلى أحدنا الآخر. نفثت الكوابح هواءها وقعقعت الأبواب واهتزت كما لو أنها تهدد بالإغلاق. تقدمت أمي بسرعة للأمام في اللحظة الأخيرة وصاحت "توقف"، قفز الكمساري من مقعده، أخذ بيدها وضغط الباب بركبته كي يفتحه بشكل كامل.

- "انتبهي يا سيدتي".

قالت أمي شيئا، لم يتحرك الأتوبيس على أي حال بينما اختفت هي بداخله خلف نوافذه المتسخة. اختفت لفترة طويلة. ثم انبعث صوت صياح من الداخل، وظهرت أمي في النهاية وهي منفعلة ووجها أحمر، تسحب

Twitter: @ketab_n

خلفها بنتا صغيرة تلبس فستانا ضيقا وجوارب بيضاء، في جو الخريف البارد، وتحمل حقيبة سفر صغيرة لبنية اللون.

"أشكرك... أشكرك" قالتها أمي للكمساري الذي رد عليها قائلا "العفو، بكل امتنان"، وقال تعليقات أخرى جعلت لون وجه أمي أكثر حمرة بينما كانت تعدل من مظهر شعرها. مشيتُ في دائرة وحملقت في القادمة الجديدة، ليندا، التي اتضح أنها صغيرة وسمينة. وقفتُ بهدوء وبعينين مثبتتين إلى الأسفلت.

بعد فترة تحرك الأتوبيس، وجثت أمي على ركبتيها أمام هذا الفرد الجديد في أسرتنا، حاولت التواصل بصريا معها لكنها لم تنجح في هذا إلى حد كبير. ثم فقدت التحكم في نفسها، وبدأت تحتضن هذه المخلوقة الخرقاء بطريقة أثارت قلقي. لكن ليندا لم يكن لها أي رد فعل على هذا أيضاً. جففت أمي دموعها وقالت تلك العبارة التي تقولها عندما تخجل من نفسها.

- "ما الذي أفعله؟ هيا بنا. دعونا نذهب إلى متجر أومار هانسن ونشتري بعض الشيكولاتة، هل تحبين أن تتناولي بعض الشيكولاتة يا ليندا؟"

لم تقل ليندا أي شيء. كانت رائحتها غريبة، وشعرها أشعث مبعثر. لكنها وضعت يدها في يد أمي، وأمسكت بإصبعين من أصابعها فجعلت مفاصل أصابعها تبيض. ثم فقدت أمي رباطة جأشها مرة أخرى، ولم أستطع أنا أن أشاهد المزيد. إن هذه المسكة التي أعلم بالفطرة أنها تعلق بالحياة، سوف تغير أغلب الأشياء، ليس فقط في حياة ليندا وإنما في حياتي أيضاً، إنها مسكة تتشبث بقلبك وتحدث به ضعفا يظل معك حتى تموت ويبقى بعد أن تتعفن في قبرك. انتزعتُ حقيبة السفر اللبنية الصغيرة الخفيفة للغاية وطوحتها خلف رأسي.

Twitter: @ketab_n

صحت قائلا: "إنها تسألك إن كنت تريدين تناول بعض الشيكولاتة! هل أنت صماء أم ماذا؟"

بدا الخوف على ليندا، بينما أرسلت أمي لي واحدة من نظراتها القاتلة التي تحتفظ بها للأوقات التي نكون فيها مع مجموعة كبيرة من الناس. أطعت رغبتها ومشيت خلفهما بخطوتين بينما كنا نصعد التل، وكانت أمي تتحدث بود مصطنع، وبصوت مرتفع وتقول "ها هنا نعيش يا ليندا" وأشارت إلى العوادم المتصاعدة من المرور عبر شارع تروندهايمز.

"في الطابق الثاني هناك. الشقة التي لها ستائر خضراء. إنها رقم 3، المبنى الثالث، وهو واحد من أولى المباني التي بنيت هنا..."

وقالت الكثير من الهراء الذي لم ترد عليه ليندا بأي شيء.

بعدما تناولنا الشيكولاتة، تحسنت الأمور قليلا حيث التهمتها ليندا وابتسمت. كانت تشعر بالارتباك أكثر من السعادة، ويجعلك هذا تشعر بقليل من الأسف نحوها، أعتقد أن أمي كانت تفكر في أنها أكلت الشيكولاتة بشراهة كبيرة، وأنها قد وجدت في ليندا عيبا، أو شيئا يتمنى المرء لو كان مختلفا وهو ما اعتقدت أنا أنه أمر جيد لنا جميعا حيث لم تنطق ليندا ببنت شفة. لم تفعل هذا حتى دخلنا إلى الشقة.

قالت "سرير".

ردت أمي بارتباك "حسنا، ستنامين هناك".

عندها حررت ليندا إصبعي أمي من قبضتها الحديدية ، وتسلقت السرير واستلقت وأغلقت عينيها. تابعت أنا وأمي هذا وزاد اندهاشنا في هذه اللحظة حيث أن ما شاهدناه لم يكن سارا، فقد نامت ليندا بعد أن تكورت على نفسها.

Twitter: @ketab_n

غطتها أمي وجلست على حافة السرير تربت على شعرها وخدها. بعدها بقليل تركت الغرفة واصطدمت بطاولة المطبخ.

- "أعتقد أنها متعبة ولا تستطيع القيام بأي شيء، يالها من فتاة مسكينة، أتت للمكوث معنا لكنها وحيدة للغاية..."

لم يثر كلامها تعاطفي، فمع كل ذلك، ما الذي يمكن أن يكون أفضل من تركها تمكث معنا وتنام في سرير رتبناه لها ثلاث مرات دون أن ينام فيه أحد؟ رحت أردد هذا كي أجعل أمي ترى أنني بدأت أسأم هذه الوافدة الجديدة.

لكنها لم تستمع لي، فتحت الحقيبة اللبنية الصغيرة ووجدت خطابا، كان دليل تعليمات المستخدم أكثر منه خطاب كما يبدو، عرفنا من خط اليد المتعرج أن ليندا تحب اللعب، والأكل، كانت قائمة الطعام المفضل لديها تشتمل على: عسل سوندا، والجبنة المتبلة، والبطاطس، ومرق اللحم. لم تكن تحب اللحوم أو الأسماك أو الخضراوات كثيرا. كما أخبرنا الخطاب بأن ننتبه ولا نجعلها "تأكل الكثير من الطعام". عرفنا أنها تعاني من مشكلة في ركبتها اليسرى وتتعاطى دواء لها. وجدت أمي أقراصا في علب عليها اسم ليندا في الحقيبة. أمسكتها ناحية الضوء كي تلقي عليها نظرة عن قرب، قرصان أو ثلاثة كل ليلة "وأعطِها الدواء مع كوب كامل من الماء قبل أن تذهب إلى الفراش مباشرة حتى لا تستيقظ في الليل وتُغِير على الثلاجة".

فقدت أمي هدوءها مرة أخرى:

- "يا إلهي".

قلت "ماذا حدث؟"

تأوهت قائلة "إن هذا محزن!"

Twitter: @ketab_n

مرة أخرى لم أفهم أي شيء، كررت سؤالي فحسب:

- "ماذا حدث؟"

- "إنها تبدو مثله تماما!"

صحت "مثل من؟" وشعرت أنني بدأت أفقد أعصابي ليس بسبب ما قالته وإنما بسبب هيئتها التي تغيرت. بالطبع كانت تشير إلى سائق الجرافة، أبي، أبو ليندا، السبب الدموي لكل هذا النحيب، الرجل الذي تمكن قبل أن يموت من خلق الكثير من الفوضى، حتى أننا لم نعد نعرف رؤوسنا من أقدامنا.

جاء كريستيان، وكأن كل هذه الجلبة لم تكن كافية حتى يأتي هو في هذه اللحظة، سمع شيئا ما وأراد أن يعرف ما الذي يحدث بالضبط.

"إن هذا الأمر لا يتعلق بك!" صاحت أمي بعدما خرجت عن شعورها بشكل كامل ولم تعد تحاول أن تخفي وجهها المليء بالدموع. "أخرج! هل سمعتني؟! ولا ترني وجهك مرة أخرى!"

كان كريستيان ذكيا بما يكفي لأن يدرك أن هذه حالة طارئة، فتراجع وضبط نفسه. أما أنا فلم أكن ذكياً.

صحت "ومن الشخص الذي أشبهه أنا؟ لم تقولي أبدا أنني أشبه أي شخص!"

- "ما الذي تقوله؟"

شعرت أنني شخص آخر، وقبل أن أدرك ما الذي أفعله، جذبت يدها وغرست أسناني في إصبعيها اللذين اعتبرتهما ليندا ملكا لها، وعضتتهما بأقسى ما أستطيع حتى يكون لدى أمي سبب يجعلها تصرخ وتتألم. صفعتني بشدة ولم تكن قد فعلت هذا من قبل، وقفنا نحدق في أحدنا

Twitter: @ketab_n

الآخر، وكلانا قد تغير. حتى أنني شعرت بابتسامة تخط نفسها عبر وجهي القاسي وبقشعريرة حادة.

ثم تقيأت على الأرض في المسافة التي بيني وبينها، ومشيت إلى الرواق دون أن أقول كلمة واحدة، ارتديت ملابس الخروج ونزلت إلى الشارع كي أنضم إلى الآخرين الذين ليس لديهم بيت، ولم يكن لهم من قبل منزل يذهبون إليه، الأولاد الكبار، الضائعون، ريمون واكرناجل وأوف يان وغيرهما، في هذه الليلة هشمنا نوافذ المباني أرقام 2، و4، و6، 7، و11 والنافذة الزجاجية الصغيرة الموجودة في مخزن ليان والذي تم تخزين دقيق الساغو والتبغ الملفوف به. لم يتم تهشيم هذا العدد الكبير من النوافذ في منطقة تونسن في ليلة واحدة قبل تلك الليلة. ربما كنت أنا الشخص الوحيد الذي يعرف سبب ما قام به، أو الشخص الوحيد الذي كان لديه دافع لفعل هذا... مخلوقة خرقاء غريبة تنام في سريرنا الجديد ذي الطوابق. أعتقد أن الآخرين فعلوا هذا كعادة اعتادوها، أو لأن هذه كانت طبيعتهم، بينما لم تكن طبيعتي أنا.

حدثت جلبة كبيرة بعدها وتحقيقات مع حارسي العقارات ورئيس تعاونية الإسكان. لم تكن هناك صعوبة بالطبع في العثور على المسئولين، فقد كانوا المشتبهين الدائمين أوف يان وريموند واكرناجل، أما أنا فقد كنت لغزا، الشخص الذي لم يرتكب أي خطأ من قبل، والذي كان يُعرف بابن أمه، ولم يكن هذا لأنني بلا أب، ولكن لأنني كنت غلاما متزنا وسريع البديهة وفق ما كتبته الآنسة هنريكسن على اختبارات الخط الخاصة بي، كان بإمكاني أن أكتب وأقوم بالعمليات الحسابية. لم أشعر بالخوف من أي شيء، حتى من ريموند واكرناجل، كنت أغسل الأطباق كل ليلة، وكنت صغيرا لكنني لم أتبول في بنطالي، وكنت سعيدا للغاية بطلاء

Twitter: @ketab_n

حائط كامل من غرفة معيشة بالفرشاة إن طلب مني هذا. هل كل ما في الأمر أنني انضممت إلى رفقة سوء؟ أم أن شيطانا متقلب المزاج يقبع داخلي ويتحكم في؟

أعطى هذا الفرصة لكريستيان كي يدخل إلى ساحتنا مرة أخرى... "هراء" قالها لرئيس تعاونية الإسكان جورجنسن الذي كان يقف في الرواق الخاص بنا بوقار متحدثا إلى أمي عن كيفية التعامل مع طفلها المزعج، "لم يقترف الصبي أي ذنب".

"وكيف لك أن تعرف؟" جاء هذا الرد جريئا من أمي التي كانت تعتقد أنه من الأنسب أن تتملق جورجنسن في هذا الموقف. ربما يرجع هذا إلى ماضيها وخلفيتها، فهي الأخت الأصغر بين أربعة أطفال من تورشوف لأب يشرب كثيرا وأم استقرت بعد موته على كرسي هزاز وبدأت تشرب هي الأخرى كثيرا.

- "يمكن للجميع أن يدركوا هذا، أليس كذلك؟ ممكن لأي شخص سليم العقل أن يعرف" قالها كريستيان بصوته الوقور.

ثم وضع يده على رأسي وابتسم، الرب وحده يعرف سبب وقوفه بجانبي، قال جملته ثم ذهب إلى غرفته وهو يدندن.

وقفت أمي عاقدة ذراعيها متململة، وقد لفت على إصبعيها - إصبعي ليندا- الملتهبين رباطا، أصبحت أقل ثقة الآن في التحالف الشنيع الذي أبرمته مع جورجنسن، الرجل الذي كان يحدد متى يجب أن يتم إفراغ الرديتر وتجميع الزلاجات قبل أن يتم تخزينها خلال فصل الصيف في الملجأ المضاد للقنابل.

Twitter: @ketab_n

قالت وهي تحول عينيها عني "حسنا، أعتقد أننا نبالغ في هذا الموضوع". وكان هذا ما يلزم كي أبدأ في الصراخ مرة أخرى وأقول بلا تفكير أنني سأدفع ثمن النافذة في مبنى رقم 11 من مدخراتي لأنني كنت من هشمها.

نظرت أمي إلي بتعاطف، وأبرك جورجنسن أن المفاوضات قد انتهت، لكنه وقف حيث كان، كما لو أنه يعلن أنه هو وليس أمي من يقرر متى سيغادر، ناهيك عن أنه من سيقرر أن الأمر قد سوي. ما إن فعل هذا، غادر على الفور.

عندها أصبحت أمي حرة كي تبدأ في خطبة حادة عصماء عن الابتعاد عن عصابات الشوارع، وعن الأسباب التي دفعتني إلى الانضمام إليهم، إلى غير هذا. كل هذا كان أمرا عاديا، على عكس القنبلة التي صعقتنا في اليوم الذي وصلت فيه ليندا، يوم الأحد الماضي.

إنها الآن تجلس على طاولة المطبخ تنتظر العشاء.

طبقا للتعليمات التي وجدناها في الحقيبة اللبنية، فإن أمي ستضع الزبدة على أزواج من شرائح الخبز في طبقين مختلفين تضعهما أمام كل منا إلى جانب كوبين من اللبن ،الإضافة إلى ما أي مما نفضله فوق الزبد، بينما تناولت هي شريحة واحدة مع المربى، وهو ما ذكرها بطفولتها أو بكل الأشياء التي ما لم تأخذ منها كفايتها على الإطلاق لأن هذه الأيام كانت قاحلة كما يقولون. وقفت إلى جانب لوحة تقطيع الخبز تتشاغل بشيء في الدولاب أو في الحوض وتلقي تعليقاتها الطريفة من وقت لآخر، دون أن تقدم لليندا مزيدا من الخبز أو الزبدة على الرغم من طول المدة التي مكثتها في مكانها، وهي تبعث لأمي بتلك النظرة الصامتة والتي يمكن في الظروف العادية أن تكسر أقوى إرادة. لكن ليندا لم تأكل

Twitter: @ketab_n

بالشراهة التي أكلت بها في اليوم الأول وأدركت أنه يتوجب عليها ألا تختطف الطعام الذي على الطاولة كما فعلت مع عسل سوندا.

على الرغم من أنني شعرت برغبة في تناول شريحة أخرى من الخبز في هذا المساء بالذات، ولم يكن تناولي لشريحتين أو حتى ستة شرائح قضية كبيرة قبل هذا، إلا أنني لم أفعل هذا، وقد تلقيت إيماءة عرفان من أمي على هذا حيث اتحدنا في اتباع التعليمات التي جاءت في الخطاب. بينما راقبت ليندا ما يحدث بصمت.

قالت "إقرءا".

فقرأنا، لكننا نظفنا الطاولة قبل أي شيء، وغسلنا الأطباق، إن كان من الممكن أن نطلق على ما حدث أنه غسيل حيث واجهت ليندا صعوبة كبيرة في الوقوف على الكرسي الذي اضطررت أنا إلى التخلي عنه، حركت يديها في الماء والصابون فحسب بينما كنت أنا بارعا أكثر من المعتاد. لاحظت أن رائحتها لم تعد غريبة، بل لم تكن لها أي رائحة، مثلي تماما. كان شعرها ممشطا وقصيرا وعليه مشبك شعر لبني كي تبعد أهدابها عن عينيها الواسعتين. سألتها أمي إن كانت تحفظ أي أغان. بعد الكثير من الهمهمة والتلعثم نطقت ليندا باسم أغنية لم أسمع بها من قبل، لكن أمي ابتسمت ودندنت نغمتها وهي تجفف الأطباق وتضعها في أماكنها، كانت تحفظ سطرين من هذه الأغنية غير المعروفة. ابتسمت ليندا بخجل وهي تنظر إلى مياه غسيل الأطباق، واحمر خداها، وهو ما اعتبرناه فألا جيدا لأنها في الحقيقة لم تبتسم كثيرا منذ وصولها.

حتى القراءة تغيرت بعض الشيء. فقد كان علينا أن نقرأ رواية توائم بابسي التي شعرت نحوها بسأم حقيقي، والتي كانت تحكي عن مجموعة من الأطفال لديهم عدد كبير من الأباء والأعمام والأخوال والعمات والخالات، هذا بالإضافة إلى قراءة قصة "ميت ماريت في مدرسة الباليه"

Twitter: @ketab_n

والتي قرأتها أمي وهي طفلة وحاولت إرغامي على قراءتها. لم أستطع أن أطيق ميت ماريت، ولم تكن ليندا تريد أن تقرأ كثيرا، أرادت أن تستمع فقط للصفحة والنصف الأولى مرارا وتكرارا، كما لو أنها تاهت عن خط سير الأحداث بمجرد البدء في القراءة، أو أن لها ولعا خاصا بالتكرار.

أصبحت موجودا تحت سقف بيت له جوه الخاص، فبينما أعقد ذراعي خلف رأسي مستلقيا، علي أن أحافظ على فمي مغلقا ولا أتحدث عن حاجاتي، وأنا أعلم أن أمي تقدر هذا. وقد اعتنت هي بأن ترسل لي نظرتها الجديدة المضافة إلى مخزون نظراتها السابقة تقديرا لصمتي، لقد أصبحنا فريقا مهمته الاعتناء بشخص لم نفهمه بعد، ولن نفهمه سوى بعد ثلاثة أشهر أخرى.

Twitter: @ketab_n

7

كما أوضحت من قبل، فإن أمي تنتمي إلى أسرة كبيرة إلى حد ما، ثلاثة إخوة كبار وأم ابيض شعرها تقاعدت على كرسي هزاز، وتقضي الآن أيامها في لعب متواصل ببطاقات اللعب بالإضافة إلى شرب أكواب لا عدد لها من النبيذ الإسباني، لكنها دائما تبتهج حين تراني، وتسألني عن الحال في المدرسة، فمن المهم جدا أن أكون مجدا في دراستي على الرغم من أنها لا تستمع لإجابتي على هذا السؤال مطلقا.

قالت "التقط بطاقة".

التقطتها. لم أكن أقضي مع جدتي وقتا كبيرا في العادة، باستثناء عشية الميلاد، التي كنا نقضيها في الطابق الأرضي من بيتها الذي كان كأي مبنى قديم من مباني الطبقات الكادحة في مدينة "تورشوف"، وكان هذا الطابق يشتمل على مطبخ وغرفة واحدة لسبب أو لآخر لم تكن تسمى غرفة معيشة وإنما كانت تسمى ردهة، وفيها يوجد فرن أسطواني عملاق يعمل بحرق الخشب، وكان دائما ساخنا، ويقبع خلف حاجز واق ساخن أيضاً.

عندما حلت عشية الميلاد، كان علي أن أذهب مع خالي أوسكار إلى القبو كي نقطع الخشب، وكان هذا وقتا مفعما بالبهجة أتى بعد المشي في الجو الثلجي البارد من "أرفول "وقبل أن تنبعث الرائحة الزكية لضلوع الخنزير، التي اندفعنا لالتهامها في الردهة حيث تقبع فيها الآن شجرة "تنوب" يتم تجفيفها بجانب الفرن الساخن. لا تزال جدتي تستخدم الشمع الحقيقي والذي كان من الواجب استبداله باالشمع السائل على فروع شجرة التنوب الجافة كما لو أنه مخاط الأنف.

Twitter: @ketab_n

وخالي أوسكار هذا هو أكبر أخوالي. كان يعمل في الشحن البحري التجاري، ولم يكن له زوجة أو أطفال،حتى إذا اضطر مع مرور الأيام إلى العيش معتمدا على إعانة من الحكومة، بدأ يقضي وقته في أعمال نجارة بسيطة. وعلى الرغم من كل هذه الصعوبات استطاع أن "يتكيف" على حد قول أمي. ومن عادة خالي كذلك أن يصل مبكرا في عشية عيد الميلاد، فيضع ضلوع الخنزير في الفرن، ويقطع مخزون الخشب في القبو لساعات كي يساعد جدتي في توفير وقود الشتاء. عندما ذهبتُ إليه، أراني كيف يتم تقطيع الخشب وتحزيمه، وكان لطيفا وفكاهيا وكثير الابتسام، لكنه لم يتحدث كثيرا. وعلى الرغم من أنني كنت أتطلع إلى لحظة توزيع الهدايا، إلا أن الساعات التي قضيتها في القبو مع خالي أوسكار كانت أفضل وقت في هذه الأمسية بلا شك. لكن لسبب ما، كان الآخرون يحبون انتقاده، وحدث هذا على وجه الخصوص حين جلسنا حول الطاولة، فقالوا إن ظهره قد انحنى عن المرة الأخيرة التي رأوه فيها وإن شعره قد ابيض بشكل أكبر.

اشتركت أمي معهم أيضاً، بينما لم أحب أنا هذا التهكم. كانت أمي أكثر تحفظا من خالي "بيارنا " المهندس الجاد الذي يعمل في مصنع للورق خارج المدينة، وبالتالي لا نراه سوى في هذا اليوم من السنة.

أما الأخ الأصغر، خالي تور، فيعمل نادلا في هيستسكوين، ورينا، وجريفسينسترا، و ... كان المكان الذي يعمل به دائما ما يتغير. وكان شخصية مبهجة ونشيطة، وقد رقص مع أمي بعدما تم توزيع الهدايا ووضع المشروبات على الطاولة. كما رقص مع زوجة خالي بيارنا، واسمها الخالة ماريت، ومع أنها عادة سيئة المزاج، إلا أنها بدأت تنبسط مع مرور الوقت حتى أصبحت مبتهجة في النهاية، على عكس زوجها بيارنا الذي كان يتلقى كتبا في كل عيد ميلاد، والذي ما إن أنهى انتقاده لخالي أوسكار، حتى فضل أن ينفرد بنفسه ليقرأ على مقعد المطبخ، نفس المكان الذي يبدو أنه قضى أغلب طفولته فيه. في نهاية الأمسية جمع الكتب التي قرأها وقطيع\طابور

Twitter: @ketab_n

أطفاله وزوجته المتقلبة، ومشى في طريقه نحو سيارات التاكسي في شارع ساناكر. وقطيع الأطفال هذا مكون من أبناء خالي الثلاثة، أولاد بيارنا وماريت، وهم يتحدثون لكنة مختلفة ويتأكدون على الدوام من أن زيت الطعام لم يتساقط على ملابسهم. كانت الابنة الكبرى التي تدعى ماريت أيضاً أكبر مني بعامين، وهي مرحة إلى حد بعيد، حيث كانت تحب أن تخدعني دائما ألاعيبها السحرية.

قالت "انظر يا فين" وفعلت شيئا بأصابعها يفترض أنه سحر، ثم أصبحت اليد التي كانت فارغة منذ جزء من الثانية ممسكة بقلب عيد ميلاد. لكن هذه الحيلة كان من السهل كشفها.

- "إنه في يدك الأخرى".

قالت "انظر الآن".

- "الآن القلب وراء ظهرك".

لكن هذا لم يمسح الابتسامة المرسومة على وجهها، حركت يدها ببطء فحسب كما لو كانت ستخرج عملة من أذني، ثم قرصتني في خدي مما جعلني أبكي وأصرخ من الألم.

"هل ترون؟" قالتها وهي تنظر للآخرين في انتصار.

- "وقع فين في الخدعة نفسها مرة أخرى، لقد أكل الطعم والسنارة".

كان هذا تعبير خالي بيارنا، فقد كان يحب مثل هذه التعبيرات، فكان يقول: "زاد الطين بلة"، و"ماري ماري عنيدة، و"تك تك هل يوجد أحد هنا؟" - عادة يقولها لخالي أوسكار، وهي عبارات وجمل تلفت الأنظار (لتعطي إحساس الإحراج) ونعتبرها أنا وأمي محرجة. لم تكن أمي تحب خالي بيارنا ولا زوجته ولا أطفالهما، وكنت أسمع كلمات مثل "أوغاد" أو "حمقى" منها حين لا تجدهم منصتين لها.

Twitter: @ketab_n

ما يميز خالي أوسكار في هذا الأمر لم يكن يكترث لعبارات الاستهزاء الموجهة إليه، بل يبتسم بروح تملؤها الدعابة على كل شيء. فأكل ببطء إلى حد الامتلاء بعدما انتهى من تقطيع الخشب في الفبو، كما أخذ ملابس العمل معه وعلقها في الحمام صغير الحجم قبل أن يرتدي بدلته الزرقاء لتناول الطعام.

أما أمي، فيقل كلامهاكثيرا وتصبح حساسة للغاية حين نكون هنا، كما أنها لا تذهب إلى المرحاض قط لأنه مظلم لهذا فهي تلزم مكانها. ثم تحتاج بعدها إلى يوم أو يومين كي تتعافى من هذه الزيارة، بينما تتمتم بأنه كان من الجيد أنها تخلصت من كل ما بجوفها بمجرد وصولنا للمنزل، مجهدين من المشي في الجو الثلجي البارد في ذلك الوقت المتأخر من الليل. فسرنا وكل منا يحمل حقيبة مليئة بالهدايا بمحاذاة حضانة راجنا رينجدال، عبر الطريق الدائري ومرورا بميسيلوندان، وهو الطريق الذي أمشي فيه متجها للمدرسة، ثم بجوار أكواخ الرجال الصفر والحمر والسود المغطاة بثلج لامع، فتبدو مثل حظيرة جوزيف ومريم. و خلف هذه الأكواخ صف صامت من نجوم بيت لحم التي تحول لونها إلى الصفار من أثر الضباب. إلا أن هذا المشهد البديع اخترقه أصوات حيوانات مفترسة، أو ربما كان هذا صوت غطيط. أسرعت أمي في مشيتها وتمتمت "مساكين" وقالت:

"إننا بحال جيد، نحن بخير. تذكر هذا يا فين".

على الرغم من كل شيء فقد كانت أمي مستريحة إلى أنها قد قضت عشية الميلاد في البيت القصي الذي عاشت فيه طفولتها.

Twitter: @ketab_n

في السنة التي استقبلنا فيها ليندا، أرسلت اعتذارا وقالت لي إن فكرة الذهاب إلى هناك لا تروق لها. لم أعرف ما الذي كتبته على بطاقات التهنئة بعيد الميلاد والتي أرسلتها لكل العائلة. قضينا عيد الميلاد نحن الثلاثة فقط، وكان هذا واحد من أفضل أعياد الميلاد التي يمكنني تذكرها على الرغم من أنه بدأ بداية غير مريحة. فقد ذهبنا إلى متجر "أرفول" واشترينا شجرة كريسماس سحبناها إلى المنزل على زلاجة الصيد الخاصة بإيسي، حتى اكتشفنا في منتصف شارع ترافر أن ليندا لا تعرف شيئا عن الهدايا.

قالت "ما هي الهدايا؟" بصوت هادئ للغاية بعدما تحدثت أنا وأمي بنبرة حماسية عن قوائم هدايا عيد الميلاد، وما الذي يحتمل أن نتلقاه منها، وعن ذلك الشعور بالراحة الذي ينتاب أمي هذا العام إذ ليس عليها أن تقلق بشأن أسرتها في تورشوف، وعن كريستيان الذي لم يدفع فقط إيجار ديسمبر وإنما دفع إيجار يناير أيضاً حتى يكون لدى أمي المزيد من المال لتلهو به في عيد الميلاد كما قال.

بزغت أهمية سؤال ليندا ببطء بالنسبة لأمي، في حين لم تتضح لي أنا، غير أنني أدركت خطورة السؤال من امتقاع وجه أمي، لذا فكل ما استطعت أن أقوله هو:

- "ألا تفهمين ما هي الهدايا؟ هل أنت غبية أم ماذا؟".

ثم سمعت من أمي شيئا لم أسمعه من قبل:

- "الآن عليك أن تخرس يا فين وإلا سأقتلك".

فهتفت: "ربما اعتادت أن تطلق على الهدايا كلمة أخرى، أليس كذلك يا ليندا؟".

حملقنا باتجاه ليندا مترقبين ردها، لكن لم يكن هناك أي بصيص أمل يدل على فهمها. ولأنها خافت من كل هذه الجلبة فقد أحكمت القبضة

Twitter: @ketab_n

الحديدية حول إصبعي أمي، وحملقت بعينيها في البعيد وأرادت أن تعود إلى المنزل.

مر بقية اليوم في حديث مطول من أمي عن وجود الكثير من الطرق للاحتفال بعيد الميلاد، وأنه ليس على ليندا أن تجهد عقلها فهناك بعض الناس يشترون هدايا لبعضهم وآخرون لا يفعلون هذا، وأنه لا حدود للتنوع في هذا العالم. ثم لاحظنا أن ليندا كانت تتطلع للهدايا التي ستحصل عليها حين فهمت أخيرا معنى الكلمة.

لم تستطع ليندا أن تقوم بصنع قلوب عيد الميلاد بشكل جيد، لكنني علمتها كيف يمكن قطع كرتونة البيض ولصق جزأين علويين بها كي تبدو كقلب ثم تلوينها بألوان الماء وهي الطريقة التي تعلمتها في المدرسة في اليوم الأخير من الفصل الدراسي. في النهاية ربطتُ هذه القلوب في خيط كي يتم تعليقها على شجرة عيد الميلاد.

بينما كنا مشغولين في هذه المهمة، أرسلت أمي لي نظرة من نظراتها الجديدة كانت تعني أنها تريد أن تحدثني على انفراد، فتركت ليندا في المطبخ وهي منهمكة في مهمة صناعة القلوب من كرتونة البيض.

في غرفة الجلوس انحنت أمي على أذني وسألتني إن كنت أرى أن نرسل بطاقة تهنئة بعيد الميلاد لأم ليندا، حيث أننا تلقينا منها بطاقة مكتوب عليها تهنئة بذلك الخط المتعرج المميز. ثم سألتني إن كان علينا أن نُري هذه البطاقة لليندا. على أي حال لم يكن بها أي جملة لطيفة أو خاصة وإنما كان مكتوب عليها عيد ميلاد سعيد، سنة جديدة سعيدة، ولينداً لا تستطيع القراءة كما أنها لم تذكر أمها على الإطلاق، حتى حينما سألتها أمي.

Twitter: @ketab_n

لم أتردد، أجبت مباشرة بلا على السؤالين. كنا في الثاني والعشرين من ديسمبر وكنت أعرف أن البريد يصبح أبطأ في هذا الوقت من العام، عرفت هذا حين وضعنا الإعلان في الجريدة.

في البداية رمقتني أمي بدهشة كبيرة، أتبعتها بنظرة لوم، ثم بدون أي سابق إنذار تغيرت وتحولت نظراتها إلى الدفء مرة أخرى حتى أنها حضنتني ودفعتني إلى المطبخ، وهناك كانت ليندا تتأمل الشكل الثالث الذي صنعته بالكرتون المقوى، بلون أسود وخطوط صفراء.

قلت لها: "عليك أن تنتظري حتى يجف، قبل أن تضعي لونا فوق لون، انظري".

شرحت لها عمليا بينما شاهدتني هي، وقلدتني. وما إن تعلمت لم يستطع أحد إيقافها عن صناعة هذه الحليات وتلوينها. حاولت أمي أن توقفها في المساء، حيث لم يكن لدينا مكان سوى لأربع أو ربما خمس حليات بحد أقصى على الشجرة، غير أننا سنضع الكثير من الأشياء اللطيفة عليها، حليات جاهزة اشتريناها من المتجر، وخيوط فضية، وأنوار، وقلوب، وأعلام، وبعض الطيور المزودة بمشبك للتثبيت في الشجرة. من جهتي شعرت بأن ما فعلته ليندا له علاقة بما حدث وقت القراءة، بمعنى أنها تكرر ما تفعله بشكل لا نهائي، وكان هذا مقلقا. أعتقد أن أمي كانت قلقة أيضاً حيث قالت فجأة إن علينا أن نذهب للبلكونة وأن نرى شجرة عيد الميلاد، والتي لن تنقل إلى غرفة المعيشة سوى في اليوم التالي، حيث كانت هذه هي التقاليد في بيتنا. بدأت تتحدث بتلك النبرة التي تحكي بها الحكايات المثيرة وهي واقفة في مدخل البلكونة الباردة، تعبر عن إعجابها بشجرة عيد الميلاد قبل أن ننقلها إلى الداخل، في حين تساقطت الثلوج من بلكونة أرنيبروتنز في الطابق الأعلى، فذكرنا المشهد بوالت ديزني.

Twitter: @ketab_n

بالطبع كانت هذه حيلة لتشتيت ليندا عما تقوم به. فهمت ما تريده أمي فمكثت في المطبخ لأرتب كل الفوضى التي تسببنا بها ووضعت الحليات الثمانية التي صنعتها ليندا في صف على الحائط، وإن كنتأعترف أن الحلية السوداء ذات الخطوط الصفراء كانت أفضلهم جميعا. عندما عادتا قالت أمي إن الوقت قد حان للاستمتاع بكوب من الكاكاو الساخن. لم يكن من الصعب على ليندا أن تركز انتباهها على العشاء، إذ اشتمل اليوم على قطعة إضافية من الخبز وعليها جبنة متبلة لها.

أخيرا زينا الشجرة في الثالث والعشرين من ديسمبر. فوقفت أمي على كرسي، ووقفت أنا على آخر بينما كانت ليندا تقف على الأرض، وكانت حلياتها معلقة على فروع الشجرة مثل كواكب في مجموعة شمسية متقلبة ومضطربة، ولأنها لم تكن قد فعلت هذا من قبل، فقد كانت هذه ليلة أخرى عظيمة بالنسبة لها. كان من الممكن أن تتحول هذه الليلة إلى مصيبة بأقل زلة لسان من جانبي، وكانت أمي في مزاج جيد خاصة وأن كريستيان قد انضم لأسرته وأصبح المكان لنا وحدنا.

في صباح يوم الرابع والعشرين، تجولت في الشوارع مع ليندا لبضع ساعات وللمرة الأولى كأخ وأخت. مر هذا بشكل جيد أيضاً على الرغم من أنني كنت عصبيا. أشارت آن بيريت التي تحب الجلوس في المنزل إلى أن ليندا لا تتزلج بطريقة صحيحة، فقد كانت تحاول دائما أن تتبع زلاجتي، وكنت أتركها تفعل هذا طبعا، غير أن هذا كان يعني أن تلتزم بأسلوبي في التزلج فظننت أنني أبدو سخيفا على هذا النحو. وكانت ليندا تصمت حين يحاول أي من الأطفال الآخرين الحديث معها.

- "ما اسمك إذا؟".

Twitter: @ketab_n

- "اسمها ليندا".

- "هل أنت في زيارة؟".

- "لا إنها تعيش هنا".

- "أين، في بيتكم؟".

- "نعم".

- "هل أنت أخت فين؟".

لم يجب أي منا على هذا السؤال.

- "تقول أمي إنك أخت فين".

- "تقول أمي نفس الشيء أيضاً".

- "هل هذا صحيح يا فين؟".

صمت.

- "فين لن يجيب. هل هي أختك يا فين؟ هيا، أخبرنا".

- "أين كانت طيلة الفترة الماضية؟".

قال ولد اسمه فريدي2 لها:

- "ألا تستطيعين أن تتكلمي أم ماذا؟".

همست ليندا: "لا" فضحك الجميع، وكان فريدي2 أعلاهم ضحكا. كان اسمه فريدي2 لأن شارعنا كان به ثلاثة بنفس الاسم، وكان فريدي1 هو الوحيد من بينهم الذي يتمتع بشخصية مميزة.

تساءل فريدي2"ربما هي صماء؟".

قالت ليندا "نعم".

Twitter: @ketab_n

جاءت ضحكاتهم أعلى هذه المرة، لكن إجابتها كانت جيدة فقد تمكنت من إيقاف سيل الأسئلة. استمتعنا بالمزيد من التزلج، مما سر ليندا بشكل كبير حيث تزلجنا على المنحدر الصغير الموجود أمام المنزل. وعندما كنا نهبط من المنحدر كانت تمسك بقفازي بنفس الطريقة التي كانت تمسك بها يد أمي. سرنا للأعلى ثم تزلجنا مرة أخرى للأسفل. ثم سألها فتى شديد التأنق:

- "أنت – ما اسمكِ؟".

- "اسمها ليندا، وقد أخبرتك عن اسمها من قبل!".

- "ألا تستطيع هي الحديث أم ماذا؟".

- "قولي شيئا يا ليندا!".

- "هل تحبين الطوفي يا ليندا؟".

- "...".

ثم بعد ساعتين، تجمدت عظامنا من البرد، وأصبحت كرات الثلج تتدلى من ستراتنا الصوفية وجواربنا وأوشحتنا، وقبعاتنا الصوفية، لذا دخلنا إلى المنزل، فكت أمي أربطة أحذيتنا وخلعتها عنا واحتضنتنا بلطف وقالت إن على ليندا أن تستحم الآن. كانت باردة كالثلج، وهي تحب أن تستحم، أليس كذلك؟

- "نعم".

ما أن جلست في النهاية في حوض الاستحمام، أصدرت أزيزا وهي تحرك في الماء بطتها الجديدة التي أهدتها لها أمي قبل عيد الميلاد. وضعت أمي الطاولة وأزالتها ثم أعادت وضعها وغيرت مفرشها قبل أن تضع عليها مفرشا أبيض، ثم قالت لي:

Twitter: @ketab_n

- "يبدو أنكما استمتعتما بالتزلج على المنحدر".

- "بالتأكيد".

- "لاحظت أنكما كنتما تلعبان مع الأطفال الآخرين".

- "امم".

- "كنتما تقضيان وقتا ممتعا على ما أعتقد، أليس كذلك؟".

- "..."

الكبار لا يستطيعون أن يفهموا أبدا كيف يكون الحال حين تكون بصحبة أطفال حمقى، لذا فقد أصبح هذا الحوار مشابها في الأسلوب لحديث فريدي2 المثير للغثيان، لذا فقد تركتها، واتجهت للتلفزيون وضغطت على زر التشغيل، إذ كان موعد فيلم "جيميني كريكيت" الكرتوني. لكن ما إن بدأت أندمج مع الفيلم لمدة تزيد على دقيقتين بقليل حتى رن جرس الباب.

- "هل يمكن أن ترى من بالباب يا فين؟ أعتقد أن أحدا ينتظر في الأسفل".

كان هناك شخص أمام باب الشقة.

إنه خالي تور الذي لم يزرنا من قبل، حتى حين كان يعمل بالقرب منا في هيستيسكوين التي كنا نراها من نافذة المطبخ. قال إن ليده مهمة اليوم، وبالفعل كان يقف في زي نادل مبتسما ابتسامة ثملة وقد غطى خصلات شعره المموجة ببريل كريم.

Twitter: @ketab_n

-"حسنا يا فين، هل تتطلع إلى عيد الميلاد؟".

-"نعم، بالتأكيد... إنه اليوم أليس كذلك؟".

- "نعم، هذا صحيح".

جاءت أمي من خلفي وقالت "أهو أنت؟!" كانت تداعب قرطها لكن نظرتها لم تخل من الانتقاد. لابد وأنها لاحظت -مثلما لاحظت أنا – أن الضيف جاء بيدين خاليتين وبلا هدية واحدة. كان هذا خالي تور الذي يمكنه أن يهديني زلاجة غالية في أحد أعياد الميلاد ولا يشتري لي ولو سندوتش نقانق في العام التالي لأنه مفلس! وهو ما يعترف به في صراحة ساحرة. كانت أمي تقول إنه فرد العائلة الوحيد الذي لن يكبر، مهما بلغت سنه، وبالفعل كنت أشعر أنه في سني في كل الأيام التي عرفته فيها. قال إنه مر علينا لكي يوصلنا وإن السيارة منتظرة في الشارع.

- "السيارة؟".

- "نعم، التاكسي".

أسرعت أمي للبلكونة.

"هل جننت؟ أجئت بتاكسي وجعلته ينتظر بالأسفل وعداده يعد؟".

"نعم، ألستما جاهزين؟" قالها ببراءة بينما عيناه تمسح ورق الحائط والكنبة وشجرة عيد الميلاد بإعجاب واضح، ثم ثبت عينيه على التلفزيون على وجه الخصوص فأغلقته أمي ووقفت أمام شاشته، واضعة يدها عند وسطها وموجهة له نظرة فولاذية.

- "أهذا شيء خططت له أنت وبيارنا؟".

Twitter: @ketab_n

بعد هذه الجملة سارت الأمور في مسارها المعتاد. فارتمى خالي تور على الكنبة، وتنهد وحرك أصابعه على ثنية في بنطاله الجينز، ومد يده للأسفل كما لو كان يحاول هز سوار ساعته.

- "نعم" قالها وهو ينظر إلى الساعة.

قالت أمي بنبرة تأنيب "لقد تحدثنا في هذا الأمر".

"نعم" قالها ثانية وهو ينظر إليّ هذه المرة، وقد أدرك أن عليه أن يبتسم، وابتسم بالفعل، ثم عاد لملامحه الجادة واستمر في الجلوس كما لو أن صراعا ما يدور بداخله.

لم تقل أمي أي شيء، لكنني استطعت أن أتبين من تعابير وجهها أنها لم تبسط سيطرتها الكاملة على الموقف فحسب، بل أنها مستمتعة بهذا أيضاً. ذهبت إلى غرفتها وأحضرت حافظة نقودها.

- "ليس لديك ما تدفعه للتاكسي، أليس كذلك؟".

قال خالي تور وهو يحملق في ورق الحائط مرة أخرى "امم... بلى".

- "خذ هذه النقود، وسلم على الآخرين واقضوا وقتا طيبا".

وقف خالي تور.

- "حسنا يا أختي. ها أنت تكسبين كالعادة".

أشار بإبهامه موافقا، وأخذ النقود ثم اتجه إلى الطرقة، لكنه تذكر شيئاً.

- "هل يمكنني أن أتحدث إلى الفتاة؟".

قالت أمي باقتضاب "إنها تستحم". نظر خالي تور للأسفل محرجا، وقال- "حسنا، أعتقد أنه كان علي أن أحضر لها هدية".

- "نعم، كان يتوجب عليك".

Twitter: @ketab_n

ثم مرت لحظات قليلة أخرى من الإحراج قبل أن يلتفت إلي، موجها لكمات في الهواء نحوي وقائلا في دعابة ا:

- "انتبه للكمة يا فتى، انتبه للكمة...".

ثم فتح الباب، وقال عيد ميلاد سعيد، وسلك طريقه نازلا السلم.

"وغد" قالتها أمي، ثم خطت بسرعة نحو المطبخ، وعادت ثم قالت كما لو كانت تقود مجموعة من أفضل الجنود: "هيا يا فين، ارتد ملابسك، ولسوف تبدوان أنت وليندا أجمل هذه المرة من أي مرة قبلا".

أخرجنا ليندا من حوض الاستحمام بعد أن صار ماؤه باردا في تلك الأثناء، حتى أنها كانت ترتعش وأسنانها تصطك ببعضها. لكنها ضحكت حين لفتها أمي بالمنشفة وصدرت عنها قهقهة لم نسمعها سوى مرة واحدة من قبل. كان مظهرنا أفضل وأكثر رسمية، ولم يشكل هذا مشكلة لليندا التي لم تكن بطبعها كثيرة الحركة، لكنني لم أستطع أن أجلس ثابتا أثناء تناول الطعام في المطبخ - على الرغم من أننا في يوم العيد - كما لم يكن الطعام ضلوع الخنزير هذه المرة، وإنما فخذ خنزير مشوية مع الكثير من صلصة المرق.

قرأت الأسماء على الهدايا لأنني كنت أفضل من يقرأ في الأسرة. ومن الطريف أنك ترى صورة حقيقية للحياة حين تقف هكذا بجانب شجرة عيد الميلاد المتلألئة، تقرأ الأسماء المكتوبة على الهدايا، وتتبين من يمكنك الاعتماد عليهم في هذا العالم. لم تحصل جدتي على درجة كبيرة هذا العام على سبيل المثال، فقد أرسلت لي أنا ولِيندا لعبة بطاقات، بينما لم ترسل لأمي أي شيء. أرسل لنا خالي بيارنا وزوجته ماريت هدايا لطيفة

Twitter: @ketab_n

كالعادة، لكنهما لم يعطيا لأمي أي شيء، مع أنها في العام الماضي تلقت منه تحفة ثقيلة الوزن كانت أغلى من أي شيء تستطيع شراءَه.

خالي أوسكار فقط هو الذي أهدانا ما كنا نريده، فقد أهدى لليندا أحجية لم تستطع اللعب بها، وأعطاني عدسة مكبرة، وأعطى أمي موقدا يعمل بالغاز. تذمرت أمي حين رأته على الرغم من أنها كانت قد قالت من قبل إنها تريده، خاصة بعد أن تعطل موقدنا القديم في نزهة ذهبنا إليها في الخريف الماضي.

وكذلك اشترى كريستيان هدايا لنا جميعا. فأهدى لأمي بعض المجوهرات، مما صدمها وفاجأها في ذات الوقت، وجعلها تشغل نفسها بأي شيء آخر غير ما نفعل. وأهدى لليندا زلاجة ألمانية وأهداني كتابين، الكتاب الثامن عشر من سلسلة "الخمسة المشهورون"، وروزنامة بها فاصل صفحات وجملة عن الانتشار السريع لمشاهدة التلفزيون:

"من خبرتنا نعرف أن الأطفال الموهوبين كثيرا ما يفضلون قراءة الكتب والمجلات عن قضاء ساعات فراغهم أمام شاشة التلفزيون، بينما هناك ميل كبير عند الأطفال الأقل موهبة لقضاء وقتهم في المشاهدة..."

قالت أمي "ما الذي يعنيه هذا؟" وانتزعت الكتاب مني وقرأت فيه بإمعان بحاجب مرفوع قبل أن تعيده إلي، وتكرس انتباهها للمجوهرات التي استطعت أن أقرأ عليها 585 قيراطا من خلال العدسة المكبرة التي أهداها لي خالي أوسكار، وقد كانت الهدية عبارة عن أرنب بري ثبت مخالبه عند عينيه.

حصلت ليندا على أغلب الهدايا، بما في ذلك هدية أعطيتها لها. وكان أغلب ما حصلت عليه من الملابس مما حتم عليها أن تجربها وتخلعها وتجربها مرة أخرى، بينما كنا نأكل "الحلوى والكعك ونضحك ونضحك، حتى نامت بينما كنا نتزلج. وأوشكت أنا كذلك على النوم وأنا أقرأ الصفحات الثلاث الأولى من كتاب كريستيان على الرغم من أنه كان

Twitter: @ketab_n

يحتوي على صورة ليوري جاجارين، عندها جاءت أمي إلى غرفتي والدموع في عينيها. همست بشيء عن أن الحياة كانت لطيفة حين كنا وحدنا، "أليس كذلك؟".

لم يكن لدي إجابة على هذا، إذ لم يكن عددنا كبيرا حقيقة لتقول هذا.

وإنما كان من عادة أمي أن تقول أشياء غير متعلقة بالموضوع الأساسي حين تريد أن تخبرني بشيء ما، وهي هذه المرة تخبرني بما قد تكون العائلة قد تحدثت به خلال الأمسية، وهو أمر آخر لم أستطع أن أتحدث بشأنه.

لم تظهر المشكلة الحقيقية إلا بعد عيد الميلاد بقليل. شرحتها أمي لي بأن قالت إننا ثلاثة الآن، وستذهب ليندا إلى المدرسة عما قريب، لكن حتى تذهب للمدرسة سيكون على أمي التخلي عن وظيفة متجر الأحذية وهو أمر لا نقاش فيه، حيث قد تحتاج أمي على الأغلب أن تعمل لدوام كامل. ما زاد الأمر سوءا أن الحضانة التي خلف الكنيسة رفضت طلب التقديم الخاص بنا، ربما سنجد مكانا فيها في الربيع، لكن ما الذي سنفعله حتى هذا الحين؟

حتى هذا السؤال لم يكن موجها لي، فلدى أمي إجابة له.

سألتني "كيف أبدو؟" كنا في الثامن والعشرين من ديسمبر بعد الساعة الثالثة عصرا بقليل.

وضعت بعض الزينة وارتدت فستان العمل ووضعت افضل وشاح عندها على كتفيها ثم طلبت مني أن أعتني بليندا، وخرجت. بدأت بزيارة عمارة رقم 1، ثم انتقلت من مبنى لآخر، تدق أجراس الأبواب وتهنئ بعيد الميلاد، وتسأل إن كان هناك من يمكنه أن يعتني بفتاة صغيرة لخمس أو ست ساعات

Twitter: @ketab_n

يوميا حتى الربيع. عندما وصلت إلى مبنى رقم 7، وجدت الشخص المناسب، فتاة في العشرين من عمرها، اسمها إيفا مارلين، أصبحنا نناديها منذ هذا اليوم بمارلين فقط، كانت تعمل كنادلة في المساء في كونتراسكيارت، وتنام طيلة النهار في بيت والديها. بدت اختيارا جيدا على الرغم من أن ليندا هربت واختبأت في اللحظة التي رأت فيها رأس مارلين.

- "تعالي وقولي أهلا لإيفا مارلين يا ليندا. إنها ستعتني بك وأنا في العمل".

لم يكن لهذا أي أثر عليها ولا يمكنني أن ألوم ليندا، حيث كانت تنتقل من أم لأخرى وبعد أن اعتادت على الأم رقم 2 فها هي الآن تتعرف على الأم رقم 3. لكن مارلين التي تبدو من أول وهلة فتاة متقلبة، اتضح أنها نشيطة ومتواضعة وواقعية، وأنها تعمل في نفس مجال خالي تور، صناعة الخيال، كما تطلق أمي عليها حيث الأحلام والجنون وجهان لعملة واحدة.

قالت مارلين "ستعتاد عليّ" ووجهت وجهها نحو الغطاء الذي اختبأت ليندا تحته ثم أدارت بصرها في المكان كي تكون انطباعا عما سيكون الحال عليه حين تقضي وقتها هنا، وأردفت "لدي ثلاثة إخوة صغار وأنا معتادة على الأطفال".

عندما غادرت مارلين بعد أن شربت ثلاثة أكواب من القهوة، قالت أمي مازحة "لا أعتقد أننا سنستطيع أن نبقيها معنا لفترة طويلة" في إشارة لاكتمال أنوثتها وشخصيتها المرحة، "فقط آمل أن نستطيع إبقاءها حتى مارس... ربما نستطيع فعل هذا إن كنا محظوظين للغاية".

قالت الكثير من الكلام، وأخبرتني أن الحظ الجيد يتبعه دائما حظ سيء.

Twitter: @ketab_n

هكذا انتهى عام حائط برلين وجهاز التلفزيون ويوري جاجارين، السنة التي بدأت مثل غيرها من السنين لكنها ولأسباب عادية جدا مثل حمى الديكور والفقر، تحولت أمي من مطلقة إلى صاحبة غرفة يتم تأجيرها وأم وحيدة لطفلين، وحولتني من طفل وحيد، إلى واحد من طفلين ينامان في سرير له طوابق، ولا حاجة لي بأن أذكر كيف غيرت هذه السنة حياة ليندا. لم نكن واعين لهذا كله، ولم نكن نفهم كثيرا مما يدور حولنا. لكن كما اعتادت أمي أن تقول: "بفضل الرب تأتينا الحياة بأشياء متنوعة ومختلفة".

Twitter: @ketab_n

8

بدأت السنة الجديدة بالثلج، حيث تراكمت أكوام وأكوام منه في البلكونات وعلى الأسطح وفي الحقول والشوارع، وتكونت منحدرات الثلج وظهرت الزلاجات الكبيرة، ورجع الأطفال إلى التعلق بمصدات السيارات الخلفية وهي تدور في شارع ترافر، تمشي فيه لكنها لا تبعد عن متجر ليان قبل أن تبحث عن ملاذ في شارع إيكلند. تتنزل سكينة خالدة على هذه الضاحية التي اعتادت الصخب عند ارتفاع أكوام الثلج، فتختفي السيارات من شارع تروندهايمز، ولا يعود بالإمكان رؤية أي شيء سوى الأجزاء العلوية من أتوبيسات شيون فوق التلال البيضاء، التي تنزلق كطائرة بلا صوت فوق الصحراء الثلجية الشاسعة، تلك الصحراء التي وحدت الريف والحضر والغابات والمساحات الواسعة المفتوحة والبحر جميعا.

لم يكن هناك داع لأن نلزم أنفسنا بالتزلج على المنحدر الموجود أمام منزلنا، بل كان من الممكن أن نعبر الشارع ونستكشف هاجان، وهي مساحة كثيرة النماء بها أشجار السنديان والفاكهة وشجيرات عنب الجوسبري وبيت أبيض به نافذة واحدة يخرج منها ضوء. في ذلك البيت كانت تقيم سيدة مسنة اعتدنا على أن ندعوها روبي، وكانت جزءا من الخلود أيضاً، كالثلج والخيول. وإذا ما تسللْتَ إلى هناك في وقت متأخر من الليل، فتسمع ضوضاء غريبة تأتي من البيت المظلم تخيف أي شخص.

ابتعدت عن المبنى الذي نسكن فيه والمنحدر القصير وربما عن ليندا على وجه الخصوص، التي نجحت بالصدفة في استئناس آن بيريت المخلوقة المنزلية، فخرجت بفضلها في الأسابيع الأولى من شهر يناير إلى الشوارع

Twitter: @ketab_n

أكثر مما خرجت طيلة العام الماضي. وقد أخذت آن بيريت على عاتقها مسئولية العناية بليندا، وكانت آن بيريت فتاة كثيرة المطالب وكثيرة التردد.

- "لا لا ليس هكذا يا ليندا، انظري إلي".

قامت ليندا بمحاولات جريئة قليلة في تقليد ما يفعله الآخرون، وكان رد الفعل على هذا إيماءات بالرأس وضحك، ولمسة تعاطف كذلك معها، فهي لم تكن سوى دمية صغيرة سهلة التشتت، تتمتع زيادة على هذا بميزة أنها لا تبكي دون داع. كانت قطة مثالية لآن بيريت التي سئمت أختيها الصغيرتين، فأخذت ليندا إلى ملعب التنس الذي صار الآن مكانا للتزلج، وهناك تعلمت ليندا كيف تمشي على الثلج أو تمحوه من قفازها، وشاهدت آن بيريت وهي تدور على الثلج الأبيض المائل للزرقة بينما تغني الإصدار السويدي من أغنية أنيتا ليندبلوم "يمكنكِ أن تحصلي عليه". كان الجميع يغنيها في هذا الشتاء، فقد أذيعت في الراديو والتلفزيون كما أنني سمعتها من قبل في الأتوبيس وفي مضمار الجري، وسمعتها من مارلين التي لا تستطيع أن تقشر ثمرة بطاطس واحدة بدون أن تدندن بهذه الأغنية.

تسللت أنا بعيدا.

إلى هاجان مع الأولاد الكبار.

لم أكن أبدا رياضيا جيدا لكنني كنت جريئا إلى حد ما، ولا يستسلم شخص مثلي مهما لاقى في طريقه، فبإمكانه أن يحصل بسهولة على الجرعة المطلوبة من الاحترام الزائف، خاصة إذا ما استطاع أن يتجاهل صيحات السخرية المصوبة نحوه.

هناك خاسرون يحاولون الثأر بطريقة تودي بهم إلى المزيد من المشكلات، حتى يخرج الأمر من بين أيديهم. لدي صديق عادة ما يفعل

Twitter: @ketab_n

هذا، إنه فريدي 1، الذي كان ضخم البدن، ثقيلا وكثير الغضب، لم يكن فريدي1 مميزا في المدرسة، ولم يرق يوما لعبارات الثناء. غير أنه لسبب ما كان يلبس ملابس غير مناسبة تماما. هذا ما جعله مميزا، وهذا ما جعل له شخصية، وجعله يتقدم على فريدي2 وفريدي3 اللذين لم يكونا مميزين في المجموعة. نعم، كان ضخما وقويا لكنه كان بطيئا أيضاً، وهو مزيج كارثي من كثير الكثير وكثير القليل في شخص واحد، وهذا ما أكسبه المرتبة الأولى بينهم.

عندما تعبت عصابة الأولاد الكبار من صعود هاجان والتزلج للأسفل ثم الصعود والتزلج مرة أخرى، بدأوا يسخرون من فريدي1، من زلاجاته أو قبعته أو وقفته، وكان رد فعله شتائم فظة وكرات ثلجية لم تصب هدفها على الإطلاق. بينما كانت كرات الثلج تلقى عليه، خلع فريدي1 زلاجتيه وألقاهما بعيدا وسط بهجة عارمة انتابت بقية الأولاد لأنه لم يستطع أن يضرب أيا منهم، وإنما دار وبصق وصرخ وحاول ضرب الآخرين بزلاجتيه الغبيتين حتى وقع محدثا صوتا كبيرا. ثم توقف الصياح، كان فريدي1 ممددا على الأرض. اقترب أفراد عصابتنا أكثر منه كي يروا إن كان قد مات أم ماذا. لكنه لم يكن ميتا. كان ينتظر فحسب حتى تأتي اللحظة المناسبة، لحظة مجده.

- "هل مت يا رقم واحد؟".

بآخر ما تبقى لديه من طاقة انقض على حذاء واحد من أصغر الأولاد حجما، وأسقط هذا الشيطان ذلك المسكين أرضا وجثا فوقه، وأوسعه ضربا في الوجه بقفازيه الممتلئين بالثلج حتى بدأت الدماء تنزف من أنف الضحية، فجذب أحد الأولاد الكبار فريدي1 من ملفحته، وخيره بين أن يتوقف أو يخنقه باستخدام الملفحة. انتهى الأمر بالخيار الأخير كالعادة.

Twitter: @ketab_n

فلم يكن فريدي1 في عالمنا، ولكن في عالمه هو، في مملكة الغضب والدموع. ولم يكن هناك ما يمكن أن يكسره، فهو يتحمل العقاب ولا يتعلم على الإطلاق، هذه هي الخبرة الأقسى في شارع ترافر والتي كان من الواجب أن تنصب لها تماثيل من حديد.

في إحدى تلك الأمسيات البهيجة، بينما كنت أصعد قمة هاجان وأهبط مسابقا الريح، والثلج يخدر جميع حواسي، وقعت على وجهي في المساحة التي يلتقي فيها هاجان مع العمارات. رآني كريستيان الذي كان يقف هناك بقبعته ومعطفه، بعد أن عبر الشارع كي يرى ما يفعله الصغار في ظلام الليل.

في وقت متأخر من ذلك المساء، باتت مهاراتي في التزلج والتي لم تكن مثالية بأي حال موضع النقاش على طاولة المطبخ، ثم سُئلت عما إذا كنت أود الذهاب مع كريستيان في رحلة قصيرة عبر البلاد يوم السبت المقبل، حيث سنأخذ القطار إلى موفاتن ونتزلج عبر ليلوماركا إلى جانب المطاعم الأسطورية مثل سينوبر وسورسكوين وليلوسيتر، وكان هذا عادة يقوم بها الأطفال الذين لهم آباء.

ترددت، ليس فقط لأنني تحيرت من النبرة المشجعة التي تحدثت بها أمي عن هذه الدعوة. فعندما عاد كريستيان بعد إجازة عيد الميلاد، واجهته أمي وسألته عن معنى أن يهديها مجوهرات في عيد الميلاد، وهو هجوم حاول أن يتفاداه بنفس الطريقة غير الناجحة التي حاول أن يتفادى بها هجومها عليه حين أحضر صندوق المواد التموينية. لماذا هذا التوجه المشجع الآن نحو رجل يريد أن يمرر فكرة مضللة عن توليه واجبات أبوية نحوي؟

سألت "وماذا عن ليندا؟".

- "إنها صغيرة للغاية".

Twitter: @ketab_n

-"هل المكان بعيد إلى هذا الحد؟".

-"لا على الإطلاق".

انتهى بي الأمر إلى الموافقة، كنت أوافق كثيرا في الطفولة ولم أبدأ في قول لا سوى حديثا جدا. لسبب ما كان علينا أن نغادر في الفجر، في السابعة والنصف وعلى زلاجات. كان كريستيان يبدو غريبا في معطفه الأبيض وبنطاله القصير ذي التصميم القديم، زم شفتيه بشدة في برودة الجو المجمدة. في شارع أوفذاس، كانت الأرض من الثلج والحصى، وعلى الرغم من انحدلارها إلا أنني شعرت بالإرهاق حين وصلت إلى محطة قطارات جريفسين في الثامنة وخمس دقائق. كان القطار ممتلئا وصامتا، به مجموعة من الرجال من جميع الأعمار، رجال فقط، كما لو كنا جيشا في طريقه للجبهة. كان علينا أن نقف، وبالتالي لم تكن لدي فرصة للراحة. بدأت الرحلة وكان الجو قارصا، لكن مسار القطار كان جيدا ومسطحا على الثلج في بحيرة موفان، ثم بعد فترة بدأ الكابوس، الصعود.

قال كريستيان وهو يتمايل "عندما نصل إلى القمة فسيتحول الأمر إلى إبحار هادئ".

لكننا لم نصل إلى القمة مطلقا. كانت رحلة الصعود أشبه بالمشي على القمر، حتى شعرت بأنني تحولت إلى ظل مرتعش حين انحرفنا ناحية مدخل سينوبر، المطعم الأول في رحلتنا الذي يتمتع بمنظر ساحر في جو الشتاء الصافي. لكننا لسبب ما لم ندخل إلى المطعم. لم أستطع أن أصدق نفسي، لقد استمرينا في طريقنا نحو سوركوين، ووصلنا إلى هناك بصعوبة بالغة، حتى كنت من الإنهاك بحيثواجهت صعوبة في بلع شراب التوت وكعكة الوافل التي دعاني كريستيان لتناولها. نمت والطعام

Twitter: @ketab_n

في فمي، وعندما هزني كي يعيدني إلى وعيي، سألته إن كنت أستطيع أن أبقى هنا الليلة.

قال محولا وجهه نحو النادلة "ها ها، الولد يسألني إن كان بإمكاننا أن نبيت هنا الليلة".

قالت السيدة "امم سيكون هذا أمرا جيدا".

من سوء حظي أنني قابلت واحدا من أصدقائي هنا، اسمه روجر وهو متزلج ممتاز. لكنه كان لحسن الحظ مع إخوته الكبار، وقد احمر خداه مثلي وجلس صامتا من التعب والإرهاق على المقعد الخشبي المتهالك في الغرفة المغلقة التي تفوح برائحة الملابس المبتلة والرجال المبللين وحقائب الظهر والتوت واللحاء وشجر التنوب وجميع الروائح النرويجية التي ترتبط لدي بالفقر والآباء. ولحسن الحظ أيضا فقد غادر روجر قبلي.

بعد أن شبعنا من الوافل وشراب التوت، لم نستطع أن نمكث كثيرا، على الرغم من أنني توسلت أن ننتظر حتى تخرج الحشود الصاخبة التي تتدافع نحو الباب وتصدر عنهم أصوات مرتفعة، كانوا يختالون بأحذية التزلج الخاصة بهم بين سحابات رعدية من الأنفاس والثلج والعرق والبخار، وكانوا يسحبونها خلفهم مثل أسماك قرش جائعة كيلومتر بعد كيلومتر عبر الجو الثلجي كي يستقروا في حلة الطهي المزدحمة هذه. لم أر كل هذا من قبل ولم أر وحش الشتاء هذا من قبل، الدب الذي لا ينام لكنه يجرح وينشب مخالبه ويقوم بحركات عنيفة وحده أو مع آخرين كي لا يتجمد ويموت، كل هذه الأشياء لم ارها من قبل لأنني ببساطة بلا أب.

في النهاية لم يكن هناك بد من استئناف رحلتنا وطريقنا المجهد والقاسي. لم يكن الصمود هو المشكلة ولا التزحلق، وإنما كانت حالتي البدنية. كنت متصلبا ومتجمدا بعدما كنت أمام المدفأة في المطعم مما

Twitter: @ketab_n

جعلني أتقيأ الوافل وشراب التوت على طول الطريق حتى ليلوستر. كان كريستيان ينظر لي بتعاطف أحيانا وبسخرية أحيانا كي يجعلني أستمر. لكن في الوقت الذي وصلنا فيه إلى ليلوستر، المحطة الأخيرة في طريق المعاناة هذا، بدا وضحا أننا لن نتوقف هنا، كنت قد استرددت حرارة جسدي وتناولت بعض الطعام.

وقع كريستيان مرتين على منحدرات بحيرة بريشون، أنا أيضاً وقعت، لكن وقعته كانت أكبر أثرا واستهلاكا للوقت. لابد أن لهذا علاقة بالعمر والفلسفة. لم يكن كريستيان من النوع الذي يقع هكذا، من المحتمل أنه كان يقرر مصيره ويحدد متى يقع لكن قوى الطبيعة تتغلب عليه. لكننا في النهاية حين توقفنا ونحن نرتعش على قمة تل أرفول ونظرنا إلى الأسفل حيث نادي الرماية وأوستريهايم، غابت ابتسامته المتكلفة، واكتسى وجهه بتعبير جديد. لابد وأنه تعبير عن المرارة. إلا أنه تمكن من أن يبدله بابتسامة عريضة، وقال إن هناك شيئا يريد أن يتحدث إلي بشأنه: هل أعتقد أن أمي ستمانع في أن يزوره ضيوف في غرفته؟

كان هذا سؤالا غير معتاد بالنسبة لي، ولم أدرك أن الأمر ينطوي على امرأة سوى بعد الكثير من الهمهمة والتلعثم. هل تعني أن تتركها أمي تبات لأيام قليلة؟

أجبت بأنني أشك.

قال "اعتقدت هذا أيضاً" مركزا نظرته على المساحة التي ترقد فيها أوسلو. تمتم "ما الذي تريده؟".

لا يمكن لابن أن يجيب هذا النوع من الأسئلة، لم أكن متأكدا من أنه يقصد أمي، لكنه قال:

Twitter: @ketab_n

- "وما مشكلة الفتاة، هل هي... متخلفة؟".

سمعت طبولا تقرع ورأيت قوس قزح يسد مجال رؤيتي. لهثت محاولا التنفس، وأحكمت قبضتي على عصا التزلج وحاولت الوقوف على قدمي على طول الطريق بمحاذاة نادي الرماية وشارع أوستريهايم، لكنه لحق بي بالطبع، وأوقفني من الجري على الثلج.

- "أرجوك يا فين، أنت لا تفهم أي شيء!".

تحول الساكن إلى وحش فلم أستطع أن أفعل أي شيء سوى أن أغلق عيني وأظل قويا.

قالت أمي "ها قد عدتما" بينما كنا نمشي بتثاقل داخل الشقة.

لم يكن لدي كثير من الكلام كي أقوله عن رحلة التزلج هذه، كنت ساخنا وغير قادر على الكلام، وكان صبري قد نفد. احتجت إلى مساعدة في خلع حذائي، ثم ذهبت إلى غرفتي دون أن أنطق بحرف واحد، كانت هذه محاولة للهروب من الحديث. ربما كنت أحاول أن أقنع نفسي أنني لم أنصت لتلك الكلمة الشنيعة. كانت ليندا مستلقية على بطنها في الطابق السفلي من السرير ترسم حصانا. ما رسمته في الحقيقة كان مخلوقا لن يتعرف عليه أحد سوى أنا وأمي. إذا لم تستطع أن تقوم بشيء بسيط مثل رسم حصان في هذه الحياة فمصيرك أن تغرق مثل ثقالة من رصاص. كان هذا حصانا لا يمكن التعرف عليه. ولأنها تحب الخيول، فقد رسمته مرة تلو أخرى على صفحات كراسة الرسم التي أهديتها لها في عيد الميلاد، كانت هذه الأحصنة مثل النمل والفيلة وأشياء أخرى يعلمها الرب وحده. ابتسمت وقالت:

- "هل تشعر بالبرد؟".

Twitter: @ketab_n

صحت:

- "ألا تستطيعين أن ترسمي بشكل صحيح؟!".

لكن قبل أن ترتجف شفتها السفلي باكية، كانت أمي قد أتت وصاحت "ما الذي حدث لك يا فين؟!" ولم تكن الكلمة الشنيعة قد انمحت.

صحت "لقد قال إنها متخلفة!" وفي هذه اللحظة رأيت كريستيان مرتبكا خلف وجه أمي الشاحب.

قالت "ماذا؟" كان صوتها غير مسموع تقريبا، ثم حل صمت مطبق.

صاح كريستيان بوجه قرمزي "الولد يهذي، لا تستمعي له".

لكن أمي كانت قادرة على تجميد كل الموجودات من حولها. ولأن ليندا كانت الشخص الطبيعي الوحيد بيننا، فقد حولت وجهها نحو الصفحة وبدأت تلون بقلق بألوان الشمع بينما وقفت أنا وكريستيان منتبهين نسمع بخوف وارتعاد كلمات أمي التي قالتها بصوت خفيض.

- "ماذا قلت عنها؟".

رفع كريستيان ذراعيه للأعلى ثم أسقطهما وحاول أن يتقمص شخصية خالي تور بأن همس لمراعاة شعور ليندا على ما أعتقد:

- " ينبغي عليك أن تري أن هذه الطفلة تحتاج إلى العون. إنها لا تستطيع أن تتكلم، أليس كذلك؟"

- "ماذا قلت عنها؟".

بدا النقاش منتهيا بالنسبة له. لذا فقد مسد جبهته بيد واحدة وفعل شيئا لم أستطع من قبل أن أدفع نفسي للقيام به، فقد اعتذر وبدا أنه يعني كلمات الأسف التي نطق بها.

Twitter: @ketab_n

- "آسف، أعرف أن هذا لا يمكن التكفير عنه، وأنه لا يوجد اعتذار كاف، أعرف هذا".

رجع للخلف وبدا كما لو أنه يشعر بالذنب بكل خلية في جسمه. ذهب إلى غرفته، بينما وقفت أمي مثل زنبرك صلب غريب ولم تتكلم حتى أمسكت بيدها وهززتها وسحبتها ناحيتي.

قالت:

- "هذا الرجل لن يمكث هنا بعد الآن!".

أومأت بحماس. "ويمكن لليندا أن ترسم أي خيول تريد يا فين!".

- "نعم، حسنا... لكن"

- "لكن ماذا؟".

- "علي أن أعلمها... شيئاً".

عند هذه اللحظة كان صبر أمي قد نفد أيضاً، فارتمت على السرير بجانب ليندا ووضعت يديها في حجرها وأومأت ببطء وهي تتمتم "امم امم"، قبل أن تنظر نحوي مرة أخرى، كما لو أنها تراني للمرة الأولى، أو أنها ترى حالتي هذه للمرة الأولى، كان خداي داكني الحمرة وجسدي مستنزف بكل ما تعنيه الكلمة.

سألتني "كيف كان التزلج؟".

قلت "أنا جائع".

قالت "استرح قليلا، وسأحضر لك العشاء".

استرحت، لكن ليس قليلا، وإنما نمت ولم أستيقظ سوى في فجر اليوم التالي.

Twitter: @ketab_n

9

كنت أرتجف من البرد وأشعر بصعوبة كبيرة في التنفس، وأعاني من آلام غير عادية في صدري. وأحسست بأن ذراعي وساقي قد صب عليهما رصاص. لم أستطع أن أنهض وكنت أصرخ فلا تخرج مني سوى همسات حتى استيقظت أمي في ظلام اللحظات الأولى من الفجر.

- "أشعر بالبرد".

قالت أمي وهي تقاوم النعاس "لكنك تحت الغطاء بالفعل".

- "أنا... لا أستطيع النهوض".

- "ولماذا تريد النهوض؟ إنها ليست..."

- "أريد أن أذهب إلى الحمام".

- "اذهب إذا!"

- "لا أستطيع، أخبرتك أنني لا أستطيع".

ثم جلست أمي بجانبي.

= "ما الذي تعنيه؟ انهض الآن!"

- "لا يمكنني هذا" قلتها مشيرا إلى المكان الذي كنت أعتقد أن قلبي فيه. ثم حين وضعت يدها علي خرجت مني صرخة مرتفعة. إننا لا نمرض أبدا في أسرتنا، بعبارة أخرى إننا نعامل المرض بأقصى درجات الريبة والشك، وهذه عادة جلبتها أمي من عائلتها حيث قد يرقد الجميع من آن لآخر في الفراش، حتى خالي بيارنا نفسه يميل إلى أن يتقيأ في المنشفة في لحظات غريبة و"يتعاطى أدوية"، وهذا أمر أخبرنا عنه خالي أوسكار في خطاب، وهي

Twitter: @ketab_n

أخبار جعلت أمي تتألم، لكننا لا نتحدث أبدا في تجمع الأسرة في أعياد الميلاد عن أي مرض يصيب أيا منا. كان الطبيعي أن تتساءل أمي قائلة "حسنا، بيارنا، كيف الحال فيما يتعلق بالدواء؟"

ولا تتلق أي كلمة.

أرسلت أمي نظرة قوية نحوي.

- "إنه ليس قلبك يا بني، إنها رئتيك".

وبعد أن تمتمت قائلة "الساكن اللعين"، و"التزلج اللعين" وبعد أن كررت أن مكوث هذا الرجل هنا قد انتهى، أعطتني ترمومتر كان علي أن أضعه تحت ذراعي، ثم في فمي. لكنه بيّن أن درجة حرارتي كانت 37 فقط بينما مازلت أشعر بالألم.

قلت "لا أستطيع أن أتنفس"، فأخبرتني أن أنتظر قليلا ثم ارتدت هي ملابسها وعبرت الشارع نحو كابينة التليفون المجاورة لأومار هانسن واتصلت بالطبيب. قبل أن يصل نقلتني أمي إلى الطابق الخاص بليندا من السرير، واستلقت ليندا على بطنها على سرير أمي بينما كان الطبيب يفحصني.

كان اسمه لوجيا، جعلني أجلس على الرغم من أن هذا آلمني، وطرق بمفصل إصبع وبأصابعه الباردة المتصلبة على عظام صدري وظهري وهو يستمع من خلال سماعته، وحدق نحوي من تحت حاجبيه الأبيضين قبل أن يبعد السماعة وينظر نحو أمي متسائلا.

- "يبدو أنه قد كسر ضلعين أو ثلاثة من أضلاعه. هل وقع؟".

- " أضلاعه؟".

- "نعم، إنها مكسورة، سنتمكن من رؤية هذا من خلال الأشعة السينية".

- "هل وقعت بالأمس يا فين؟".

Twitter: @ketab_n

- "نعم، بالطبع، وقعت كثيرا".

- "لكنني لم أؤذ نفسي".

- "لا تخبرني أنك كسرت ضلعين من أضلاعك أثناء التزلج عبر المدينة!".

نظر دكتور لوجيا نحوي باهتمام أكبر، لابد وأنه كان في الخمسينات من عمره، كان يرتدي نظارة حدق إلي من فوقها.

سألها بابتسامة "كانت رحلة طويلة، أليس كذلك؟".

- "نعم، طويلة إلى حد ما".

- "إن هذا أغبى شيء سمعته في حياتي" ألحت علي "هل ضربك؟".

- "من؟".

- "كريستيان بالطبع، هيا، انطق!".

- "لا...".

قاطعها دكتور لوجيا "ما الذي تتحدثين عنه؟".

قالت أمي "لا شيء" بينما عقدت ذراعيها بقوة وزمت شفتيها قبل أن تقع عينيها على ليندا، حينها بدت كمن عانى ما يكفي من مشكلات.بدأت أنا أتمنى لو تنهار حتى نستطيع أن نتخطى هذه المسألة لكنها وقفت فحسب بينما جلس الدكتور لوجيا بحاجبين كثين من تحتهما أتت نظرة دهشة واضحة من خلال عدستي نظارته اللتين كبرتا مسام جلده حتى بدت كفوهات براكين عميقة. قالت أمي فجأة:

- "حسنا، يستحسن أن أمضي. علينا أن...".

- "لكن الولد يحتاج إلى أشعة".

Twitter: @ketab_n

قالت أمي بدون أي عاطفة "ستقوم مارلين بهذا. علي أن أذهب إلى العمل، قومي يا ليندا، وارتدي ملابسك، هل أنت جائع يا فين؟".

- "لا أمانع في شريحة خبز مع الجبن...".

نظر دكتور لوجيا من شخص إلى آخر وشعر أنه تحول إلى مستمع وأن زيارته كطبيب قد انتهت.

سألت أمي "بكم أدين لك يا دكتور مقابل هذه الزيارة؟".

أدخل سماعته في كيس، وسحب معطفه وجلس وهو يضعه على حجره بينما يتابع ليندا وهي تلعب بأماليا على السرير في الوقت الذي ذهبت فيه أمي إلى المطبخ. ابتسم ومسد خد ليندا وسألها عن اسمها، لكنها لم ترد، وإنما أمسكت فقط بأماليا التي تمت خياطة جرحها وتركيب ساقها المخلوعة وتثبيت عينين لامعتين من الأزرار في وجهها.

أعطتني أمي شريحة خبز وكوبا من اللبن بينما رن جرس الباب ودخلت مارلين بخدود حمراء كالتفاح وطبقة من الثلج المتلألىء على شعرها حالك السواد الذي لم تخفه أبدا تحت قبعة. لقد أصبحت مارلين موثوقة عند أمي في فترة زمنية قصيرة جدا وقد تم إخبارها باختصار عن الموقف الحالي على ما أعتقد، سمعت صيحة تعجب منها في الرواق حاولت أن تكتمها، ثم قالت أمي "لا أستطيع أن أتحمل المزيد" ثم "إن كنتِ لا تمانعين؟".

لم تمر فترة طويلة حتى نادت أمي على الطبيب الذي لم يرتد معطفه بعد.

- "لم ترد على سؤالي يا دكتور".

قال بهدوء "لا تقلقي بهذا الشأن" قام وأعطاها دفترا صغيرا به أوراق بيضاء وأوراق كربون كحلية تناثرت في الغرفة بعد أن غادر مثل أوراق الشجر الجافة. إنه الخريف على الرغم من أننا في الشتاء! مضغت لكنني لم أستطع أن أبلع الطعام، وكنت أعرف أنني لن يمكنني أن أشرب اللبن أيضاً مع

Twitter: @ketab_n

أني أحب اللبن. بينما أصدر الباب صوتا وهو يغلق خلف أمي، لاحظت أن الساعة الموجودة على الطاولة المجاورة لسريرها تشير إلى العاشرة.

دخلت مارلين إلى حجرة نومي وعاملتني بطريقة لطيفة للغاية. كانت لا تزال مغطاة ببرد الشتاء، جلست على حافة سريري وسألتني عن حالي، ومسدت شعري ومزحت معي وأخذت قضمة من الخبز الخاص بي وقالت ما كنت أعرفه بالفعل عن أننا ينبغي أن نذهب كي نقوم بعمل أشعة سينية، مما يستلزم رحلة للمدينة. ستكون رحلة طيبة، أليس كذلك؟ وليندا ستذهب معنا؟

- "نعم".

قمت، فألبستنا ونزلنا معها إلى الشارع في وقت بدت فيه المساكن كأنها ملاءة سرير في مستشفى ضخم يرقد فيه الأطفال بلا حياة، ويضحكون بأفواه مفتوحة لكن بلا صوت. كنت أمشي وأتنفس بصعوبة بالغة، كما كنت أشعر بدوخة وغثيان ورعشة.

ساعدتني مارلين، وأجلستني على كرسي في الأتوبيس مثل هذا المخصص للمسنين، على الرغم من أن الجلوس كان يؤلم أكثر بكثير من الوقوف، والطريق طويل. قمت بهذه الرحلة كثيرا من قبل حين كنت أزور أمي في متجر الأحذية، لكن الأمر مختلف للغاية الآن. مررنا بمنطقة لم أرها من قبل. ثم نزلنا في مكان مألوف من الأتوبيس الذي بدا كوحش يزأر ويخرج دخانا وينفث الهواء كما لو أنه حرب عالمية.

عبرنا الطريق ودخلنا إلى قسم الطوارىء.

Twitter: @ketab_n

نظرت إلى مارلين وأعجبتني ثقتها بنفسها، إذ لم تخجل من أحد، فهي خريجة إحدى المدارس الثانوية كما أنها لبقة وواضحة. ذكرت اسمي واسم دكتور لوجيا وقالت نعم، وشكرا، سأنتظر، اجلسوا هناك من فضلكما. ثم عادت ووقفت في طابور أمام كشك صغير ولوحت لنا من خلال النافذة واشترت لنا مصاصتين، واحدة لونها أخضر والأخرى برتقالي، تبادلت أنا وليندا لعق المصاصتين لأننا كنا نحب اللون البرتقالي أكثر. حسبنا الوقت لكل منا في لعق المصاصة باستخدام ساعة مارلين الذهبية المصمتة والتي قالت عنها إنها شيء تافه مزين، وضحكت.

- "لكنها إهداء من أمير!".

كانت قد أحضرت معها كتابا، قرأت منه بصوت هامس من أجل ليندا، وكلما استوقفتها ليندا في منتصف قصة كررتها من البداية مرة أخرى. شعرت أن عضلاتي لم تعد مشدودة كثيرا واستطعت بالتدريج أن أجلس ممددا ذراعي ورجلي. لكنني قمت حين نادى أحدهم اسمي ولويت قسمات وجهي بينما كانت مارلين تساعدني للنهوض وتمشي معي إلى غرفة بيضاء هادئة كي أجلس على كرسي حديدي مصمت، ثم وقفتُ داخل كابينة ملونة بالأبيض والأصفر، حبست فيها نَفَسِي وأخرجته، بينما وقف من حولي أشخاص مبتسمون فحسب، لفوني بعد ذلك بأيديهم الوحشية الخشنة في لفافة بيضاء كي تجعلني منتصبا وتمنعني من التنفس بعمق، ثم فكوا هذه اللفافة واستقبلتني مارلين التي دخلت في محادثة أخرى مع أخصائي الاستقبالي، ثم انحنت نحونا كما لو أنها نجحت لتوها في خداع شخص ما، وهمست وهي تدفعنا إلى برودة الشتاء بالخارج وأخبرتنا أننا سنستقل تاكسي قد رتبت معه من أجلنا!

تاكسي إلى المنزل!

Twitter: @ketab_n

جلست أنا وليندا في المقعد الخلفي بينما جلست مارلين إلى جانب السائق في المقعد الأمامي تدخن سجائر بفلتر وتتحدث معه كما لو كانا يعرفان بعضهما البعض طيلة حياتهما، كانت هذه هي الطريقة التي تتحدث بها مارلين مع الجميع والطريقة التي يتحدث بها الجميع معها، كما لو أنها ولدت من أجل إصلاح جميع الأشياء المستعصية والغريبة في الحياة بكلماتها وجمالها وابتسامة شفتيها الحمراوتين. أخبرت السائق بأن يقود حتى يصل بنا أمام المدخل مباشرة، الولد ليس بحال جيد كما ترى. تسبب هذا في بعض الجلبة، حيث كان اليوم المدرسي قد انتهى، وكانت السيارة الفولجا السوداء تشبه الإسعاف إلى حد ما. سألت آن بيريت ليندا عما حدث على الرغم من أنني لم أسمع إن كانت قد أجابت عليها أم لا. لكنني لاحظت وجوها أخرى وكنت مصابا بالخدر، وقعت مارلين على ورقة وقالت مع السلامة للسائق قبل أن تمشي بنا وسط حشد الأطفال نحو الباب ثم على السلم.

كانت أمي قد عادت للمنزل من عملها وبدت في مزاج مختلف عما غادرت عليه فقد بدت لطيفة ومليئة بالطاقة، وكان الطعام على الطاولة كفتة وكرنب بالكريمة، أرادت أن تعرف ما الذي فعلناه بالضبط أثناء اليوم والأهم من هذا أن تعرف كيف أنا.

حسنا، أنا بخير، أكلت كما لم أفعل من قبل. لكنني كنت أحتاج إلى أن أستريح على سرير ليندا هذه المرة في الطابق السفلي.

قالت أمي "يمكن أن تنام ليندا معي" وقرصت خدها بلطف. نامت ليندا في الطابق الخاص بي من السرير مرة واحدة، وقد أدى هذا إلى هياج كبير لديها بسبب خوفها من الارتفاع حسب تخمين أمي.

مكثت في سريرها لأسبوع.

أضاف هذا إلى عنائي السابق، لكنني أمضيت الوقت في قراءة الكتب والقصص المصورة، وآنستني ليندا بأن جلست صامتة على سرير أمي

Twitter: @ketab_n

ونظرت باتجاهي متحسبة لأن أحتاج إلى أي شيء مثل المجلد الرابع من الموسوعة أو كوب من الماء وبه بودرة فوارة. كنت أدفع لها قطعا صغيرة من الورق عليها أرقام على أنها نقود، وكانت هي تجمعها في صندوق أحذية صغير وقد أجبرتها على جمعهم من أجل عمل كشف بالرصيد المدفوع، لكنها أرادت أن تضعهم في حزم وتصنفهم حسب الحجم.

تلقيت بعض الزيارات في هذه الأيام. في البداية زارتني آن بيريت والتي أحبطت حين وجدت أن ضمادتي لم تكن قالبا من الجص. ثم جاءني فريدي1 الذي أرسلته أمه بقطعتين من الشيكولاتة، وقف بجانب السرير محتارا، لا يعرف أين يجلس، حتى أفسحت له مكانا على سريري. أكلنا الشيكولاتة ولعبنا السلم والثعبان واللودو ولعبة بطاقات تسمى بيج، بينما اكتفت ليندا بالمشاهدة.

سألني فريدي1: "ألن تلعب؟".

- "لا".

- "إنها لا تحب هذه الألعاب".

"لا تحبها؟" تساءل فريدي1 بابتسامة ماكرة، ونظر إليها عبر أهدابه الطويلة. كان فريدي1 أطولنا شعرا وحين يقص شعره فإنه يكون الأقصر شعرا، وكان يبدو دائما كما لو أنه قد قص شعره بقنبلة يدوية. "ألا تستطيعين أن تلعبي بيج؟".

لم تجب ليندا. فقد كانت تكوم النقود في حزم.

قال فريدي1 "يمكنني أن أعلمك".

قلت بصوت مرتفع "لا" نظر إلي بإحباط "حسنا، حاولي فقط".

شرح لها فريدي1 لكن ليندا كانت تنظر بعيدا.

Twitter: @ketab_n

- "هل يمكنك أن تقذفي البطاقات هكذا؟".

وبدأ يلقي البطاقات في أرجاء الغرفة. رأت ليندا أن هذا ممتع، حتى أنها ضحكت، وبدت ضحكتها كما لو أنها أمنية تحققت، لا أعرف هل كانت هذه أمنيتها أم أمنيتي أنا.

لم يرغب فريدي1 أن يخلع معطفه لسبب ما. غادر في النهاية، لأنه قد بدأ يغضب على ما أعتقد، قالت أمي:

- "ما خطب هذا الولد؟".

- "ماذا تعنين؟".

- "إنه ضعفك في الحجم!".

في ظهيرة يوم السبت، سمعت ضجيجا يأتي من غرفة المعيشة، وعندما ذهبت للتقصي، وجدت كريستيان وأمي منخرطين في حديث متوتر أوقفاه حين ظهرت أمامهما.

قال كريستيان بوداعة "أريد فقط أن أعطيك هذه يا فين كهدية وداع" وكان ممسكا بلوحة الشطرنج الخاصة به.

قالت أمي "ليس لك الحق في أن تعطيه أي شيء على الإطلاق".

رجعت إلى الخلف بسرعة على الرغم من أنني كنت أريد هذا الشطرنج. وحينما كنت أهم بمغادرة البيت صباح يوم الاثنين، وجدت أن قبعة ومعطف كريستيان معلقان في الرواق كما هما. فسألت أمي في الظهيرة عن هذا، فتمتمت بأنها أعطت الساكن مهلة حتى يجد لنفسه مكانا آخر.

أردت أن أسأل المزيد من الأسئلة، أو أن أقول "ماذا؟" على الأقل. لكن الأمر لم يعد بهذه السهولة. كانت الساعة قد تخطت العاشرة، مازلت أذكر بشكل

Twitter: @ketab_n

غامض ومبهم نوعا ما الصباح الذي استيقظت فيها بثلاثة ضلوع مكسورة، وكانت أمي ذاهبة للعمل وكان من المفترض أن تنهي عملها في الساعة الواحدة في هذا اليوم. ربما لم يكن هذا غريبا للغاية، أو ربما يكون هذا ما حدث فحسب، بالإضافة إلى أنها كانت قد عادت عندما عدنا نحن من المستشفى ولم يكن هذا غريبا أيضا، ولم يكن يستحق أي تساؤلات أو مزيد من التقصي. كانت الهوة بيننا قد اتسعت مع قدوم ليندا، وبعدما اعتقدت أننا نجحنا في تقريبها، ها هي ذي تتسع مرة أخرى وبشكل كبير.

خرجت كثيرا خلال الأسابيع التالية، كنت آتي من المدرسة وألقي حقيبتي في الردهة وأخرج مرة أخرى، حتى أنني تظاهرت بأني لم أسمع مارلين عندما نادتني لكي تسألني إن كنت أريد أن أتناول الطعام. إن هذه التصرفات لا تخضع للاختيار وإنما هي قرارات تفرض نفسها عليك، وتسمح أنت لها بهذا لأن شيئا جديدا يحدث، مثل مجيء الربيع، بالنسبة لليندا كان الربيع أمرا ممتعا وجنة لم ترها من قبل، ويتوجب عليها أن تتعلم كل مقوماتها. لكنها مازالت أبطأ تعلما من المبتدئين العاديين، لم تمر أسابيع عديدة حتى تضاءل اهتمامي بها. وكان علي أن أبعد عيني عنها. جبسنا، في الحقيقة لم أفعل هذا، فقد كنت ألاحظها من فوق هاجان حيث أستطيع أن أستمتع برؤية لا يحدها شيء للعمارات ومن هناك كنت أرى ليندا تجلس على السلم وحدها خارج مدخل العمارة التي نسكن بها. ثم انتقلت إلى المنحدر المواجه لشارع تروندهايمز ومن هناك رأيتها وحيدة أيضاً، وعلى الرغم من أنني لا أظهر هذا وأسمح لنفسي بأن أنخرط مع الأطفال الآخرين في حركاتهم السريعة وأحثهم على القيام بمغامرات جديدة، إلا أنني أراها طيلة الوقت وهذا يضايقني للغاية حيث يبدو لي أنها تجلس هناك لهدف واحد.. جذب انتباهي. أهبط من المنحدر وأسألها.

Twitter: @ketab_n

- "لماذا تجلسين هنا؟".

لا تفهم السؤال، تبتسم وتبدو سعيدة لأنها تراني تقوم ولا تضع يدها في يدي، لكنها تقف بينما تحرك قدمها وتنتظر أن آخذ بيدها لأي لعبة ممتعة، وهو ما أفعله في اغلب الأحيان حين نغيب عن أنظار الآخرين.

قلت "لا تجلسي هكذا".

- " ؟ ".
- "أعنى ورأسك محنى، انتصبي".

شرحت لها هذا فجلست منتصبة، وأومأت لها، لكنني لم أكن راضيا تماما لأن شيئا ما بداخلي أخبرني أن السبب في جلوسها هكذا ليس فقط أن الأطفال الأخرين حمقى، ولكن لأن هناك مشكله تتعلق بها، مشكلة لا أعرف ما هي.

كنت آخذ بيدها إلى لعبة رمي العملات، وأدفعها بين مجموعة المشاهدين بشكل لا يلحظ أحد، أو أريها لعبه إلقاء السكاكين التي تتطلب حشدا من المشاهدين، وأجعلها تقوم بعمل سدود بالوحل الموجود في الشارع وهي لعبة تنطوي على المشاركين فيها فقط. لكن أيا من هذا لم يرُق لليندا، إذ كانت مغرمة بالتكرار.

شاهدت ذات مرة سقطة من سقطات فريدي1 من فوق دراجته الجديدة، لم تكن جديدة في الواقع بل كانت قديمة وسوداء اشتراها له أبوه من بائع الخردة أدولف يار في ستورو مقابل خمسين كرونا، وكانت في بطء ساق خشبية. كانت قيادته سيئة لدرجة أن ليمدا سحبتني من يدي لتبعدني. كنت أريد أن أتحرر منها، وتساءلت كيف يفعل الآخرون هذا، كيف يبتعدون عن أقربائهم الأصغر المتعلقين بهم. لكنني لم أستطع أن أتهرب منها، لم

Twitter: @ketab_n

أستطع أن أمارس هذه المهارة على الرغم من أنني لم أر أي طفل متعلق بأي شخص آخر حيث كان يعرف الكبير والصغير كيفية التعامل مع الأصدقاء والأقرباء، أما أمي فكانت تقول عند العشاء:

- "حسنا، كيف كان يومك؟".

تقول ليندا مبتسمة "عظيم" ثم لا تسألها أمي مع مَن لعبت، أو ما الذي لعبت به، بل تبدو مطمئنة إلى أن شيئا سيئا لم يحدث.

بدأت مارلين ترسل ليندا في مهمات تسوق إلى متجر ليان، وكانت هذه مهمتي في العادة، حيث كنت أشتري البطاطس والخبز لحين عودة أمي من العمل. لكن هذه الرحلة القصيرة كانت في مجال رؤيتي. فمن فوق هاجان رأيت ليندا وهي تدخل إلى المتجر، ظلت فيه لوقت طويل، ثم خرجت بيدين خاليتين، لذا كان علي أن أهبط وأن أسألها عما حدث، فتضع الورقة المكتوبة بخط يد مارلين أمام أنفي. آخذ ليندا إلى المتجر مرة أخرى وأشرح لها فكرة أننا لا نأتي هنا كي نختبئ خلف الأرفف، وأن عليها أن تقف أمام طاولة دفع الحساب، وألا تتزحزح من مكانها ولو بوصة من أجل سيدة أو طفل حتى تراها السيدة ليان، وأن عليها أن تعطيها الورقة بدون تردد هكذا.

بعد يومين جاءت ليندا خالية اليدين مرة أخرى.

سألتها وأنا منزعج ومنقطع النفس بعدما تركت ما كنت أفعله "ما الذي حدث هذه المرة؟" ومرة أخرى أرتني القائمة المكتوبة بخط مارلين، وأدركت أخيرا أنه ربما تكون هناك مشكلة في قراءة خطها، هل هذا رغيف أم اثنان؟

قلت لها "عليك أن تتحدثي. تعالي هنا".

Twitter: @ketab_n

عدنا إلى المتجر، وأريت لليندا مهارتي، أدركت أنني أصيح لكن متأخرا جدا...

- "رغيف واحد!".

قالت السيدة ليان وهي تدير عينيها نحوي "يا إلهي، فين!"، تورد خدي وسط الحشد الموجود، وأخذت الرغيف وسحبت ليندا خلفي.

قلت بصرامة بينما وجهي قد تحول إلى اللون القرمزي حتى منابت شعري "الآن خذي هذا وعودي للمنزل بمفردك"، لكنها لا تريد أن تذهب بمفردها، وقفت حاضنة الرغيف بكلتا يديها كما لو أنها تخاف من أن يهرب.

- "هيا، الآن، سأتابعك حتى تصلي إلى عمارة رقم 8".

بعد الكثير من التردد، مشت في شارع ترافر لكنها لم تنحرف عند الناصية، بل توقفت عند الحد الفاصل بين عالمها وعالمي وبدأت تختلس النظر نحوي، حتى لم يعد هناك ما أفعله سوى أن أذهب وآخذ بيدها وأعود بها إلى المنزل، حيث قلت لمارلين التي كانت تستمع إلى الراديو وتدندن وتغني بينما تزاوج بين جوارب تبدو متماثلة:

- "ألا تستطيعين أن تكتبي بشكل صحيح؟!".

- "ما الذي تتحدث عنه؟".

- "أتحدث عن هذا!".

أريتها الورقة وشرحت لها، لكن مارلين ليست من النوع الذي يسلم بسرعة.

قالت "لماذا لا تطلب من السيدة ليان أن تتعلم القراءة أيها الحمار الذكي؟".

أغلقت عيني وذهبت بخيالي بعيدا. ثم فتحتهما وأخبرت ليندا التي كانت لا تزال ممسكة بالرغيف الذي أصبح مبططا تقريبا:

Twitter: @ketab_n

- "غدا سآخذ الورقة منك، وعليك أن تقولي للسيدة ليان ما تحتاجينه، هل فهمت؟!".

كان هذا فصل الربيع، حيث اختفت روبي ذات العين الواحدة من منزلها في هاجان وأصبح نور النافذة مطفأ. وبالتالي أصبح من الممكن لنا نحن الأطفال أن نكسر ما بقي من السور ونتسلق الأشجار ونحرق أكوام الخشب، وأن نشن هجوما مدمرا على المنزل نفسه فنحطم النوافذ ونكسر الأبواب وندخل ونسرق كل الأشياء غير الموجودة، حيث كان المنزل فارغا، غير أنه في أحد الأيام سوي بالأرض بواسطة جرافتين في ساعة واحدة.

ستُبنى هنا حضانة ومركزا للتسوق به محل لتصفيف الشعر، وفرعا من سلسلة متاجر إيرما، واستديو للتصوير، ومتجرا للسمك، ومحلات لبيع الأحذية، حيث أصبح وسط المدينة يلتهم كل شيء. وبالتالي ظهرت عمارات سكنية جديدة بجانب المباني والسيارات والأطفال والطرق والضوضاء، وبدا أن هذا كله متجه نحو وجهة واحدة، إلى الجحيم، طبقا لما قاله كريستيان الذي لن يغادر، والذي بدا مسرورا بأنه قد غير معطفه الشتوي بذلك الربيعي. بدأ يتمشى في الطريق المختصر الجديد، وقد اعتاد أن يتمشى في المنطقة لفترة اقتربت من ستة أشهر الآن، فهل سيتحول مبيته المؤقت إلى مبيت ثابت؟

لا أعرف هل كانت الساعة التاسعة أم الحادية عشرة حين لم تستطع أمي أن تأخذني إلى قسم الطواريء في ذلك اليوم؟

كانت آخر قطعة يتم حملها من أثاث روبي بيانو قديم ومهيب، وبداخله كان هناك كنز مخبأ، إنه الصوت. لقد سمعنا هذا الصوت لسنوات كثيرة بينما

Twitter: @ketab_n

كنا نتسلل في ظلمة الخريف بين أشجار السنديان المرتفعة حاملين مصابحينا نطوق العين الوحيدة التي تتلألأ، ونتوقف في مسارنا عندما نسمع الصوت. لم يكن لدى أي شخص في شارع ترافر بيانو، باستثناء ذلك الوحيد، في هذا البيت العتيق القابع بيننا، يحمله الآن أربعة رجال أقوياء يلبسون ثياب عمل بيضاء، كلهم في نفس السن، نفس الطول، ونفس لون الشعر ونفس النظارات الغليظة ذات الإطار الأسود، و لهم جميعا لحى قصيرة رمادية، لم تجعلهم يبدون كجنود في نفس الجيش فحسب بل كأربعة تواءم من نفس الأسرة يحملون هذه العجيبة السوداء المتلألئة في رقصة متزامنة صامتة بينما وقفنا نحن نشاهد من مكاننا الذي لم نغيره على غير عادتنا، ولأول مرة عرفت ما كنا نسمعه طيلة هذه السنين. تجمع ثلاثون، أو أربعون طفلا، ثم خمسون، ستون... من جميع الأعمار. في النهاية كنا 183 طفلا من الضواحي من الذين سمعوا هذه الموسيقى ولم يعرفوا من أين كانت تأتي حتى صمتت. وقفنا الآن وقفة احترام لكفن يحمل إلى المقبرة.

قالت أمي "لم تكونوا كثيرين، أليس كذلك؟".

قلت "لا كنا كثيرين، لقد عددتهم وأتذكر عددهم".

- "لا تحدثني هكذا مرة أخرى يا فين من فضلك".

- "اسألي ليندا إذاً".

- "لا تحدثني هكذا، قلت لا تفعل!".

غطت عينيها بيد واحدة كما فعلت في ذلك الصباح الذي استيقظت فيه بثلاثة ضلوع مكسورة. في النهاية أدركت أنها لم تعد تستطيع أن تتحملني أكثر من هذا، لا تستطيع أن تتحمل الاستماع لما أقوله، إنها لا تستطيع تحملي أنا، ليس بسبب إفلاسنا أو موت أبي المفاجيء أو حبها الضائع أو الساكن المزعج، أو ليندا المنعزلة للغاية في عالمها، وإنما

Twitter: @ketab_n

بسببي أنا. أدركت هذا في ذلك المساء التي كنت أتحدث فيه عن الـ183 طفلا الذين وقفوا في صف طويل طواعية من أجل وداع البيانو، لم تستطع أن تستمع ليس لأن هذا أمر طفولي وإنما لأن تدهورا جديدا قد حدث في العلاقة بيننا.

سألتني "حسنا، هل كان بيانو كبيرا أم عموديا؟".

قلت "ليس هناك فرق" وغادرت نهائياً.

Twitter: @ketab_n

10

وصل خطاب مشطوب عليه اسم المرسل إليه، ومكتوب عليه بياناتنا بخط متعرج بالقلم الرصاص. كان من العيادة الصحية في "ساجنا" حيث كنت أذهب أنا لعمل فحوصات قبل أن يكون في مدرستنا ممرضة. إنه دور ليندا هذه المرة. ورأت أمي أن تأخذني معها من أجل فحص ضلوعي. لم تنجح أبدا في تخطي مسألة إصابتي هذه، لا تحاول أن تقنعني أنك يمكن أن تكسر ثلاثة ضلوع أثناء التزلج عبر المدينة. كانت تعرف العاملين في العيادة الصحية بساجنا وتثق بهم أكثر من الدكتور لوجيا، الذي استدعته يومها فقط لأن عيادته قريبة منا.

أوضحت الممرضة أماندسن أن ليندا تفتقد إلى الاجتماعية كما أنها إنطوائية وبطيئة...

"بطيئة؟!" تساءلت أمي بتعبير وجهي جديد.

أومأت السيدة أماندسن بعد تفكير. سألتها أمي، "لكن ماذا عن تلك المشكلة في ركبتها؟".

- "ركبتها؟" كانت السيدة أماندسن كبيرة الجسم والسن تلبس ملابس بيضاء مثل السيدة لاند في كانتين المدرسة، وكان لها أربعة أطفال وقد عاشت خلال حربين ورأت أغلب الأشياء. لكنها لم تستطع أن ترى تلك المشكلة التي أشار إليها الخطاب الذي وجدناه في الحقيبة اللبنية اللون.

قالت أمي "نعم، إنها تتعاطى دواء لهذه المشكلة".

- "دواء؟".

Twitter: @ketab_n

لم تعرف أمي هل تومئ أم تهز رأسها فلم تصدر عنها أي ردة فعل على الإطلاق.

انحنت السيدة أماندسن على ليندا التي كانت تجلس على ورقة طويلة مجعدة على ما يشبه طاولة العمليات، فأخلعتها حذاءها وأنزلت جواربها الطويلة ووضعت يدها على ركبة ليندا اليسرى.

- "هل تؤلمك؟".

هزت ليندا رأسها بحذر. "والآن؟".

هزت رأسها مرة أخرى. فحملتها السيدة أماندسن ووضعتها على الأرض، وطلبت منها أن تمشي ناحية الحائط المعلق عليه مخطط اختبار العيون ثم تستدير وتعود ثم تمشي إلى الباب ثم تدور مرة أخرى. بعدها سألتها عن اسمها، لكن ليندا لم تجب حتى حصلت على موافقة من أمي بعد نظرة منها تطلب الإذن.

- "ليندا، هذا اسم جميل. كم عمرك؟".

احتاجت ليندا إيماءة أخرى من أمي.

- "ستة".

- "ستبدئين المدرسة في الخريف؟"

أومأت ليندا.

قلت "يمكنها أن تتهجى الكلمات بالفعل".

- "فعلا؟ أنت فتاة ماهرة إذاً".

قالت ليندا "نعم".

Twitter: @ketab_n

أومأت السيدة أماندسن تقديرا لها، ورفعتها على الطاولة مرة أخرى ثم حولت نظرها ناحية أمي.

"وما هو الدواء الذي تتناوله؟"

أخبرتها أمي. سألت السيدة أماندسن "وهل تنام جيدا؟".

أومأت أمي. سألت السيدة أماندسن "كثيرا؟" فأومأت أمي مرة أخرى وتمتمت بنفس مكتوم :

"نعم إنها تنام كثيرا في الواقع".

ابتسمت السيدة أماندسن بشكل جاد وقالت انتظري هنا ثم خرجت بينما بدأت أمي ترفع جورب ليندا وتلبسها حذاءها.

قالت ليندا بينما كانت أمي تربط رباط حذائها على شكل فراشة "يمكنني القيام بهذا بنفسي".

"نعم أعرف يا حبيبتي، لكنني سأقوم به الآن".

سحبت أمي الرباط حتى أصبحطرفاه بنفس الطول وربطته على شكل فراشة كما على هدايا عيد الميلاد. ثم وجدت نفسها فجأة تحتضن ليندا التي كانت لا تزال جالسة على الورقة المجعدة... حضن من ذلك النوع الذي يمتد عبر المحيط الأطلنطي بأكمله. عرفت لحظتها أن السر وراء ضلوعي الثلاثة لن ينكشف.

وقفت على الميزان وحركت الأوزان إلى الأمام والخلف ثم وقفت منتصبا لقياس طولي، لم تنهرني أمي، وإنما وقفت وأنفها مدفون في شعر ليندا وهي تعطيها حضن بعد آخر، كما لو أن هناك من يخطط أن يأخذها بعيدا، مضيت قدما وفتحت الدولاب الأبيض ذا الأرجل الطويلة والذي كان يشبه

Twitter: @ketab_n

خزانة وحملقت في جميع الزجاجات الموضوعة على الأرفف الزجاجية كما لو أنها أقزام صغيرة بدينة، التقطت واحدة، ورججتها وبدأت فتحها حتى تدخلت أمي بنقرة خفيفة من أصابعها وإشارة غاضبة.

أرجعت الغطاء وأغلقت الدولاب وأخذت العصا المعلقة بجوار النافذة، ثم أزحت أمي بلطف، وأشرت إلى الحروف الموجودة على مخطط العيون واحدا تلو الآخر، وطلبت من ليندا أن تقولها وكررنا هذا حتى عادت السيدة أماندسن. وكان معها هذه المرة شاب لم أره من قبل، لكنه بدا ودودا حتى أنه صافحنا نحن الثلاثة، ثم طلب من ليندا أن تمشي على الأرضية وتعود كما فعلت السيدة أماندسن ثم قاد أمي إلى مكتب آخر.

قال من فوق كتفه وهما يغادران "يمكن للطفلين أن يمكثا هنا".

فانتظرنا.

أعطتنا السيدة أماندسن رواية مصورة عن بطوط قرأتها بصوت مرتفع. ثم أخذتنا إلى غرفة الانتظار لأن أشخاصا آخرين ينبغي أن يدخلوا إلى غرفة الكشف. ثم عادت إلينا وأخبرتنا بأنه من الممكن لنا أن نجلس على كنبة جلدية سوداء صغيرة كانت في الحقيقة كرسيا كبيرا جدا بذراعين بينما جلست هي خلفنا تملأ السجلات الطبية الخاصة بهذا اليوم لأن الوقت كان قد تأخر للغاية.

كانت أمي مشتتة التفكير عندما عادت. لم يبق من زينة وجهها إلا القليل، وكانت عيناها محمرتين وجافتين وقد أمسكت ليندا بشكل أشبه بمسكة ليندا لها حين جاءت، وقعت ثلاث استمارات بقلم كانت سنه مثل سن إبرة.

لم تقل أي شيء حتى خرجنا ووقفنا على الرصيف حيث الصوت المرتفع لمرور ساعة الذروة وحيث أدركنا كم كانت العيادة الصحية المليئة برائحة النفتالين هادئة ومنعزلة.

Twitter: @ketab_n

"صحيح" قالت أمي لنفسها، "صحيح".

نظرت عن يمين ويسار الطريق المزدحم كما لو أنها تفكر في المسار الذي سنسلكه بينما نظرت أنا وليندا إليها نتساءل عما يحدث.

ذهبنا إلى محل جزارة تعرفه أمي كي نشتري اللحم ثم ذهبنا إلى مخبز كانت تعرفه أيضا من أيام طفولتها. فهمت من خلال الطريقة التي تحدثت بها أنها تعرف السيدة الجالسة وراء طاولة الحساب والتي أعطت كعكة لكل منا. ثم ركبنا الترام وبعده أتوبيس تونسنهاجن، وهناك اشترينا كيسين من الفول السوداني من الماكينة الموجودة خارج مصنع بروجرس. حين وصلنا إلى المنزل أكلنا اللحم وصلصة المرق، ففي عائلتنا يعد الطعام طريقتنا المفضلة لحل الأزمات أو للإشارة إلى وجود خطر ما.

لكن هذه المرة لم يكن الأمر بتلك البساطة.

ففي هذه الليلة لم يتم إعطاء ليندا أي دواء. حيث سكبت أمي زجاجتين كاملتين من الدواء في الحمام وأغلقت الدرج الآمن الذي تحتفظ فيه بصور زواجها مع سائق الجرافة وحياتها الزوجية السعيدة بعد أن وضعت فيه الوصفات الطبية الخاصة بليندا. ثم قالت إننا قد نواجه أياما عصيبة، واستطردت:

- "لا شيء أسوأ من الغباء يا فين، وقد كانت أمك غبية. غبية وصماء وعمياء. هل تعلم ما الذي يجعل الناس حمقى؟".

- "امم... لا".

Twitter: @ketab_n

- "الخوف. لهذا لا ينبغي أن تخاف أبدا يا بني. ويجب أن تدرس أطول فترة ممكنة. هل تعدني بهذا؟"

- "نعم، نعم". لم يكن لدي أي خطط للقيام بعكس هذا، ولم أر أن أمي جبانة على الرغم من أنها كانت تخاف من الظلام، ولم تشعر بالاطمئنان أبدا حتى قبل أن تدخل ليندا حياتنا، معأننا كنا قبلها على ما يرام. الآن، ما الذي من الممكن أن يحدث؟

قالت أمي "لا أعرف. ينبغي أن ننتظر لنر".

كان هذا ما فعلناه، وقد بدأ الشيء يحدث في منتصف الليل، عندما وقفت ليندا بجوار الطابق الذي أنام عليه من السرير وأرادت أن تلعب. ثم أرادت أن تذهب إلى الحمام بعدما طلبت أن تأكل. لكن لم يكن بإمكانها أن تجلس مستقرة وإنما جرت خارج غرفة المعيشة لتحضر شيئا ثم نسيت هذا الشيء فرجعت إلى المطبخ، وعندها حدث أمر ما لها فرجعت مسرعة، وجرت في المساحة الضئيلة المتبقية من شقة بثلاث غرف بها غرفة مؤجرة. ثم بدأت تهتز وارتمت على كرسي، وطوحت كوبا وبدأت تضرب بذراعيها وقدميها في الهواء. أمسكتها أمي بقوة، بقبضة كتلك التي أمسكتها بها في العيادة ووضعتها في السرير وأمسكت بها بينما جريت أنا إلى غرفة المعيشة وجلست على الأرض خلف التلفزيون ويداي في أذني غير متأكد مما إذا كنت حيا أم ميتا، والصراخ يخترقني مع شعور بوخز في جلدي و رائحة الصمغ الصناعي وزيت الساج تلفح أنفي. قرأت الرموز الصينية التي يفترض أنها تتعلق بكهرباء التلفزيون لكن هذا لم يسكت الصراخ، حتى تحولت نافذة غرفة المعيشة إلى اللون الرمادي وامتلأت بالنور وسمعت أمي تصيح بأنني من الأفضل أن أذهب إلى المدرسة.

فذهبت بدون حتى أن أتناول الإفطار.

Twitter: @ketab_n

لم نأخذ في هذا اليوم سوى أربع حصص وحين عدت من المدرسة كان كل شيء كما هو. كانت أمي في الفراش مع ليندا التي كانت تتلوى وكان لون وجهها أبيضا بزرقة. كانت رائحة الشقة كلها رائحة قيء ليندا التي لم تبك قبل هذا مطلقا، لكنها اليوم قد خرجت عن شعورها وأصبحت مثل منشار دائري يقطع في الصخر. عرفت أن مارلين كانت هنا عندما وجدت طعاما معدا على الطاولة. وبعدما أكلت لم أعرف ما الذي علي أن أفعله، فصاحت أمي من وراء الباب الذي لم أستطع أن أقدِم على فتحه خوفا من أن أرى شيئا لا أستطيع نسيانه فيما بعد. قالت أمي إن بإمكاني أن أشاهد التلفزيون وأن أنام في غرفة المعيشة.

لكن تلك الليلة لم تكن أكثر هدوء من الليلة الماضية.

في السادسة من صباح اليوم التالي أتى كريستيان متسائلا عما يحدث ووجد أمي تطارده ليعود إلى غرفته:"وأنت، امكث هناك!" صرخت أمي التي بدا واضحا أنها قوية كحصان. كانت تحمل ليندا في أرجاء المنزل وهي تخفف عنها بكلمات غريبة لم أسمعها من قبل، تعويذات غريبة وكانت تكررها بلا نهاية.

ثم نامت ليندا، وجعلتني أمي أذهب للمدرسة ولكن أعطتني هذه المرة حقيبة غداء وحضنا بينما كانت كالغائبة عن الوعي. حذرتني من أن أخبر أحدا حتى إيسي، وقالت لي أن أكون قويا. بدا الأمر كما لو أن هذه الأشياء الفظيعة التي حلت بليندا ستكون نصف مصيبتنا لو أن أحدا علم بما يحدث.

وصلت مارلين وانا أوشك على المغادرة، وقضت اليوم بكامله مع أمي التي لم تذهب إلى العمل ذلك اليوم أيضاً.

Twitter: @ketab_n

في تلك الليلة نامت ليندا لما يزيد على الساعتين قبل أن تبدأ جلبتها في الوقت الذي كنت ذاهبا فيه إلى الفراش. عندها استغرقت أمي في النوم لفترة صغيرة. مرة أخرى كنت أنا مستلق في غرفة المعيشة وقطعتان من القطن في أذني وشعور بالوخز في جسدي بينما قامت المعركة داخل غرفة النوم. لم أستيقظ إلا حين جلست مارلين على الكرسي ذي المسندين وسألتني عن حالي.

"كيف حالك يا فين؟"

قلت وأنا جالس وأستعد للنهوض "إنها العاشرة"، اعتقدت أن خطبا ما قد وقع.

كنت مبتلا من اللعاب والعرق. وكان كل شيء هادئا وصامتا ومنيرا. في منتصف الغرفة وقف الطبيب الذي تحدثنا إليه في الفحص الطبي في ساجنا بمعطفه ولكن دون قبعة، قال بعض الكلمات المؤنبة والودودة لأمي التي كانت قد تزينت قليلا استعدادا للذهاب إلى العمل. قال إنه ليس من المتوقع أن تعالج نفسها بنفسها وردت:

- "هذه الطفلة لن تذهب إلى أي مكان".

- "لا، أنا أقدر كلامك لكن...".

- "لن تغادر هذا المنزل، لن تغادره مطلقا وأبداً!".

قال الطبيب "لا" مرة أخرى وعلق معطفه بجانب معطف كريستيان كما لو أنه يعيش هنا أيضا. ثم جذب أمي من ذراعها بحرص وأخذها إلى المطبخ وأجلسها على كرسي وبدأ يفحص ذراعيها ويديها التي أصبح عليها أشكال هلالية الشكل حمراء أعتقد أنها علامات عض.

Twitter: @ketab_n

كانت ليندا تجلس على طاولة المطبخ أيضا تتناول الإفطار وتشرب الكاكاو، غمست معلقة شاي في سطح الكاكاو وابتسمت بارتباك حين دخلت. انفجرت أمي ضاحكة بطريقة ذكرتني بالموت، وشعرت بيد مارلين على رأسي توجهني إلى الطاولة وتجلسني أمام طبق به أربع شرائح من الخبز، شرائح بدت أنها من تقطيع يد مارلين، وضعت عليها الزبدة وقطعتها على كلمات أغنية "يمكنك أن تحصلي عليه" سحبت شريحة وقضمتها بحرص.

قالت ليندا "ليندا مريضة".

قلت "وأنا أيضاً" وارتعشت بينما كنت أمضغ الطعام، حين توقف الزائر الجالس بجواري عما كان يفعله وتركزت عيون الجميع علي أنا. وقفت أمي وذهبت إلى الحمام كي تغسل وجهها وتضع زينتها للمرة الثانية ثم خرجت مرة أخرى وغمزت للطبيب متساءلة إن كان من المناسب أن تذهب للعمل وهي تبدو "هكذا؟".

ابتسم "هل تسألينني أنا؟".

قالت "ومن يفترض أن أسأل؟".

"نعم، حسنا إن كان ضروريا جدا أن تذهبي للعمل. سأوصلك".

قالت مارلين "لكنها لن تذهب إلى العمل" تغضن صوت أمي، واستدارت نصف استدارة وقامت بحركة حمقاء برأسها باتجاهي وهي تعتقد أنني لن ألاحظ، وبدا أن الطبيب لاحظني، فمال نحوي على الطاولة وسألني بفمه الكبير إن كنت قمت بالواجب المدرسي بالأمس. فعلتَه؟ حسنا، ثم أراد أن يعرف عدد الطلاب في فصلي...

- "فصل مختلط؟ هل هناك فتيات لطيفات فيه؟".

Twitter: @ketab_n

قالت ليندا "تانجا" وابتسم الطبيب، بينما كنت أحاول أنا أن أتذكر إن كنت قد قمت بواجبي بالأمس بالفعل أم لا. لقد قمت به، نعم، أتذكر النشيد والقطعة التي علينا أن نتلوها من كتاب القراءة عن هالفور الذي عاد إلى البيت وهو محبط للغاية، أعرفها عن ظهر قلب ومعرفتها لم تكن من أهداف التدريب حيث يفترض بنا أن نستخدم خيالنا وأن نكتبها بكلماتنا. لقد قمت بهذا، ولذلك لم أضيع الوقت وأخبرتهم عما حدث في "هيا" للحصان المريض الذي لم يستطع أن يقوم بعد أن وقع في الغابة، وكيف أن الطبيب البيطري قال إنه يحتاج إلى بعض الماء وعندما شربه الحصان انتعش. الغريب أن الجميع تابعوا وضحكوا وبدا عليهم الاهتمام وأمي أيضاً، أنهيت القصة وشربت اللبن، وقمت ذاهبا إلى المدرسة لكن الساعة كانت قد قاربت على الحادية عشرة.

- "يمكنك أن تبقى في البيت اليوم يا فين".

قالت ليندا "احكها مرة أخرى".

Twitter: @ketab_n

11

كانت مظاهر الهدوء والدفء والصيف والإجازة تعم شوارع أرفول. شعرت أن علي أن أعلّم ليندا كيف تتسلق الأشجار. لم تعد تخاف من المرتفعات وقد أصبحت أرفع وأطول إلى حد ما. لا أريد أن أبالغ حيث من السهل المبالغة عندما يكون هناك تقدم، لكننا في منزلنا نتقدم دفعة واحدة، ونحن مستعدون للأسوأ ويمكن أن نقفز قفزة كبيرة للأمام إن سارت الأمور على نحو جيد. على سبيل المثال، لم تتعرض ليندا لأي من انتكاساتها خلال المساء بينما كانت أمي تحكي عن حياتها الماضية.

أصبحت ليندا أقوى، فعندما نتدرب على المنشر المصنوع لتجفيف الملابس والموجود أمام منزلنا، لم يعد بإمكانها فقط أن تتعلق بذراعيها عليه لمدة ثماني ثوان، وإنما أصبح بإمكانها أن تتأرجح على طول قضبان هذا المنشر وتتحرك عليه مرتين أو ثلاثة وربما أربعة قبل أن تقع في يدي. إنها تثق بي وأنا أمسك بها دائما وأحب أنها تثق بي.

تقول "إن هذا يدغدغني" حين أقف على الكرسي الحديدي وأساعدها في الصعود من أجل التشبث في المنشر. يمكنها أن تجلس فارجة ساقيها بين الهيكلين المخصصين للمبنى1 والمبنى2 وأن تتشبث بحبال الغسيل بقبضة قوية لمدة أربعة أو خمسة دقائق. استمتعنا كثيرا باللعب والتسلق، كذلك فريدي1 الذي كان كبيرا وثقيلا ولا يستطيع التسلق، لكن كان بإمكانه أن يؤرجح نفسه طيلة اليوم على طول الهيكل كله وأن يجعله يهتز مثل أشرعة السفن التي تقاوم عاصفة. وبينما تقف ليندا على المسافة الفاصلة بين الهيكلين ينام هو وظهره على القواعد الإسمنتية وذراعاه خلف رأسه ويطلب منها أن تقفز على معدته، لكنها لا تجرؤ على فعل هذا.

Twitter: @ketab_n

يقول "هيا، إن هذا لن يؤلمني".

تفكر ليندا في الأمر، ثم تشك أن فريدي1 مستلق في هذه البقعة كي يرى ملابسها الداخلية الصفراء ذات الورود. أخبرها بأن تستلقي على معدتها وأن تنزلق هابطة من الهيكل وأن تترك نفسها عندما لا تستطيع أن تستمر في التشبث بالقضبان أكثر من هذا. تفعل كما أقول لها، وبعد سقطة من ارتفاع متر ونصف تهبط بصندلها بثبات كأنما غُرست في بطن فريدي1 الذي تنتابه الكحة ويحمر وجهه في الوقت الذي تخرج أمي فيه مرتدية نظارة شمسية وحاملة كرسي مطوي ومجلتين من مجلات المرأة.

"ما هذا الذي تفعلونه؟ ما هذا يا فين؟!"

كان فريدي1 مستعدا للدفاع عني، يمكنني معرفة هذا من وجهه، لكنه لم ينطق بكلمة واحدة. جاءت أمي تجري وساعدته للجلوس على المقعد الحديدي حيث وضعت سلال الغسيل، ونظرت في قلق كي تعرف إذا ما كانت أم فريدي ترقبنا من نافذتها أو بلكونتها. لكن أمه كانت نائمة وكان أبوه في موقع للبناء وأخته الكبرى في معسكر صيفي. لم يرغب فريدي1 أن يذهب إلى المعسكر. وإنما أراد أن يبقى في البيت كي يتسكع في الشوارع في الوقت الذي لا يوجد فيه أي ممن يضايقونه، حيث كان فريدي1 يرى أن الأجازة هي الوقت الذي يقضيه من يضايقونك في الجحيم.

استمعنا لتحذيرات أمي وساعدناها في فرد الكرسي القابل للطي. ثم لعبنا مع بعضنا البعض بكرة، وجلسنا على النجيل وعلى وجوهنا ملامح الملل، حتى سئمت أمي منا وسألتنا إن كان لدينا شيء أفضل لنفعله.

عبرنا شارع ترافر ومشينا نحو هاجان بعيدا عن نظرها، حيث كانت هناك شجرة سنديان لها فروع منخفضة يمكن لشخص في طول ليندا أن

Twitter: @ketab_n

يصل إليها ويمكن لفريدي1 أن يتسلق حتى يصل إلى القاعدة2 كما نطلق عليها وهي في قمة جذع الشجرة، حيث الأفرع الهائلة الحجم تتشعب لتشكل منصة أو أرضية من السنديان الصلب بمساحة تكفي لأربعة أو خمسة أطفال أو ربما ستة، ومن هذا المكان تبول فريدي1 على فريدي2 الذي لم يستطع أن يتسلق سوى حتى القاعدة1.

يمكننا أن نرى من هذا المكان أثر الحرارة المتوهجة على وسط المدينة، وعمارات ديسن الجديدة وشارع تروندهايمز والبناية التي نسكن فيها والقابعة هناك بين شوارع خالية من المارة، بالإضافة إلى الشقق والحقول التي كانت في مرحلة الحصاد، وكيف تتحول إلى مساحات معشبة تحتاج إلى العناية، وحدائق ومنتزهات مدينة أوسلو التي تشكل تناقضا في حد ذاتها، إذ أنها أماكن بلا أشخاص، كمحارة خاوية بعد أن عاد من فيها إلى حيث كانوا ليعلموا أطفالهم تجفيف القش والصيد والحصاد وتسلق الأشجار. إيسي الذي أقلته سيارة عبر الجبال إلى رومسدالن وفاتن التي كانت في سولير وروجر في شمال النرويج بالإضافة إلى جميع من كانوا في معسكر جزيرة هيوداي الصيفي ولا يفعلون شيئا سوى الاشتياق إلى بيوتهم في هاجان ولنا وللمنظر المدهش الذي نستمتع به الآن بينما ننظر إلى الشوارع وهي بدون كل من ينتمون لها. إنه وقت غريب فالصيف لغز مثل الشتاء.

لكن هذا لم يكن صيفا عاديا.

ففي المقام الأول كانت ليندا معنا مما أوقف أغلب أفكار فريدي1 المركزة على سرقة أشياء لا نحتاجها من قبو أو من خزانة علية، كيلو دقيق، ملمع أحذية، بازلاء والتي على الأقل كان من الممكن استخدامها لقذفها بالنبال، ربما كان أفضل شيء نسرقه هو الزجاجات الفارغة من

Twitter: @ketab_n

ستاد تروتنج والتي يمكن أن نردها فنحصل على المال ونشتري الأيس كريم. لم يكن بإمكاني إقناع ليندا للقيام بأي من هذا.

وثانيا، كان كريستيان يجلس على طاولة المطبخ عندما عدنا في المساء مرتديا شورت كاكي اللون أكبر من مقاسه بكثير وقميص كاكي كبير الحجم أيضا مما جعله يبدو مثل شخصية كوميدية. كانت لديه مفاجأة لنا، تساءل إن كنا نريد أن نستعير خيمته للإقامة بها والتنزه؟

سألت أمي "هل أنت جاد في هذا؟" بينما كنا نجلس على كراسينا، وتساءلت أنا عما جلب لنا هذا الرجل مرة أخرى، إذ لم يظهر كريستيان منذ مرضت ليندا وكان هذا منذ شهرين على الأغلب.

كان لدى كريستيان خيمة سكنية -كما يحب أن يطلق عليها- في جزيرة في ممر بحري في أوسلو تسمى هويا، وكانت الخيمة منصوبة هناك طيلة فصل الصيف حيث اعتاد أن يأخذ القارب في نهاية الأسبوع متجها إليها.

- "خيمة سكنية؟".

- "نعم خيمة تكفي لستة أشخاص ولها مظلة خارجية أيضا".

كنت أريد أن أسأله عما يمكن أن يفعله ساكن أعزب بخيمة تتسع لستة أفراد، لكنه أجاب دون أن أسأله. "حسنا، إنها ليست شيئا مميزا، فقد حصلت عليها مقابل مبلغ زهيد كما أن بها أجزاء محروقة".

بدأت أمي تضحك.

قال كريستيان "من الصعب تماما أن تميزي هذه الحروق".

ما فهمته أن هذه الخيمة لم تكلفه الكثير من المال وبالتالي فقد سهّل هذا حصوله عليها وجعلها تبدو مغرية بشكل لا يمكن مقاومته.

- "ألن تحتاج إلى استخدامها؟".

Twitter: @ketab_n

- "لا أنا لا أستخدمها، هذا ما أحاول أن أخبرك به، إنها مقفلة، وهذا هو المفتاح".

بحث قليلا ثم أخرج من جيبه مفتاحا صغيرا بدا مناسبا لصندوق مجوهرات. أمسكه عاليا حتى يراه الجميع ويعبروا عن إعجابهم به ثم وضعه على الطاولة بين أطباقنا. قال إنها ليست محترقة وإنما مشمسة ومضيئة وكل ما علينا هو أن نشق طريقنا إلى هناك.

صحت "إذا يمكن لفريدي1 أن يأتي أيضاً".

- "توقف يا فين، لن نذهب إلى هذه الخيمة أو هذه الجزيرة...".

قال كريستيان "لم لا؟ ستمتعون كثيرا هناك حيث بإمكانكم أن تستلقوا خارج الخيمة وأن تأخذوا حماما شمسيا أيضا".

- "توقف عن هذا الآن!".

- "إن لديك سمرة إلى حد ما. سيناسبك هذا".

- "قلت توقف".

- "ويحتاج الأطفال إلى بعض الهواء المنعش...".

- "خيمة" قالتها ليندا وأمسكت المفتاح تتفحصه وتحملق به قبل أن تسقطه في كوب اللبن الخاص بها.

- "ليندا!".

صحت أنا "لم يذهب فريدي1 إلى رحلة من قبل !إن هذا أمر محزن!"

- "لماذا تطلق عليه فريدي1".

- "لأن هذا هو اسمه!".

- "أعطني المفتاح يا ليندا".

Twitter: @ketab_n

وضعت ليندا يدها في اللبن واصطادت المفتاح وأعطته لأمي التي مسحته ومسحت يدها بفوطة الشاي وهي تهز رأسها. ثم توقفت وتفحصت المفتاح بنفس الطريقة التي تفحصت بها الأرنب الذهبي الذي كان هدية عيد الميلاد لها والذي لاحظت أنها بدأت تلبسه وهي ذاهبة إلى محل الأحذية.

سألَت بارتباك "وهل هناك أكياس للنوم؟".

لقد وضع كريستيان هذا في اعتباره أيضا، بل لم يكن هناك شيء لم يفكر فيه حتى ذلك الدلو المغطى بالخيش الأخضر والذي يمكن أن نستخدمه لنقل الماء من الصنبور الخارجي، والمعلق على شجرة الصنوبر بجوار الخيمة. كان دلوا بصمام في قاعدته، وإذا علقناه عاليا فلسوف نستطيع أن نقف تحته ونستحم، وهو ما كان ممتعا جدا حين تدفئ الشمس المياه.

بدأت أمي تفكر في أن هذا كله مخطط بدقة كما لو أن كريستيان يحاول أن ينال رضانا، كأن هذه الخيمة هي جزء من خطة أكبر تشتمل ضمن ما تشتمل على التلفزيون والأرنب الذهبي ولوحة الشطرنج التي سمحت لي أمي بأن "أستعيرها" وهي على مكتبي الآن.

- "يجب أن يأتي فريدي1 معنا،" كررتها بإلحاح "لن أذهب بدون فريدي1!".

- "لا تبدأ في هذا" رد كريستيان علي بعنف بينما بدا وكأنما سيحطم قبضته على الطاولة.

- "ما الذي تعنيه بهذا؟" قالت أمي مقدمة لي الدعم على الفور.

- "يالكم من عصابة" قالها كريستيان ونهض بملابسه الكاكية اللون ماشيا بسرعة نحو باب غرفته.

قالت ليندا "إنه غاضب" بينما صفق هو الباب خلفه.

Twitter: @ketab_n

جلست أمي ولم يتحرك أي منا، نظرنا إلى بعضنا البعض عبر الطاولة التي كان عليها مفتاح متلألئ وقطعة نصف مأكولة من الخبز، مما أعادنا إلى النظر إلى بعضنا البعض بجدية أكبر وأبعدت أمي بعض خصلات شعرها المحبطة عن وجهها وتنهدت:

- "ما الذي حدث لنا؟ كل ما يريده الرجل هو أن يعيرنا خيمة محروقة!".

لم نسمع شيئا مضحكا مثل هذا مطلقا حتى أننا انهرنا ضاحكين على الطاولة ولم نستطع أن نتوقف عن الضحك كما لو أننا لم نكن ننوي أن نتوقف عنه، ربما لأن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يعيدنا إلى حالنا الأول. نهضت أمي وفتحت باب غرفة الساكن وصاحت :

- "تعال وأكمل طعامك ولا تجلس عابسا هكذا".

بدأت الأمور تعود إلى نصابها الآن. عاد كريستيان بابتسامة نصف مكدرة على وجهه الذي أصبح أقل حميمية لكنه عاد إلى مكانه بشكل دبلوماسي وبدأ يستكمل وجبته بينما كانت أمي تصب له المزيد من القهوة وقالت إننا نقدر عرضه بالطبع، وأن الأمر كان مفاجأة لنا فحسب، ماذا عن الذهاب إلى هناك يوم الثلاثاء ولمدة أسبوع، سألَته عن رأيه في هذا؟

- "جميل، جميل. لا مشكلة".

لكنني مازلت عند رأيي.

"فريدي1 سيأتي معنا" كررتها بينما كانت أمي مبحرة بأشرعة تدفعها رياح طائشة غير مكترثة.

"علينا أن نصعد أنا وأنت إلى الأعلى الآن كي نسأله".

Twitter: @ketab_n

لبست صندلها في لمحة بصر وكنت أنا حافي القدمين، فقد كنا في فصل الصيف على أي حال. هبطنا السلالم وعبرنا المساحة المعشبة الخالية بسرعة بدأت تقل مع تفكر أمي في بعض الأمور. سألتني بعض الأسئلة عن أم فريدي1، التي رأتها كثيرا لكنها لم تتبادل معها أي كلمة وإنما سمعت بعض الإشاعات عنها...

وصلت مع أمي إلى الطابق الثالث حيث أسرعت كي أدق جرس الباب، لكن لم يفتح لنا أحد، سمعنا الكثير من الصياح بالداخل، كان هذا خلافا على من سيفتح الباب بين فريدي1 وأمه على ما أعتقد، معركة خسرتها الأم.

فتحت الباب وبدت هادئة ومبهجة. ارتفع حاجبا لها فوق الآخر حين أخبرناها عما نريد، ثم أجابتنا بأن هذا سيكون لطيفا وقالت:

- "بالتأكيد ينبغي أن يذهب فريدي في رحلة، إنه لم يذهب إلى أي مكان في حياته".

لكن فريدي1 لم يظهر وهو ما اعتقدت أنه غريب بعض الشيء، لأنه كان بالداخل يستمع ويحاول تحديد من يتحدث وما الذي نتكلم عنه. صحت قائلا إننا سنذهب جميعا يوم الثلاثاء.

- "هل تسمعني؟!"

لم يرد فريدي1 على هذا السؤال.

صاحت أمه "ما هذا؟ "!وتحولت في إتجاهه بدون أن تتحرك مليمتر واحد عن الباب، بل حرست الباب بجسدها. لم أعبر هذه العتبة قط على الرغم من أني صديق فريدي1 الوحيد.

قال مرة أخرى "لا".

Twitter: @ketab_n

رأيت عيني أمي تدوران حين لوت أم فريدي قسمات وجهها بإحباط وهو تعبير وجهي متقن جدا في هذه البناية، ثم هزت كتفيها وقالت شيئا يعني أن هذا الولد لا فائدة فيه.

لكنني لم أستطع أن أستسلم فصحت مرة أخرى بأننا سنذهب بقارب وسنقضي وقتنا على جزيرة ضخمة وسنسبح ونعيش في خيمة.

لم يتغير رأي فريدي1.

جاءني نفس الرد "لا" بنفس العناد السابق. عندها أحست أمي بأنها ألحت بما يكفي. قالت لأم فريدي1 وداعا فجاءت الكلمة مرتبكة، سحبتني من كم القميص وجذبتني ونحن نهبط السلم نحو الأعشاب التي لا يوجد حولها أحد والتي نقلت دفء الشمس لقدمي الحافيتين. بدأ مزاج أمي يتغير.

- "هراء كبير هذا الذي في رأسك يا فين!".

كما لو أنني خنت ثقتها بأشنع طريقة. صحت "لابد وأنه يضرب رأسه في الحائط ندما الآن. دعينا نعود إليه!"

- "هل جننت؟".

- "أنا أعرفه. سيركل نفسه ندما!".

- "سأركلك أنا الآن" صاحت بها في وجهي ومشت بسرعة وتركتني.

كان هذا بمثابة ضربة قاضية لخططي.

جريت خلفها لكنني لم أقل شيئا حتى انتهى هذا المساء، لم أذكر فريدي1 ولو مرة واحدة، حتى ونحن نتحدث عن جمع أمتعتنا. من حسن الحظ أن ليندا كانت قد تلقت حقيبة مدرسية جديدة كي تذهب بها إلى المدسة، صعدت أمي إلى العلية وأخرجت حقيبة ظهر قديمة يبدو أنها خاضت حربين عالميتين على الأقل. علقت قائلة "يا إلهي" وهي تدس

Twitter: @ketab_n

أنفها في الحقيبة، ثم أمسكتها لأعلى ومرت بعينيها عليها بقرف ثم عادت إلى العلية مرة أخرى وأحضرت حقيبة سفر مستطيلة ومسطحة عليها اسم قرية دومباس في بطاقة العنوان.

قال كريستيان الذي كان يقضي المساء أمام التلفزيون "لا يمكن أن تذهبي لرحلة تخييم بهذه الحقيبة" ثم نهض وذهب إلى غرفته ليعود بحقيبة ملونة من القماش اتضح بعدها أنها حقيبة لأطقم أدوات العمل الخاصة به، كان لها حبال وحلقة نحاسية وكتفيتين حتى يمكن حملها على الظهر "هذه هي الحقيبة التي أذهب بها".

- "حسنا" قالت أمي وهي تنظر بحذر إلى شكل الحقيبة.

سحب كريستيان خريطة للجزيرة كي يرينا مكان خيمته ووضع دائرة على مكان حنفية المياه ومتجر وشاطئين ومكان للحفلات، كنا متلهفين للمغادرة، ولمعت عينا كل منا كالشمس عندما وضع علامة على منطقة سرية يمكنك الاستلقاء فيها على بطنك وصيد سرطان البحر. شعرت بشعري يقف وأحسست أن هذا الشعور يتسلل على طول عمودي الفقري كما لو كان جلدي من فرو كثيف. أصبحت مشكلتي الوحيدة هي غياب فريدي1. جلست عند النافذة قبل موعد النوم كي أرى إن كان يجلس بجانب نافذته ممتلئا بالندم لكنه لم يكن هناك وهو الولد الذي اعتاد أن يعيش على حافة النافذة إما للنظر منها أو كي يدلي شيئا للأسفل أو كي يلقي ببالونات الماء أو كي يجلس ببساطة عند النافذة. لكنني في هذا الوقت كنت قد تمكنت من عمل خطة. لم تكن خطة جيدة لكن حتى الخطط الجيدة قد تضيع هباء.

Twitter: @ketab_n

12

في صباح يوم الثلاثاء بدأنا رحلتنا في الفجر حيث كانت خيوط الشمس الأولى تشق طريقها وسط السحاب. سحبنا حقيبة كريستيان متجهين إلى محطة الأتوبيس، ثم داخل الأتوبيس حيث مازحنا الكمساري قائلا إننا يجب أن ندفع تذكرة عن الحقيبة. هبطنا في وسيلز وجررناها حتى الميناء حيث يفترض أن ينتظرنا القارب، لكنه لم يكن بانتظارنا. اكتشفنا أننا وصلنا ثلاث ساعات مبكرا عن موعدنا لأن جدول المواعيد الذي أعطاه لنا كريستيان قديم وغير محدث.

كان المكان به الكثير من الأشياء الملفتة للنظر، كالسفن الشراعية والعبارات واليخوت، ومجموعات من الناس يشترون السمك والجمبري من المراكب الشراعية والبخارية التي تصعد وتهبط في المياه المائل لونها للون مياه الصرف، وقطارات الشحن التي كانت تمر بين الحشود محدثة ضجة كبيرة وصوت صافر وهسيس، وبها أعلام خضراء ورجال بملابس موحدة يقفون في الخارج يصيحون لغير المنتبهين حتى يخلوا الطريق للقطار القادم.

بدت حقيبتنا القماشية بعد أن وضعناها على أحد الأرصفة ككنبة صغيرة. قالت أمي إن لديها مهمة ينبغي أن تتمها وأن علي أن أضع عيني على ليندا أثناء غيابها وأن أضمن أنها لن تقع من حافة الرصيف.

- "أمسكها!".

- "نعم، نعم".

Twitter: @ketab_n

لكن ما أن تجادلنا أنا وليندا حول درجة إحكام قبضتي على يدها حتى عادت أمي.

تألق وجهها وهي تقول :"انظر من وجدت!".

كانت مارلين تقف إلى جوارها وعليها الكثير من مواد الزينة حتى أنني لم أتعرف عليها في البداية وكان معها رجل لم أره من قبل على الإطلاق لكنه قدم نفسه بابتسامة على أنه جان، صديق مارلين. كانا يلبسان ملابس لونها أحمر قاني مثل تلك الملابس التي يلبسها بائعو الحلويات في سينما ريجينا. وكانا في طريقيهما إلى العمل في أكرشوس فورترس الذي أشار إليه جان. جذبت مارلين ليندا من ذراعيها ورفعتها وحضنتها وقالت إن فتاتها الصغيرة كبرت على الرغم من أنها لا يمكن أن تكون قد نمت بأكثر من مليمتر واحد في الأسبوعين الأخيرين منذ آخر مرة رأينا فيها مارلين.

قالت "وفين أيضاً" كي تعدل بيننا.

عندما سمعا أننا لن نغادر قبل ساعتين، دعانا إلى مطعم فريلوفتن لتناول قدح من القهوة، فلا يوجد عدد كبير من الزبائن في النهار. ربما لديهما شيء آخر لنا. هكذا قال جان لي بغمزة ماكرة، وهو يطوح حقيبتنا على ظهره، ويحملها بالطريقة التي يبدو أنها صممت لتحمل بها وبدا هذا ذكيا. تبعناهم عبر ميدان تاون هول وخط السكة الحديد حتى وصلنا إلى المطعم، وجلسنا في مكان أطلق عليه جان طاولة العمدة، لأن العمدة كان يجلس عليها في أغلب الأحيان كي يشرب البيرة ويدخن السيجار ويعقد الاجتماعات المهمة. كانت هذه الطاولة عند الجانب الخارجي من المطعم وبالتالي تطل على الميناء بكامله.

Twitter: @ketab_n

طلبت أمي قدحا من القهوة وكعكة اللوز بينما طلبت أنا وليندا آيس كريم جاء في أكواب تشبه النوافير تقف على ساق طويلة حتى أن ليندا اضطرت إلى أن تسحبه وتسنده على حجرها كي تأكله.

جلسنا وحدنا بينما ذهبت أمي الي الحمام . جاء جان وسأل إن كان السيد والسيدة يطلبان المزيد من الأيس كريم وصفر وانحنى وقام بالمزيد من الحركات إلى اليسار واليمين والوسط بطريقة جعلته يبدو مثل خالي تور وبشكل مثير للضيق.

كان هذا المكان مختلفا جدا عن المطعم الذي ذهبت إليه في آخر مرة والذي كان على ما أذكر وسط غابة في أحد الأيام قارسة البرودة من شهر يناير. فالمفارش البيضاء ذات النقوش الكبيرة تغطي جميع الطاولات هنا، كما توجد نوارس سوداء الرأس معلقة فوقنا في مجموعات. دقت أجراس ميدان تاون هول في تناغم وغنى القطار وهو يعبر بمحاذاة المبنى الذي نحن فيه، وجاءت القوارب وراحت واهتز الميناء وتمايلت الروافع على طول أرصفة الميناء، وبامتداد شركة آكر وهي الشركة التي عمل فيها أبونا ومات.

الشيء الوحيد الذي لم نحتمله هو صفارات الضباب التي كنت أحبها ووصفتها لليندا من قبل. لكن ما فائدة استخدام صفارات الضباب والجو مشمس؟ كنا بالفعل بعيدين عن المنزل ولم نكن خائفين كما لم نكن نشعر بالملل.

لاحظت شيئا قد يقضي المرء أمامه عددا من الأيام أو الأسابيع أو ربما نصف عمره كي يفهمه. شعرت كما لو أن الساعة تشير في الاتجاه الخطأ، فقد عادت أمي ووقفت عند المدخل تتحدث إلى مارلين التي كانت تحاول الحفاظ على اتزان صينية فضية على أصابعها المستقيمة،فكانت في

Twitter: @ketab_n

طريقها لتقديم كوبين من البيرة لإحدى الطاولات. ارتسم على أمي ومارلين اثناء حديثهما تعابير وانفعالات جياشة، وكان من الواضح أن ما يتحدثان عنه كان مصدر قلق شديد لأمي. نظرت ناحيتنا حيث كنا جالسين في المكان الذي تركتنا فيه مرهقان من كل الآيس كريم الذي تناولناه، لوحت لنا وقالت شيئا لم نستطع أن نسمعه. فتحت حقيبة كانت تحملها في يدها وأمسكت بملابس سباحة لليندا. تحولت مارلين ناحيتنا وابتسمت لنا في ضوء الشمس و لوحت بيدها ثم قالت كلمات وداع لأمي، ثم أسرعت كبجعه حمراء بين المناضد البيضاء ووضعت الصينية أولا ثم كوبين أمام رجلين يلبسان بدلتين في نهاية المطعم، وابتسمت وهي تلتقط دفترا صغيرا من جيب مريلتها، وضحكت على شيء قاله أحد الرجلين وكتبت شيئا وقالت شيئا آخر ثم استلمت مالا وعدته بيدها اليسرى قبل أن تجاملهما وترد على مزحة اخرى بأن أعطت ظهرها لهما بحركة انسيابية رائعة كما لو كانت ترقص، أو كما لو أن موسيقى القداس تعزف، لكن ما هو الشيء الذي كانت أمي تتحدث عنه.

جاءت أمي وأرت ليندا حلة السباحة كحلية اللون وبها زهرة سوسن مائية صفراء في المقدمة، وقالت إن عليها أن تضعها في حقيبتها المدرسية لأن علينا أن نمضي الآن. وضع جان صينية عليها سندوتشي جمبري على طاولة مجاورة ثم أتى مسرعا، طوح حقيبتنا على ظهره وحملها بالطريقة التي صممت كي تحمل بها خارجا من المطعم، ثم نزل بها السلم ومضى حتى شريط القطار ثم إلى القارب، حتى أنه صعد معنا إلى متن القارب وتأكد من أننا قد حصلنا على مقعد في المؤخرة، في نهاية القارب، عند قائم الملاحظة كما يطلق عليه، حيث لا ينبغي عليك مراقبة حواف التلال التي تحيط بهذا الزقاق البحري وأنت تغادر عاصمة النرويج الرائعة، وإنما عليك أن تراقب المدينة نفسها وهي تودعك متلاشية في الافق.

Twitter: @ketab_n

"أراكِ لاحقا" قالها وهو يغمز لأمي التي بدت كملاك نائم وهي تجلس باسترخاء على المقعد الجلدي المهترئ متكأة على سور المركب ووجها مرتفع نحو الشمس، بينما عيناها مغلقتان على ما اعتقد خلف نظارتها الشمسية السوداء.

اختفت المدينة خلف ارتعاشة ذهبية للهواء، بينما وقف مجلس المدينة والأوناش في شركة آكيش ميكانيسكا فيكستا كما لو كانت تعطينا تحية الوداع. شعرت بأن شيئا ما يحدث داخلي، في أحشائي، وفي فمي الذي امتلأ بالسوائل، لابد وأنه الآيس كريم الضخم. ثم تقيأت، لم أفعلها على سور القارب لأنني لم أعرف أني سأتقيأ، وإنما فعلتها على أرضية القارب. خرج مني سائل أبيض أمازوني بين الأحذية الرياضية والصنادل وأكياس النوم وسنانير الصيد، وبين الركاب الذين قفزوا عاليا وصاحوا بتعبيرات مختلفة. كنت جاثيا على ركبتي ومكثت هكذا في وضع يشبه وضع الصلاة، مندهشا من هذه المادة الشبيهة بالجبن المتكتل كيف وجدت متسعا في معدتي، وقطع كاملة حمراء وصفراء من الفاكهة بدا أن من الممكن إعادة استخدامها. ساعدتني أمي على النهوض على قدمي وقالت يا حبيبي المسكين وعددا من العبارات الأخرى المحرجة، وحاولت أن تنظفني بمنديل ورقي، في حين جاء رجل قوي البنية يرتدي الجاكيت الأسود الذي يلبسه عادة مدير الدفة، كان قبقابه يقعقع وهو يشق طريقه بين الجمع بابتسامة عريضة وبيده خرطوم مياه يسعى وراءه كحية، وشرع في سكب الماء على أرضية القارب، بعدما صاح بصوت مرتفع كي يسمع الجميع:

- "حسنا، إن لدينا اليوم بحارا آخر مبتدئًا ومتوعكا، أليس كذلك؟ وفي بحر هادئ سطحه كمرآة".

Twitter: @ketab_n

لم يختف ذلك الشعور الهائل بالغثيان إلا عندما وصلنا للشاطئ بعد ساعة كاملة، استلقيت على ظهري على رصيف الميناء وحملقت في السماء وعيناي مغلقتان. بقيت مستلقيا دون حراك حتى هدأ كل شيء بداخلي ومن حولي.

كنا على جزيرة هوهيا.

جنة خضراء في منتصف مضيق أوسلو البحري. بها مسارات ضيقة للمشي وبيوت قليلة، وثلاثة شواطئ وأرض عشبية منبسطة تمتد حتى غابة نصدح بغناء العصافير، وتحفل بالصخور والمنحدرات والأشجار الكثيفة والشجيرات والحشرات ومجار عميقة صنعها الماء المتدفق، كانت هذه مملكة التنين، ولم نكن نعرف ما إذا كان هذا جيدا أم سيئا.

اتضح لنا أن قانونا مستقلا يحكم هذا المكان، يطبقه بشكل رئيسي شخص واحد أتى ليتحدث إلينا بمجرد وصولنا إلى الرصيف، لأننا بلاشك كنا الركاب الوحيدين الذين توقفوا من أجل أخذ قسط من الراحة بعد وصول القارب بينما انطلق الآخرون في سباق إلى وسط الجزيرة حيث كانوا يطمعون في الحصول على افضل الأماكن لإقامة خيامهم بها كما عرفنا لاحقا.

كان في سن وحجم جد مسن لابد وأن الجميع حلموا بأن يكون لهم مثله في يوم ما. كان قصيرا إلى حد ما، مرتديا ملابس تبدو مصنوعة عند ترزي ومخصصة من أجل هذه الجزيرة ومن أجل هذا الفصل على وجه التحديد، شورت طويل يشبه ملابس السباحة لكنه يميل إلى أن يكون كزي رسمي موحد، يعطيه مظهر ضابط بالإضافة إلى قبعة قبطان سفينة عليها مرساة بلاستيكية بيضاء، وموضوعة بإحكام على شعره ذي اللون الرمادي، وله لحية من نفس اللون الرمادي وعينان لامعتان

Twitter: @ketab_n

صغيرتان تطل منهما نظرات جمعت بين الحدة والود معا، لكنهما كانتا مراوغتين أيضا خاصة حين أسقطهما على أمي التي تلبس الآن صديرية مايوه بيكيني ونظارة شمس فوق شعرها، تبدو عدساتها كقطعتين من الماس الأسود.

بعد أن قالت له تفاصيل قليلة بتلعثم وأخبرته أننا جئنا بدون خريطتنا، تنهد وتمتم قائلا:

- "نعم، كريستيان، كريستيان هذا... " وارتدى وجهه المصبوغ بسمرة الشمس الكثير من التعبيرات المختلفة. فقدنا رباطة جأشنا على الفور، لاحظ الرجل هذا وأخبرنا بصوت منخفض أنه لا يمكن لشخص أن يأتي هنا ويتوقع أن تكون له خيمة منصوبة على الدوام، وإنما هذه الخيام تتنقل بتغير الأيام، وأن الناس لا يأتون هنا فيغرسون جذورهم في الأرض ويحتلون نفس البقعة من الجزيرة كي يقضوا فيها عطلات نهاية الأسبوع. كان يريد أن يقول إنك لن تستطيع أن تمكث في نفس الموضع أكثر من ليلتين. بعدها يجب عليك أن تسحب أوتاد خيمتك وان تنتقل إلى مكان آخر. علاوة على هذا، لم يكن مسموحا لك بأن تتناول المشروبات الكحولية، وذكر شيئا عن الطعام ومتجر ما لكنني لم أستطع سماعه.

غمغم وهو يختم كلامه بشكل استرضائي بعدما عدد كل هذه القواعد التي لم نفهم لها معنى ولا هدفا قائلا :"يمكنك أن تناديني هانز".

سألت "لماذا؟" وشعرت بأمي وقد ركلت رجلي واستمرت في النظر نحو القبطان الصغير بنظرة راجية، لم نكن من النوع الذي يمكنه أن يقف ساكنا خاضعا لسيطرة شخص آخر.

قال بارتباك "حسنا، هذا اسمي" وحول وجهه من صديرية البكيني الخاصة بأمي إلى ليندا التي قررت ببساطة أن كل ما قاله لا يهمها.

Twitter: @ketab_n

قالت أمي:

- "إذا لا توجد أي خيمة لنا هنا؟".

- "توجد خيمة لكم بالتأكيد" قالها هانز بشيء من الحكمة الغامضة وعندها انتبهت ليندا ونظرت إليه بتعبير جاد وقالت:

- "لقد تناولنا الآيس كريم".

- "امم... فعلا؟! حسنا، لابد وأنه كان جيد المذاق على ما أعتقد".

- "نعم".

خيم الصمت لبرهة. قالت ليندا:

- "إننا في أجازة".

- "نعم، هذا صحيح. امم...".

كان هذا كل ما قلناه. جذب هانز حقيبتنا وأخبرنا أن نتبعه، حملها بالطريقة التي صممت لتحمل بها أيضاً. وقادنا عبر الساحة التي ضمت الحشود القادمة لقضاء العطلة وهم ينصبون خيامهم، ثم انحنى نحو مسار ضيق وقادنا عبر أشجار كثيفة صاعدا منحدرا بين قليل من الصخور حتى وصلنا إلى مساحة خضراء على تل صغير، واحة مرتفعة المستوى تطل على البحر وجزر أخرى قليلة أو ربما البر الرئيسي، توقف عند هذه المساحة وأصاغ بسمعه، كما لو أنه سيكتشف مكان الخيمة من خلال الإنصات. كانت خيمتنا التي تتسع لستة أفراد واقفة هناك بجانب الغابة في الزاوية الشمالية لهذه الجنة. كانت زرقاء بلون البحر والسماء والنهار، ملحق بها مظلة كبيرة برتقالية اللون، إن هذا بيت كامل بمعنى الكلمة.

سألَت أمي إن كانت هذه هي الخيمة وأجابها هانز بالإيجاب، تَبِع هذه المعلومة حديث غامض أعتقد أنه يدور حول ما جعل لكريستيان الحق في

Twitter: @ketab_n

أن يضع خيمته هنا، في مكان ثابت، خلافا لكل القواعد، بالإضافة إلى تساؤل عما سنقوله لو جاء أحدهم إلينا وطلب منا أن ننتقل، وأن علينا أن نقول إننا لم نكن نعرف أنه ينبغي علينا الانتقال وأن نحرك الخيمة ثمانية أمتار نحو الغابة، ولكن بزاوية لن تدع أي مساحة لخيمة أخرى بكل تأكيد. أما إن لم يطلب منا أحد أن نتحرك، وهذه هي الاحتمالية الأكبر، حيث كان هذا المكان مكانا سريا، فليس علينا أن نزحزح الخيمة على الإطلاق وهي جملة تركت لدينا بعض القلق، كنا قد اعتدنا على الإحساس به بالفعل، شعور بأننا نعيش في الخفاء وطبقا لقواعد شخص آخر.

قالت أمي أشكرك وهذا لطف منك و "لم أكن لأفكر في هذا على الإطلاق. ليس هناك أي أثر يدل على احتراق بالخيمة، أليس كذلك؟".

قال هانز وهو يشير إلى بقعة بنية اللون لم نكن لنلاحظها أبدا "لا، أعتقد أن الحريق طال قائما واحد وجزءا هنا في الخلف".

أصبح معي المفتاح الآن، فتحت القفل الصغير وتسحبت تحت المظلة، حيث كانت درجة الحرارة مائتين وتسعين درجة مئوية وفاحت في المكان رائحة عفنة اتضح أنها تأتي من حذاء رياضي حمله هانز بعصا ونزل به مسرعا عبر المنحدر. كان من الممكن فتح الخيمة من الأمام وفتح جانب من قماش القنب الموجود في المؤخرة من أجل السماح للنسيم الصيفي اللطيف بالانسياب عبر البيت الأخضر الذي يغلي من الداخل. وكان بالخيمة اكياس نوم ومراتب هوائية وسرير للشاطيء، وأربعة كراسي ضعيفة وطاولة مهتزة بالإضافة إلى الحقيبة الشهيرة المغطاة بقماش القنب التي يفترض أننا سنستخدمها من أجل إحضار الماء والمعلقة على الشجرة هناك.

Twitter: @ketab_n

"ويمكنكم أن توقدوا النار هنا" قالها هانز الذي عاد بعد أن رمى الحذاء بعيدا وأشار نحو دائرة من الحجارة محاطة بدائرة أخرى مصنوعة من جذوع الأشجار القديمة للجلوس عليها.

صحت قائلا :"مرحى!".

قالت أمي :"فعلا؟".

قالت ليندا :"أنا أريد ان أوقد النار أيضا".

ابتسم هانز كأنما قد أصبح عضوا منتسبا للأسرة، أو كما لو أنه ظن أنه أمام ثلاثة أشخاص يسهل إبهارهم، ثلاثة مبتدئون يمكن بسهولة إبهارهم بفكرة الإقامة في الخيام.

قال لي :"ستجد أخشابا جافة في الغابة" وطلب مني أن آخذ الحقيبة المغطاة بالقنب وقادني نحو أقرب طريق إلى صنبور المياه، وأوضح لي كيفية تعليق الحقيبة على الشجرة. ثم قال شيئا آخر عن الطعام، حيث أشار إلى إن هناك متجرا واحدا هنا، وأن هذا المتجر يفتح لساعات قليلة في أيام معينة، لكنني لم أستوضح أي ساعات تلك، وأضاف هو أنه بناء على هذا فمن الحكمة أن نخزن الطعام بشرائه من قارب يأتي بين حين وآخر من دروباك، وفي أوقات غير منتظمة أيضا، أو أن نذهب ونتسوق بأنفسنا وهذه ربما تكون الطريقة الأسهل، نعم أعتقد أنها الأسهل.

إذا، فالخلاصة أن الناس لا ينبغي أن يأخذوا أي شيء كأمر مسلم به هنا، ولا ينبغي أن يشعروا بالراحة كثيرا حين يمكثون في هذا المكان.

قال هانز بابتسامة حبور :"نعم، هذة هو سمت المكان هنا".

بدأت أمي تتمشى في أرجاء المكان بدلا من فك أمتعتنا، وهو ما استنتجت أنه علامة على أننا لا ينبغي أن نطلب المزيد من هانز بدون أن نرد له نفس الدين الكبير الذي كنا ندين بمثله لكريستيان. شعر بهذا فقال:

Twitter: @ketab_n

- "حسنا أخبروني إن احتجتم أي شيء. سأكون عند المتجر".

شكرته أمي مرة أخرى، وصافحته، فغادر.

أصبحنا وحدنا في جنة لم نفعل أي شيء كي نستحق دخولها، لكن سأكون مخطئا لو قلت إننا لم نكن نقدر هذا. كنا كلنا في نشوة كالمعتاد وخاصة أنا. بدون شك هناك حمل كبير قد أزيل من عقل أمي في الساعة الأخيرة، خاصة بعد أن أنهينا رحلة السفر اللامتناهية بالأتوبيس والقارب. دخلت ليندا في ثلاثة أكياس مختلفة كي تنام واستيقظت قبل أن نوقد الموقد ونلقي باللحم والنقانق في المقلاة. غالبا ما نطلق على فصول الصيف اسما أو صفة مميزة كي نشير إليها ونحن نتحدث. في البداية أطلقنا على هذا الصيف اسم "الصيف الذي تعلمت فيه ليندا السباحة".

Twitter: @ketab_n

13

لم يكن تعليم ليندا السباحة بالأمر البسيط على الإطلاق. فبعدما تم إيقاف الدواء لم تصبح فقط تنام بمعدل أقل وتأكل طعاما أقل، وإنما بدأت لديها نزعة القيام بالأمور على طريقتها. ناقشتني أمي في هذا الموضوع أكثر من مرة.

- "ألا تعتقد أن ليندا أصبحت عنيدة بعض الشيء هذه الأيام؟".

منذ شهر مضى ثارت جلبة كبيرة واختلاف حول ممارسات جنية الأسنان، تلك الجنية التي تستبدل أسنان وضروس الأطفال التي انخلعت ووضعوها تحت وسائدهم، بنقود يفرحون بها. كان سبب الجلبة أن معدل دفع الجنية عن الضروس والأسنان الأمامية قد ارتفع كثيرا منذ ذلك الوقت الذي كانت أسناني تسقط فيه، وكلما علقت على هذا كانت أمي تسكتني بقسوة. لكن ليندا كانت تصر على أن تعطيني الكرونات التي تجدها تحت وسادتها مما أدى إلى انخفاض قيمة المال مع الوقت وهو ما رفضته ليندا بشدة، وهكذا كان هذا الموضوع هو شاغلنا الأوحد لأسابيع عديدة.

الآن أصبحت ليندا تحب الماء كثيرا فكانت ترتدي ملابس الاستحمام وتحكم حزام السباحة القديم الخاص بي حول وسطها قبل تناول الإفطار وتخرج طيلة النهار حتى نسحبها إلى الشاطئ بالقوة. لكنها لم تكن تفعل ما نخبرها به، فلم تلتزم بالمكوث في الجزء غير العميق من البحر، بل كانت تمضي بعيدا حتى تصبح قدماها بعيدتين عن القاع ويصعد جسدها ويهبط مع حركة الماء مثلما تفعل عوامة السنارة بينما تزم شفتيها وتضرب الماء بذراعها مما كان يحتم علينا أنا وأمي أن نبقى حولها مثل طوقي نجاة وأن نحركها في الاتجاه الصحيح، بعبارة أخرى نحو الشاطئ،

Twitter: @ketab_n

بينما نصيح دون فائدة بأن عليها أن تستمر في تحريك ذراعيها. حيث كانت تستخدم ذراعيها في التشبث بالحزام بدل أن تحركهما كما ينبغي. وولم يكن التشبث بحزام السباحة ضروريا، لأن أمي ربطته بإحكام حولها حتى أنه كان يترك على جسمها مربعات مثل مربعات لوحة الشطرنج.

وهذا الحزام قديم ومبطن بفراء الأيائل على ما أعتقد، مما يجعله يمتص الماء ويتحول تدريجيا من كونه وسيلة للطفو إلى وزن ثقيل، فكان علينا من وقت لآخر أن نضربه على صخرة أو درجة سلم حتى نخرج منه بعض المياه التي تشربها، وغالبا ما كنا نعلقه في الشمس أيضا. لكنه لم يجف أبدا بشكل كامل وإنما بقي طيلة الصيف مبتلا وباردا حتى أن جسد ليندا كان يرتعش حين ترتديه وبالتالي فقد كانت تفضل أن ترتديه على الدوام وهو ما لم تسمح به أمي.

- "ستمرضين".

بالإضافة إلى هذا فقد تركت الشمس أثرها على كتفي ليندا ووجهها وهي الأجزاء التي كانت دائما خارج الماء وبالتالي كان علينا أن نضع على جسدها الكريمات وأن نجبرها على ارتداء بلوزة بيضاء حتى أثناء السباحة. في هذه الأيام قالت أمي شيئا ندمت عليه فيما بعد، لكنها لم تستطع منع نفسها على أي حال. لقد سألت ليندا عما اعتادت على أن تفعله في فصول الصيف الماضية. مثل هذه الأسئلة كانت كافية لأن تجعلها تطرق وتمشي بعيدا، بغض النظر عما نفعله في هذا الحين،كما لو أن قوى عليا نادت عليها. وبالتالي كان علينا أنا أو أمي أو كلينا أن نجري خلفها ونمشي بجانبها ونقول أي شيء يخطر ببالنا، حتى تتوقف وتنظر إلينا بتعبير يقول إنها سمعت شيئا أعجبها، وإنها نسيت كل شيء ذكّرها به هذا السؤال الطائش.

كانت ليندا تحملق بطريقة تجعلنا ذاهلين نتساءل عما يدور بداخلها. بل إن النظر في عينيها يكاد يكون مثل النظر في ميكرسوكوب

Twitter: @ketab_n

كريستيان، إذ تجد نفسك مدفوعا إلى الاقتراب بعينيك منها أكثر وأكثر حتى تستطيع أن ترى شيئا مفهوما أو مميزا.

أطلقنا على هذا الصيف أيضا "صيف بوريس"، وهو ولد قابلته في اليوم الثاني لي على الشاطئ. كان بوريس في نفس سني وحجمي وكانت له خصلة معقوفة من الشعر مثلي. ينتمي إلى نفس طبقتنا الاجتماعية، وهو مهتم بالروايات الفكاهية المصورة والكتب بشكل عام والعملات والبلي الحديدي والكلمات والفضاء الخارجي، كما لم يكن له أب، لقد كنا متماثلين تقريبا.

لكن كان له عم بالإضافة إلى أمه وإخوة له أكبر منه و"أبناء عمومته" الكبار، وبالتالي فقد كان بوريس أصغر منهم كثيرا مما دفع عمه إلى تقديم كل منا للآخر.

"هل يمكنك أن تلعب معه هنا؟" سمعت سؤاله المباغت بينما كنت منكفأ على أطرافي الأربعة أحفر في الرمال. كان المتحدث إلي رجلا أصلع عريض البنية، ذا ملابس سوداء ضيقة للغاية وسروال للسباحة غير متسق مع أي شيء آخر يقبع تحت بطنه الضخم العاري بني اللون، و سيجارة متدلية من زاوية فمه. بجانبه وقف بوريس، ممشوق البنية وصغيرا وبني اللون أيضا، فبدا كما لو أنه قد عاش طيلة حياته هنا، وكان يرتدي سروال سباحة واسعا. حملق بوريس في الحفرة التي حفرتها والتي كانت تمتلئ تدريجيا بمياه سوداء. لا أعتقد أنني أعرته أي انتباه لذا فقد قال العم بعد أن لاحظ هذا:

- "هل تعرف كيف تصطاد كابور؟".

قلت "لا".

- "سيعلمك بوريس. أليس كذلك يا بوريس؟".

Twitter: @ketab_n

قال هذا وتهادى ماشيا بحذاء الشاطئ الذي كان يصطدم بمؤخرة قدمه محدثا قرقعة عالية حتى أن الحذاء بدا كما لو أنه ملتصق بمقدمة قدميه الضخمتين. نقر سيجارته ملقيا برمادها في الماء بينما عيناه مثبتتان على نقطة في مكان ما في السماء الصافية اللامتناهية.

لم يتحرك بوريس وإنما نظر حوله. فعلت أنا الشيء نفسه إلا أنه نظر إلي مباشرة وقال "هيا بنا" ومشى على الرمال صوب صخرة كبيرة في الماء.

مشيت خلفه في قلق تاركا مترين أو ثلاثة أمتار بيني وبينه. كنت أشعر أن عيني أمي مصوبتين إلى ظهري بينما أمشي وراءه إلى صخرة لم أذهب إليها من قبل، صخرة مغطاة بحيوانات هدبية قشرية أصبحت تحت قدمي الآن. انبهرت حين رأيت بوريس يخطو بسرعة خلال مجموعة كبيرة من الأعشاب البحرية بدون أن تعيقه أو تؤثر عليه. انحنى ناحية مياه البحر حتى غطت جذور شعره وأحضر مجموعة من بلح البحر وألقاها عند قدمي.

سألته وأنا أتظاهر بفهم كل ما حولي "كيف سنفتحها؟".

قال "سنكسرها بهذا".

كان لديه حجر مخصص لهذا الغرض وتحت الحجر رأيت خيط صيد وكيسا بلاستيكيا.

قال "يلتصق لحم بلح البحر بأحد الصدفتين. والكابوريا يحب هذا اللحم كثيرا".

بدأنا في اصطياد الكابوريا. حنينا ظهورنا التي لفحتها الشمس وفتحنا واحدة من بلح البحر وألقيناها وهي معلقة بخيط الصيد ثم شددناه وبه كابوريا خضراء محمرة وضعناها في الكيس البلاستيكي الذي ملأناه من ماء البحر. علمني بوريس كيف أصطاد الكابوريا وكيف أسحبه بدون بطء وبدون استعجال وأن أكون صبورا وربما أكثر شيء تعلمته منه هو أنه لا

Twitter: @ketab_n

يوجد ما يخيف، حتى الكابوريا لا يخيف إن كنت تعرف ما تفعله. كنت أنظر صوب أمي طيلة الوقت. كانت مستلقية على كرسي كريستيان على الشاطيء تتشاجر مع ليندا التي لا تخرج من الماء سوى لأقل من ربع ساعة ثم تعود بعدها إليه. لو أن ليندا نزلت إلى الماء قبل عشرين دقيقة لنعمت أسرتنا بالمزيد من السكينة على أي حال!

سأل بوريس "هل تستطيع أن تعوم؟".

قلت "نعم".

قال "هيا إذا" وتهادى مرة أخرى ثم قفز في الماء وتبعته أنا. عبر الخليج وصوب تجمع صخري على الجانب الآخر كان هناك امتداد مائي لم أكن لأجرؤ على الذهاب إليه بمفردي. ولم تكن أمي لتفعل هذا أيضا. وقَفَتْ بجانب الكرسي القابل للطوي وحمت عينيها بإحدى يديها من أشعة الشمس، بدت كتمثال لكل الأمهات اللاتي وقفن بنفس الطريقة على الشواطيء اللامتناهية على هذا الكوكب وفي فصول الصيف المتتابعة خلال التاريخ وهن يشاهدن أشخاصا يحبينهن يختفون في البعيد. سَبَحت وسبحت لمسافة لا يمكن قياسها لا بالأمتار ولا بمقاييس السعادة. عُمت بجانب بوريس، صديقي الجديد الذي أصبحت متأكدا أنه لا يستطيع العوم بشكل أفضل مني وهو ما أسعدني كثيرا. كنا متماثلين تقريبا ومتناغمين بجوار بعضنا البعض. أعتقد أننا بدونا رأسين متماثلين صغيرين يزداد تضاؤلهما، فيصبحا مثل حبتي بازلاء ثم رأسي دبوسين قبل أن يختفيا عن النظر في أفق الموت والخلود.

بعدما عبرنا الخليج، تسلقنا صخرة ملساء وجلسنا عليها. نظرنا خلفنا إلى تماثيل كل الأمهات المتناهية في الصغر واللاتي يرسلن إشارات تحذير وفزع وكل ما يمكن للأمهات أن يرسلن عبر المسافات الشاسعة. شعرت أن ابتسامتي تمتد عبر وجهي، وقفت ولوحت لأمي. قلت:

- "انظر".

Twitter: @ketab_n

سألني بوريس "إلى ماذا؟".

قلت "إنها لا تردعلى تلويحي".

قال بوريس "فعلا؟".

قلت وأنا أجلس "إنها غاضبة".

بدا بوريس متأملا وهو ينظر إلي بابتسامة جديدة فقد شعر بنفس الشعور الذي لدي، كنت أشعر كما لو أننا عبرنا خط الاستواء، بأن شيئا ما قد حدث هنا، لا أريد أن أبالغ لكن ما حدث سيستمر إلى ما بعد انتهاء حياتنا. كنا في مزاج يسمح لنا بالمبالغة في الأشياء في هذا اليوم وفي هذا الصيف وبشكل أكبر من أي وقت مضى. عندما قال بوريس "هيا بنا" للمرة الثالثة، لم يكن أمامي سوى أن أتبعه بعيدا عن أنظار الجميع، نحو الأشجار الخفيضة وخلال غابات الأشجار المتشابكة والكثيفة. إنه عالم بوريس المليء بالأودية وغناء الطيور الذي يتناهى لأذنيك، عالم الشمس والظل والحرارة والبرد الذي يمكن أن تدلف إليه عبر ممر كان يعرفه بوريس فقط ثم عرفته أنا أيضا. لقد كانت هذه في الحقيقة هي مملكة التنين والبوم، حيث يلتصق تراب أبيض دقيق كبودرة التنك في أقدامنا المبتلة ويجعلها تبدو كعظام. إنها بودرة لا توجد سوى في هذا الممر المؤدي إلى جبل تصبح فجأة فيه كل الأشياء أكثر إشراقا حيث يستلقي خليج آخر على بعد خمسين متر منا وتوجد على شاطئه خيمة برتقالية وحيدة.

قال بوريس إن علينا أن نستلقي، واتجه ناحية حافة الجرف على قمة الجبل. من فوق الجرف رأيت شخصا على مرتبة هوائية بجانب الخيمة، لقد كانت هذه سيدة مستلقية تستحم بأشعة الشمس وهي نصف عارية وكان نهداها الهائلان بنيين مائلين للون النحاس. إلا أنها لم تكن تلبس سروالا أيضا. أدركت هذا بعد قليل.

Twitter: @ketab_n

همس بوريس "إنها هنا كل يوم".

حملقت. لم يكن هناك أي شخص آخر على مد البصر. لم يكن هناك سوى هذه المخلوقة الهائلة المستلقية هناك كجثة أو كشخص مستغرق في النوم تبدو كشيء لم أره من قبل وتثير بداخلي الكثير من الأفكار التي لم أعرف بوجودها من قبل.

قال بوريس "يطلق عليها إخوتي اسم المرأة الممتلئة إلى حد الانفجار"

اندهشت "إنها كبيرة في العمر".

قال كما لو أنه يعرف "إنها في الخمسين على الأقل، نعم. لكن لن يمكنك أن تراها جيدا من هنا. هل نقترب أكثر؟"

- "لا....".

استلقينا على بطنينا ندرس تفاصيل تلك الممتلئة حد الانفجار. لم أستطع أن أبعد عيني عنها. لم يكن من المهم بالنسبة لنا أنها كانت كبيرة في العمر أو بعيدة عنا أو أنها بدت كحجر بلا حياة. كانت تكبر وتكبر كلما حملقنا فيها وتزداد جاذبية وسمرة، بدت كما لو أنها حُوت جانح تحت ضوء شمس كهربي.

همس بوريس: "يقول إخوتي إنها تعرف أننا نراقبها".

- "ماذا؟".

- "نعم وهي تحب هذا".

- "فعلا؟".

- "انتظر حتى تنزل إلى المياه وسترى".

Twitter: @ketab_n

استلقينا وانتظرناها حتى تشرع في السباحة. قضت وقتا قبل أن تفعل هذا لكنها في النهاية استيقظت وجذبت ساعتها من فوق المرتبة الهوائية ونظرت فيها. ثم نفضت بعض ذرات الغبار غير المرئية من فوق بطنها وجلست فبدت أكبر حجما. نظرت حولها وأزالت شيئا من فوق كتفيها وفخذيها، ربما كان حبوب لقاح أو حشرات ثم وقفت أخيرا على قدميها واضعة يديها على فخذيها وحملقت وهي تدور برأسها بشكل واهن صوب الطبيعة المكتسية بالصيف الساخن.

ثم خطت خطوتها الأولى نحو البحر وتهادت فوق القواقع والحيوانات الهدبية والقشرية والحجارة المدببة رافعة يديها على الجانبين كما لو كانت أجنحة تمنحها التوازن، أعطت ظهرها لنا وعلى الصخرة الأبعد توقفت مرة أخرى ونظرت حولها عبر البحر واليابسة والأشجار والجرف، نفضت كتفيها مرة أخرى ومالت كي تعرف حرارة الماء وأعطت لنا جانبها.

همس بوريس بصوت منخفض للغاية "إنها تنظر في كل الاتجاهات إلا هنا".

- "فعلا؟".

- "انظر إليها، إنها لا تنظر أبدا هنا!".

لم أفهم هذا، وبدأ بوريس يفقد صبره فقال إنها هنا كل صيف وإنه ليس الوحيد الذي يعرف هذا هو وإخوته.

- "انظر!".

درت بنظري ولاحظت أن المكان الذي استلقينا عليه مسطح كما لو أن خيمة كانت هنا.

قال بوريس "هناك كبار يأتون إلى هنا أيضا".

Twitter: @ketab_n

- "من؟".

- "حسنا... إنه القبطان".

- "هانز؟".

- "لكن لا أعتقد أن عمي يعرف هذا".

- "ولم لا؟".

- "لا أعرف...".

نمى لدي شعور أن بوريس ندم على ذكر عمه في هذه المسألة.

تركت الممتلئة حد الانفجار نفسها للمياه تبتلعها وكان هذا جاذبا لأعيننا. نظرنا كما لو كنا نراقب حوتا من فوق عش غراب ومن خلال نظارة تكبير خضراء كبيرة بدت لامعة وواضحة التفاصيل ورأيناها كطائر مجنح يضرب الهواء ببطء. ما أن استلقت بهدوء على ظهرها وثبتت نظرتها علينا أدهشني شعور داخلي بأنها عمياء أو أننا غير مرئيين. طفت تلك الكتدرائية المطاطية ذات القبتين أمامنا بنفس الحملقة المصوبة نحونا. هناك شيء يحدث حين يرمقك أحد بنظره، إنه يجعلك ترى نفسك من الخارج، تشعر بغرابتك وبذلك الشيء المُمَيِّز لك والساري بداخلك والذي لم تكن تعرفه. يكون الأمر كما لو أنك تكتشف شخصا آخر غيرك، صورة مقلدة منك، أو مجرما قبل أن يتحتم عليك أن تعترف أنك كنت تحمل هذه الصورة داخلك على الدوام وأنك لم تعرف بوجودها فحسب وها أنت تعرف هذا متأخرا جدا وتتحول إلى شخص آخر.

همس لي بوريس بصوت خفيض "علينا أن نعود وأن نخرج الكابوريا" ثم عاد للخلف في هدوء حيث مشى على المساحة المسطحة من الجرف "أنا دائما ما أطلق الكابوريا بعد اصطياده".

Twitter: @ketab_n

14

من الممكن أن نطلق على هذا الصيف أيضاً "صيف فريدي1" على الرغم من أن شيئا لم يسر طبقا للخطة التي وضعتها. فبعد أن أراني بوريس تلك السيدة الممتلئة إلى حد الانفجار بيومين، أتى إلى خيمتنا، ثم أدار نظره في المكان وأومأ ناحيتي ثم ذهب إلى أمي وقدم نفسه كما لو كان رجلا في الثامنة والعشرين.

قال وهو ينظر إلى عينيها مباشرة "أنا بوريس".

ابتسمت أمي ابتسامة مرتبكة وبدا عليها الاندهاش، وقررتُ أنا أن أفعل مثل بوريس فيما بعد كي أحرز نفس هذا التأثير على الآخرين.

قضت أمي اليومين الأخيرين وهي توبخني – على عبوري لخط الاستواء – وتهدئ ليندا التي اكتشفت فجأة أنها تعوم في مياه مالحة وأنها تريد العودة إلى المنزل. كما ضربتني على مفاصل أصابعي لأنني لم أفهم إشاراتها الجديدة. كان هانز يمر عليها وهي في الخيمة ويمر عليها في الشاطيء كي يبلغها بلائحة جديدة أو بنصيحة هامة وكان يأخذ وقته في شرح هذه الأمور واعتبرت أمي أن من واجبي أن أبقى بالقرب منها. لم تشعر بحاجة إلى تفسير السبب وراء هذا. فقد كان واجبي أن أفهم.

- "هل تفهم هذا؟".

- "امم... نعم".

- "لماذا تركتني إذا؟".

نظرت إلى بوريس كما لو أنه الابن الذي كانت تتمناه.

Twitter: @ketab_n

قال بوريس "أخبروني بأن أقول لكِ إن المتجر سيفتح خلال نصف ساعة وإن باستطاعتك أن تشتري النقانق المدخنة والخبز والإضافات التي تريدينها... كان لديهم نقانق الكبدة آخر مرة على ما أعتقد"

قالت أمي باندهاش "حقا؟ من الذي أخبرك؟".

- "لا أحد. أنا أخبرت نفسي".

وقفت محدقة فيه وبدا عليها الاندهاش ثم استدارت نحوي بتعبير مختلف.

"في هذه الحالة أعتقد أن عليك القيام بهذا يا فين" قالتها وهي تخرج حافظة النقود وتعطيني عشرة كرونات "انزل واشتر لنا شيئا. لكن لا تشتري آيس كريم".

- "إنهم لا يبيعون الآيس كريم".

- "هل هذا صحيح؟".

- "نعم ليس لديهم بضاعة كثيرة ولست متأكدا من أن الأطفال مسموح لهم بأن يتسوقوا هنا".

- "إذا فأنت تريد مني أن أذهب أنا؟".

- "ربما يكون هذا أفضل، نعم".

أخرجت أمي ليندا من الخيمة بعد أن حبست نفسها فيها منتظرة أن تمر الأجازةكي تبتعد عن المياه المالحة. مشينا في طابور في الطريق الضيق الملتف نحو موقع المعسكر وانتهزت أمي الفرصة لتسأل بوريس كيف عرف المكان الذي نمكث فيه. لم يرد لكنه تصرف بطريقة توضح أنه لا يوجد شيء على هذه الجزيرة لا يعرفه.

Twitter: @ketab_n

عندما وصلنا إلى رصيف الميناء جلسنا وأرخينا أقدامنا في الماء بينما دخلت أمي هذا المتجر الغامض والذي كان في واقع الأمر بيتا رماديا مبنيا على منحدر حيث يتقابل طريق غير ممهد مع الممر المؤدي لرصيف الميناء. رمينا بعض حصوات في الماء وبكت ليندا بسبب ملوحة الماء مرة أخرى.

قال بوريس برقة "الماء المالح شيء جيد".

أرسلت إليه نظرة متسائلة، قال "نعم، فالطفو أسهل في المياه المالحة" قالها وهو يتأمل ليندا.

بدا أن فمها يريد أن يقول "فعلا؟" فقال موضحا "لا يمكن أن تغرقي في المياه المالحة".

حولت ليندا عينيها من بوريس إلي، فأومأت لها. وجلس بوريس وهو يتأملها باهتمام كما لو أنه على وشك اكتشاف أمر ما، كانت التعبيرات التي على وجهه تشبه تعبيرات كثيرة رأيتها على أوجه عديدة في الأشهر الستة الماضية ولم أحبها على الإطلاق. شعرت بأن علينا أن نتخطى هذه نقطة.

سألها "ألا تستطيعين العوم؟".

أجابت "بالطبع أستطيع".

- "ما المشكلة إذا؟".

- "امم!",

- "حسنا، ليس عليك أن تشربي من المياه أليس كذلك؟".

نظرت ليندا إلي مرة أخرى وكان على وجهها ظل ابتسامة يرفرف بشكل ملحوظ.

قال بوريس كي يستوضح الأمور بشكل مؤكد "هل تستطيع السباحة أم لا؟"

Twitter: @ketab_n

أومأت وقلت:"امم".

قال بوريس بغير اكتراث "حسنا" وألقى ببعض الحصوات في الماء ثم حدق دون سبب واضح نحو البحر ثم صوب رصيف الميناء، وحك أنفه وجرح على ركبته التأم منذ زمن طويل. كنت متأكدا من أنه وصل إلى نقطة توقف مؤقت وأنه أيضا يتساءل عما يجب أن نفعله بعد هذا، كما أتساءل أنا عندما أصل إلى النقطة الفاصلة بين قضاء وقت ممتع وبداية الدخول في الملل.

عادت أمي وروحها ترتجف، أمكنني ملاحظة هذا من خلال مشيتها المتوترة، كانت تحمل حقيبة رمادية تحاول أن تخفيها دون جدوى تحت بلوزة اشتريناها من موقع المخيم الذي أطلقنا عليه اسم ديزي، وهو اسم بقرة في إحدى الحكايات، وكانت هذه فكرة ليندا.

قالت وهي تجلس "يا له من مكان!".

قال بوريس "نعم. ليس مسموحا لهم أن يبيعوا أي شيء هنا".

قالت أمي "ثم يفترض بنا أن نخفي الطعام! " قالتها وهي تفتح الحقيبة التي كان بها 2 كيلو من النقانق المدخنة وحزمة جزر ورغيفان ونصف كيلو من السمن النباتي الذي ساح بالفعل تحت حرارة الشمس. ولأنني وليندا كنا نحب اللحم المدخن، فقد تخلت أمي عن حذرها وأعطتنا قطعة نقانق لكل منا بعد أن أزالت القشرة الخارجية من إحداها بأظافرها الطويلة.

- "ماذا عنك يا بوريس؟ هل تناولت إفطارك؟".

قال بوريس "امم، لا. عمي لا يتناول الإفطار".

- "يا إلهي. هل تحب أن تأخذ واحدة؟".

أخذ بوريس واحدة أيضا وأكلها بقشرها مثلي. كان صوت القشرة المقرمشة بين أسناني الأمامية وامتلاء فمي بالمذاق البارد المدخن الذي

Twitter: @ketab_n

يجمع بين الصلابة والمرونة ويتفوق حتى على اللحم المشوي محببا لدي. تناولت أمي واحدة أيضا بعد تقشير القشرة الخارجية مثلما فعلت مع ليندا. عندما انتهينا من الأولى أخذ كل منا قطعة ثانية. ضحكنا كثيرا ونحن جالسين هكذا غير مكترثين بالبرلمان والحكومة والقوانين واللوائح ونتناول القدر الذي نريده من النقانق بشكل مخالف للقانون.

اتكأنا على أيدينا وأرخينا أرجلنا مرة أخرى في الماء، بينما داعبت أنوفنا رائحة الطحالب البحرية والغابة ورحيق الأزهار. وتناهى إلى مسامعنا طنين خفيض، لكننا لم نقل شيئا وكان هذا غير معتاد بالنسبة لنا، فنحن غالبا ما نثرثر بلا توقف. أدهشني هذا الصمت ثم تمتمتْ أمي وهي مغلقة عينيها وقالت إننا يمكننا أن نجلس هكذا إلى الأبد وابتسمت، ثم قالت إن القارب سيكون هنا خلال وقت قصير، سكتت ثم استطردت قائلة إن اليوم هو السبت.

قلت "السبت؟".

"نعم" قالتها بتنهيدة غريبة أعرف أنها بداية تغيير في إيقاع الحياة. سحبت إحدى ساقيها لتستقر تحت الساق الأخرى ومالت علينا لتقول سرا لنا ولبوريس أيضا بينما كانت تحدق في أظافرها وهي تقول "هناك شيء أريد أن أقوله لكم".

باختصار كانت تريد أن تقول إن مارلين وجان سيأتون على هذا القارب. سألتنا إن كنا نذكر جان الذي قابلناه في الثلاثاء الماضي؟

أومأنا.

ستركب أمي نفس القارب إلى المدينة وستبقى هناك لأيام قليلة كي تقوم بعمل بعض المهام، وكلمة المهام كلمة نطلقها على الأنشطة التي قد تكون مملة أو سرية أو محرجة أو ضرورية أو جميع ما سبق. لكن حين

Twitter: @ketab_n

بدا على ليندا الاندهاش أرجعت أمي فكها إلى مكانه وقالت "ستحبين المكوث مع مارلين أليس كذلك؟" كنت أعرف أن ما يحدث قد خطط له بعناية وأنه كان امتدادا لخطة بدأت في رصيف تاون هول أو ربما في المطعم أو ربما قبل هذا. لابد وأن أمي قد خططت لهذا مع الشخص الوحيد الذي يمكنها أن تتركنا معه، مارلين.

لولا بوريس والجزيرة وجميع الأشياء التي حدثت في حياتي مؤخرا والتي لم أفهم منها الكثير سوى أنها كانت تزداد أهمية داخلي يوما بعد يوم لربما وقعت في حزن شديد.

لم أسأل ما هي المهام التي عليها أن تقوم بها كما لم أعترض بأي شكل من الأشكال، تفحصت هي وجهي بفضول. لكنني حملقت فقط ناحية الشمال فوق مياه الخليج، حيث كان القارب يتهادى على مر البصر، كما لو كان قطعة من حلوى العرق سوس تطفو في مشهد بالأبيض والأسود وتظهر في الوقت المناسب، أو كما لو كان هذا فيلما تظهر فيه كل الأشياء في دورها وكل ما عليك أن تفتح فمك وتندهش. أصبح بإمكاننا الآن أن نسمع صوت المحرك والحديد والمكابس وصوت ضجة عالية وصدى صوت مكتوم آت من الجبال والغابة من خلفنا ويختلط بصوت البحر وطنين الحشرات والهدوء الذي سيطر على أسرتنا، أسرتنا التي لحسن الحظ زادت واحدا في هذه اللحظة، بوريس.

وقف على قدميه وجرى حافيا على رصيف الميناء وأمسك بمهارة بحبل القارب الذي ألقاه قائده. أومأ هانز الذي ظهر أيضا في هذه اللحظة نحو بوريس مستحسنا ما فعله دون أن يقول أي كلمة. ساعد بوريس- الذي كان يعرف الأشياء هنا كما يعرف راحة يده -هانز في إنزال سلم القارب المتزعزع ووقف منتبها كبواب مرشدا القادمين من الزوار الجدد والقدامى

Twitter: @ketab_n

إلى الطريق نحو الجنة. أصبح من الممكن لنا الآن أن نفرق بين الجدد والقدامى من تصرفاتهم، حيث يكون الجدد في حالة ارتباك مثلنا حين جئنا إلى هنا منذ أربعة أيام، أما من جاؤوا إلى هنا قبل هذا فهم يتسابقون للحصول على أماكن التخييم على الجزيرة بأسرع ما لديهم.

اتضح أن جان من الزوار القدامى. نزل إلى الشاطيء ومعه أمتعة أكبر من الأمتعة التي يمكن أن يفد بها مهاجر أمريكي. تبادل التحية مع هانز قبل أن يأتي إلينا مع مارلين التي كانت قد وضعت زينة أقل اليوم ورفعت ليندا إلى الأعلى وحضنتها ثم تذكرت وجودي بعدها، بينما كرر بوريس نفس ما فعله هذا الصباح قائلا "أنا بوريس"، لكن تكرار هذا لم يكن موفقا هذه المرة.

جلست إلى الخلف قليلا بينما ذهبت أمي إلى الخيمة كي تحضر حقيبتها. أعجبت بسلة الطعام الهائلة التي أحضرها جان وصندوق أبيض كبير مغطى بالبلاستيك لحفظ الطعام باردا، حيث كان به ثلج جاف أحضره جان من شركة آيس كريم. أرانا قطعة من الثلج يتصاعد منها دخان وقال إنها لن تذوب قبل عدة أيام طالما بقيت داخل الصندوق، وخلال هذه الأثناء سيكون قد تسلم صندوقا آخر من الثلج سيُرسل إليه على القارب لأن لديه معارف في شركة دبلوم أي.

"إن هذا صندوق ثلج أصلي" قالها بشيء من التملك واضعا يده الصغيرة المسمرة على الغطاء المتموج.

نعم وينبغي أن ينقل إلى الخيمة بواسطة عربة استعرناها من السيد هانز الذي بدأ يخاطب أمي بصيغة رسمية وقال وهو يمر إنه يأمل أن يرى السيدة ياكوبسن مرة أخرى. كانت أمي منشغلة أكثر بوداع ليندا بحضن طويل. وقفتُ وعاصفة تعتمل داخلي ولاحظت هي هذا علي.

Twitter: @ketab_n

قالت "أنت تعرف أنني أحبك يا فين سواء أعطيتني حضنا أم لا".

لا أعتقد أن هذه كانت جملة تلطيفية بالنسبة لشخص مثلي بدأ يفرق بين المناسب وغير المناسب، وإنما كان صوتها مرتفعا وحادا بشكل يبعث على الارتباك، ترددت عبارتها في أرجاء رصيف الميناء وبين السفن المزدحمة عنده، ووقفت أنا دون أن أحتضنها أو أرد. أخبرتني بمقدار حبها لي مرة أخرى تحسبا لأن يكون الولد الصغير الأصم لم يسمع في المرة الأولى ثم صعدت على سطح القارب ولوحت وهي واقفة عند مؤخرة السفينة مرتدية فستانها ذي الأزهار الذي جعلني أشعر أن هناك أمرا ما خطأ. فقد كانت تلبس على الجزيرة صديرية بيكيني ولباس سباحة، أما الفستان فكان رداء المدينة، زيا رسميا تلبسه في متجر الأحذية وفي الشوارع المرصوفة عندما لا أكون معها أنا وليندا، راقبتها والقارب يبتعد صوب الشمال.

أنا الآن من يقف ويراقب شخصا آخر يختفي في الأفق. كان من الممكن بالطبع أن أقفز وأعوم خلفها وكان من الممكن أن أتشبث بالقارب العفن أيضا. تخيلت هذا وفكرت في القيام به، لكنني نحيت الفكرة جانبا وتبعت الآخرين إلى ديزي، وما كادت عيناي تغرورقان بالدموع حتى شعرت بأنها لن تخرج منهما على الرغم من كل شيء، وإنما ستبقى بداخلي ولم يكن هذا سيئا جدا أو ربما كان سيئا فحسب. كان هذا كله جديدا بالنسبة لي، مع أنني مررت به بدرجة أو بأخرى في الأشهر الستة الأخيرة، حيث كان من العسير بالنسبة لي أن أفهم أو أدرك أن الهوة بيني وبين أمي تزداد وتزداد كما لو أن يدا غير مرئية تجذبها بقوة كي تودعني وداعا أخيرا.

ثم انحبست الدموع من عيني لكن لا فائدة من البكاء، أنا أكثر من يعرف هذا. سمعتني مارلين وأنا أبكي فتحولت ناحيتي وانحنت قائلة:

- "كل شيء سيكون على ما يرام".

Twitter: @ketab_n

هذا أسوأ شيء من الممكن أن تقوله، وقد نطقته بأسوأ نبرة ممكنة.

صرخت: "ما الذي سيكون على ما يرام؟ ما الذي سيكون على ما يرام؟".

بدوت كما لو أنني شخصية تمر بمحنة في مسلسل سيء، بينما أحدق في الوجه المتوهج لمارلين الهادئة الحكيمة. أعتقد أنني رأيت علامات كثيرة واضحة تدلل على أنها تتساءل إن كنت أعرف الكثير أم القليل، وهل سأستوعب أم لا ثم بدا أنها وصلت لقرار جيد على الرغم من أن الشكوك ما زالت تحيط بها. فردت جسدها للأعلى وقالت بخشونة:

- "استجمع نفسك الآن يا فين. تحتاج أمك إلى أيام قليلة وحدها. المسألة مسألة وقت فقط. هيا بنا".

خطت ثلاث خطوات على الممر بين شجيرات البندق، ثم دارت ومدت يدها وكررت بطريقة لا تحتمل أي ممانعة أو نقاش بأنني ينبغي أن أتقدم وأن أريها الطريق إلى موقع المعسكر، دون المزيد من الجلبة.

لو كان هناك من يمكنك الاعتماد عليه في هذا العالم فإن هذا الشخص هو مارلين. إنها صخرة كما كانت أمي تطلق عليها وليست يمامة هشة في عاصفة يمكن أن تغير وضعيتها في أي وقت، كانت مارلين صلبة كالأرض التي تمشي عليها وفي جميع الأوقات. إنها لا تخذل أحدا أبدا ومعتدلة المزاج على الدوام كما أنها لا تعرف معنى الخوف، إنها الأم التي كان ينبغي أن نحظى بها. تأمل كيف تعاملت مع بوريس على سبيل المثال. كان قد وصل بالفعل إلى موقع الخيمة الخاصة بنا وكان يخبر جان بصوت مرتفع عن الأشياء الكثيرة التي يعرفها هنا، لكن مارلين عرفت كيف تتعامل معه.

قالت بابتسامة واثقة "اذهب والعب مع شخص آخر الآن يا بوريس". ثم دارت ناحيتي وقالت "ينبغي علي أن أتحدث إلى فين قليلا. لدي خطاب له".

Twitter: @ketab_n

تراجع بوريس جانبا دون أي جلبة. أريتهما أنا كيف يعمل الموقد الذي كان خالي أوسكار قد أعطاه لنا في عيد الميلاد، اضغطي على هذه المضخة هكذا وافتحي الصمام كي يخرج الغاز، أشعليه، قلت إنك تحملين خطابا لي؟

كنت قد نسيت خطتي. كان الخطاب من فريدي1 وهو الخطاب الأول الذي أتسلمه في حياتي إذا ما استثنينا الخطاب الذي جاء مع ليندا، لكنني أعتقد أن خطاب ليندا كان مرسلا لأمي في الأساس على أي حال. لا يمكن أن يصنف خطاب فريدي1 على أنه خطاب عادي بظرف وطابع بريد وعنوان مكتوب عليه إلى غير هذا، فقد كان عبارة عن ورقة مطوية لها هامش مشرشب من ناحية تثبيتها بالسلك الحلزوني للكراسة التي أخذت منها، ومكتوب بها سطران بأحرف كبيرة كحلية جميلة:

- "لن أستطيع المجيء. سأعتني بالبلي الحديدي".

لقد عرفت مارلين بخطتي إذا. كانت الخطة أن أطلب من كريستيان أن يتصل بفريدي1 ويعطيه الكيس الجلدي الذي به البلي الحديدي مقابل أن يوافق على ركوب القارب وأن يأتي وينام معي تحت المظلة حيث كنت أمكث وحيدا بينما تحتل أمي وليندا الجزء الأساسي من الخيمة.

لو أن مارلين تخيلت أن إخباري برفض فريدي1 المجيء إلى هنا سيجعل عقلي يتوقف عن التفكير في ابتعاد أمي عنا، فقد كانت محقة. إلا أنني أدركت شيئا آخر أيضاً، أدركت أن كريستيان ومارلين لم يبذلا الكثير من المجهود في إقناع فريدي1، بل قبلوا رفضه كنهاية معقولة للأمر ربما بعدما استشارا أمي، مما يعني أن كريستيان ربما قد أفشى السر. كانت هذه شخصية فريدي1 أيضا، فقد اعتاد على أن يحث الآخرين على استثنائه وكان هذا يجعلني أغضب منه بشدة. في الوقت ذاته أنا أعرف أنني لم أكن لأدرك ما حدث لو أنني تلقيت خطاب فريدي1 بالأمس عندما

Twitter: @ketab_n

كان كل شيء على ما يرام. قالت أمي قبل هذا عن كريستيان إن هناك شيئا ما غريبا في عينيه، قالتها وأجفلت.

أكره ما حدث من كريستيان ومارلين.

لذا أبقيت مسافة فاصلة بيني وبين مارلين وجان. لكن جان أتى نحوي مرتديا سترة قصيرة الأكمام ومخططة بالأبيض والأزرق كي يريني مدى برودة الثلج الجاف وكيف يمكنه أن يحرق. انظر إلى هذا! وضع قطعة في دلو به ماء. لم تذب، بل إنها جعلت الماء يغلي لأنها كانت باردة إلى حد بعيد يصل بها إلى الضد، كان هذا لغزا يستحيل ألا تندهش له. جربت مناديا على بوريس الذي لم يكن يعرف شيئا عن الثلج الجاف أيضا. وبدأنا نجري التجارب عليه حتى أن مارلين قالت إننا إن لم نتوقف فسوف نضطر إلى شرب اللبن دافئا بقية الأسبوع.

عندما غادرنا ديزي، أخبرت بوريس عن فريدي1 لأنني لم أستطع أن أنساه بالطريقة التي نسيتني بها أمي. تحدثت عما يحبه وما لا يحبه وعما يستطيع فعله وما لا يستطيع. تركت الكلمات تهرول خارجة من فمي واسترسلت في الثرثرة حتى وصلنا إلى الشاطئ كي نعوم ونصطاد الكابوريا. استلقينا على سطح صخرة ملساء حدقت في السماء وتحدثت أيضا عن فريدي1 حيث لا يوجد على هذه الأرض سوى أشخاص قليلين يمكنهم أن يضاهوه.

كان لبوريس صديق مثل فريدي1 أيضا، حكى لي عنه ونحن نلعب الكرة ونشاهد الممتلئة إلى حد الانفجار وكذلك عندما قمنا ببعض الأشياء الخطيرة. ففي أحد المرات كنا في طريقنا نازلين من الجرف شديد الانحدار بعد أن تفرجنا على المملتئة حد الانفجار واصطدمنا بهانز القبطان الذي سد طريقنا ونظر إلينا شزرا. لاحظت أن بوريس لم يبد

Twitter: @ketab_n

عليه أي ملمح خوف على الإطلاق وإنما رد على نظرة هانز بنظرة أخرى باردة، حتى أدركت أننا لسنا من ضُبط متلبسا، وإنما هو هانز الرجل الناضج الذي يستحق لوم الآخرين مقارنة بطفلين صغيرين.

كنا نعوم عبر الخليج للجلوس على صخرة كبيرة حتى نتجنب المكوث مع ليندا ومارلين اللتين كانتا تجلسان في نفس مكان أمي. أصبح بمقدور ليندا أن تعوم مثل غواصة هذه الأيام بدون أن تستخدم حزام السباحة، كانت تعوم في مياه ليست عميقة وتخرج إلى السطح كي تتنفس فقط ولم تكن تفعل هذا كثيرا. كانت تقف ضاحكة وهي مغمضة العينين بينما تلعق بلسانها جانب فمها كي تتذوق المذاق الفظيع للماء المالح. ومع مرور الأيام ازدادت سمرة حتى فاقت سمرتي في الأماكن التي لم تغطيها ملابس البحر من جسدها. كما أصبحت أكثر رشاقة وقدرة على تسلق الأماكن المرتفعة خلفنا، في حين كنت من أسبوع واحد فقط ألجأ إلى هذه الأماكن من أجل قليل من السكينة. كما صارت قادرة على الجري على الشواطئ وفي الحقول دون أن تظهر كخرقاء، وأصبح بمقدورها المشي في مسارات الغابة وفوق الطحالب حافية بدون أن تمشي تلك المشية الغبية التي كثيرا ما أراها على الشواطئ النرويجية. إن للأطفال الرحالين كعوبا مثل الخشب وهم لا يترددون في مشيتهم. الرحالة مثلهم في هذا مثل الغجر والهنود بوجوههم غير النظيفة وشعرهم الخشن المبيض من ملوحة البحر وحيث تجد دائما جروحا على كعوبهم وركبهم ولدغات حشرات. ازدادت عيوننا زرقة مع مرور الصيف، ذلك الصيف الأبقى أثرا بين كل فصول الصيف.

Twitter: @ketab_n

15

وصلنا المزيد من الثلج المجفف، كما وصلنا الطعام بكميات مختلفة وفي أوقات مدهشة. ففي الليل وصل قارب سرا وعليه خمور، كان هانز يعرف بهذا لكنه لم يفعل شيئا ليمنعه. ثم فجأة أصبح الماكريل يباع على مركب صيد في رصيف الميناء. واحتفل الشباب بإشعال النيران وإقامة السباقات والغناء، كما تم افتتاح كشك لبيع مشروب سولو والنقانق والمصاصات. وكان هناك من يلعبون الكرة ويتسلقون الأسطح المنحدرة للصخور. كما كان يوجد على الجزيرة مكانا للرقص للراشدين وكان بعض رواده يغنون والبعض الآخر يتشاجرون. قضى جان ومارلين لحظات حب رومانسية بتبادل قبلات فرنسية عميقة ومقززة. في هذه الأثناء جلسنا نحن في الظلام نشاهد ما يحدث حولنا. أصبحت هذه جزيرتنا أنا وليندا وبوريس نعلم فيها كل شيء، حتى أننا حين حدقنا في كابينة الذعر هذه التي كان بها مكان الرقص، لاحظنا أن ستة على الأقل من الرجال قد علقت بأرجلهم أتربة بيضاء مثل بودرة التلك.

ظهرت الممتلئة إلى حد الانفجار في المشهد بكل تأكيد، ومر وقت قبل أن نتعرف عليها حيث لم يكن شكلها مألوفا بالنسبة لنا وهي غير عارية، كما أننا اليوم نراها في سياق مختلف تماما عن ذلك التي نراها فيه. كانت قد ارتدت فستانا قطنيا أبيض وبدا ذراعاها وساقاها داكنين للغاية حتى أنها اندمجت مع ظلمة الصيف، وتحول قوامها إلى لؤلؤة كبيرة تتنقل من ذراع رجل لذراع آخر ولم يكن هذا باعثا على الاشمئزاز بالنسبة لنا بل كان عاديا للغاية. أصبحنا في هذا الصيف منسجمين لدرجة أن الفوارق

Twitter: @ketab_n

العمرية بيننا تلاشت، وأصبحنا رئات وأجساد تضخ الدماء التي تفور حماسة لكل أركان الوجود وأنحائه.

أصبحنا نعيش على جزيرتنا الهادئة. وبدا باقي الجزيرة بالخيام التي عليه كمساحة يسيطر عليها الرحيل المستمر حيث يتنقل المستأجرون كل ثلاثة أيام إلى مكان كانوا ينظرون إلى شاغله بعين حاقدة، متمنين أن تُقتلع خيمته من هذا المكان، أو على الأقل ألا تصطف خيام أخرى أمام هذه الخيمة حتى يمكنهم خلال يوم أو يومين أن يفوزوا بهذا الموقع الرائع، قبل أن يحقدوا على شاغل موقع آخر في اليوم الذي يليه. كان من الواضح أنك إن نصبت خيمتك في مكان يتوق إليه الجميع لمدة يومين فسوف تقضي اليومين التاليين في البحث عن مكان آخر كي يستمر استمتاعك بضوء الشمس. كانت هذه عوامل جذب وشد قوية تابعتها باهتمام وبتعاطف من خلال عائلة بوريس، عمه الدخيل على الأسرة وأمه اللطيفة كثيرة الكلام، والتي كان العم يدلكها بكريم مضاد لأشعة الشمس لأن جسدها كان ورديا بشكل غريب ورقيقا وحساسا، هذا بالإضافة إلى أبنائها الثلاثة وثلاثة أبناء عمومة كانوا يجوبون دون راحة أو كلل أنحاء الجزيرة بحثا عن مكان جيد، مما يعني أن يوما واحدا في كل ثلاثة أيام كان يتسم بالهدوء بالنسبة لهم.

"لكن على الأقل لدينا هذا اليوم لنستمتع به" قالها العم بطريقة فلسفية من أجل تهدئة الستة الصغار الذين كانت مهمتهم فك وإقامة الخيمة تحت توجيهاته المستبدة. اعتاد العم أن يعطي توجيهاته وسيجارته تتدلى من شفته السفلى بينما يتدحرج رماد السيجارة على بطنه الداكن اللون والمغطى بالعرق وسرواله القصير الذي لا يغطي أي شيء على الإطلاق.

- "نعم يوم واحد في كل ثلاثة أيام أي أسبوع كامل في الأسابيع الثلاثة التي سنقضيها هنا".

Twitter: @ketab_n

لكن الجميع يعرفون أن هذا لم يكن هو الحال. فبعض الناس أقل ضميرا من الآخرين حتى أن هذا الأسبوع غالبا ما كان يضيع من بين أيدي الأفراد الأيقظ ضميرا، فالحال هنا أشبه بسباق الخيول في ستاد تروتنج حيث الأشخاص الأقل حاجة للمال هم من يفوزون، وبالمثل فإن الأشخاص الأقل التزاما على هذه الجزيرة هم من يتمتعون وكما يقول فريدي1 "الجريمة تفيد".

لكن أسرتي لم تضطر إلى أي من هذا.

جلسنا ذات مرة في الخارج ننظر إلى كل شيء من أعلى وحركنا الخيمة ذات مرة لنصف متر تقريبا بينما بقي دلو الماء مدلى من نفس الشجرة خلال الصيف كله وأشعلنا النار في نفس دائرة الحجارة... بالمناسبة لم يكن هذا قانونيا!

لم يعطنا هذا أي شعور بالأفضلية على الآخرين، وإنما شعورا بالخزي. إلا أن هذا الشعور بالخزي لم يكن كافيا لأن يجعلنا نفك خيمتنا ونتجول بالأسفل وننخرط في هذا النظام النازي للحصول على مكان شاغر. كان شعورا في حدود المعقول وكان للاستخدام الداخلي فقط ولا يحركنا للقيام بشيء في الواقع. فقد أطعنا نصيحة هانز ولم نبين المكان الذي نعيش فيه حتى إن سئلنا.

كنا نقول "هناك" أو ببساطة "لا أعرف".

أما أمي فكان لها طريقتها الخاصة في الرد على هذا السؤال حيث كانت تقول إنها أتت للجزيرة للتو وليس لديها خيمة...

لكنها الآن ليست هنا، حيث لم تعد بعد.

مهام قليلة؟ أيام قليلة؟!

Twitter: @ketab_n

لقد ذكرتها ليندا ثلاث مرات. لم تكن أمي موجودة حين استطاعت ليندا أن تسبح ورأسها أعلى الماء للمرة الأولى وهو مشهد يمكن أن يجعل جميع الأعين تدمع من الفرحة. وفي مرة أخرى بدت ليندا سعيدة للغاية حين ألبستها مارلين عباءة صيفية ثم خلعتها لتلبسها عباءة أخرى، كانت هذه العباءات هدية تفتح وتلف وتعطى وترد مرة بعد أخرى لكنها أسعدت ليندا كثيرا. بعد فترة صادقت ليندا فتاتين لهما نفس غلظة آن بيريت التي تعيش في الناحية الأخرى من الرواق الذي أمام منزلنا. كانتا فتاتين مزعجتين وأكبر منها سنا، ينظران إليها على أنها حيوان منزلي مثير للاهتمام، وهو ما نفرت منه ليندا حيث بدأ شيء يعتمل داخلها أو اعتمل بالفعل. بدا هذا النفور عملية تدريجية يستحيل إدراكها في البداية لكن لم يكن من الممكن إبطالها فيما بعد. غادر بوريس أيضا في أحد الأيام بدون أي سابق إشعار.

استيقظتُ مبكرا كالعادة واغتسلت ونظفت أسناني ولم أتناول الإفطار. في الحقيقة، لم يكن هناك أي إفطار معد من الأساس، فلم يكن يعد إلا بعد أن يستيقظ جان. وكان جان يحب النوم لفترة أطول في الصباح خاصة بعد تلك الزيارات المسائية التي كان يقوم بها لخيم أخرى يشغلها أشخاص مريبون كانت مارلين تكتفي بتحيتهم بحرص شديد فحسب إذا ما تحدثوا إليها على الشاطئ حتى إن كان هذا في وضح النهار.

نزلتُ إلى موقع الخيام بالأسفل وإلى شاطيء الخليج حيث عرفت أن العم قد انتقل إلى هذا الموقع مؤخرا.

لكنني لم أجد سوى طبقة خفيفة مسطحة من الأعشاب الخضراء. واصلت المشي حتى وصلت إلى موقع الخيام في دراجفيكا لكنني لم أجد بوريس أيضا،ثم مشيت حول الجزيرة بأكملها خلال الساعة التالية دون أن

Twitter: @ketab_n

أحرز أي نجاح، وقبل العودة إلى ديزي حيث استيقظت مارلين لتوها هي وليندا وجلستا على بطانية يتناولان الإفطار.

سألتُها "أين أمي؟".

قالت مارلين وهي تتحاشى النظر إلي "في المنزل...".

استطردت قائلا "لقد تركتنا منذ ثلاثة أسابيع"، قلتها وأنا واثق تماما كما لو أنني قد اطلعت على تقويم أثناء وجودي على رصيف الميناء وأنا أحاول أن أخمن المركب الذي غادر بوريس عليه.

- "ربما يتطلب الأمر منها المزيد من الوقت حيث...".

- "ما الذي سيتطلب وقتا أطول؟".

أرسلت مارلين لي نظرة جادة بينما وقفتُ في مكاني أفكر في أن من حقي الحصول على إجابة، خاصة وأنا لم أذكر أمي ولو مرة واحدة منذ غادرتنا. كان عدم ذكر أي شيء عنها هو طريقتي في التشبث بثقتي فيها. أدركت هذا الآن لأنني لم أتلق إجابة، بينما شعرت في الوقت ذاته أن مغادرتها لن تكن من أجل شيء سيء.

في هذا اليوم أمطرت السماء ولم يكن هذا يحدث للمرة الأولى فهي تمطر هنا كثيرا على أي حال. لكن السماء الآن انهمرت. جلسنا داخل الخيمة نستمع إلى انهمار الماء على الخيش ونلعب بالبطاقات. بدا لون بشرتنا داكنا أكثر من أي وقت مضى، قبل أن يحل الظلام الذي فاحت رائحته بعادم الموقد. لعبنا بالبطاقات تلك اللعب التي تعرفها ليندا وتركناها تفوز حتى أصابني الغثيان من الأمر حيث لم يعد هذا ضروريا، كما أنها بدأت تنظر إلى فوزها على أنه أمر مسلم به، لذا فقد نهضتُ ومشيت نحو المظلة فارتديت سروالي ومشيت تحت المطر وشعرت

Twitter: @ketab_n

بالوحل وهو يلتصق بقدمي، مشيت مسرعا وبخطوات ثابتة في برك الوحل عابرا موقع التخييم حيث لم يكن هناك أي شخص على الشاطئ أو أي كائن حي... لم يكن هناك سوى المطر.

خضت في المياه التي لدهشتي كانت دافئة وبدأتُ العوم، سبحت وسبحت ولم أنظر هذه المرة نحو اللسان الذي تسلقتُه سابقا مع بوريس لاختلاس النظر إلى الممتلئة حد الانفجار وإنما مضيت في مساري للأمام كنت أرحل بطريقتي عن الجزيرة وعن كل شئ.

لكنني لم أكن بمفردي.

وإنما كانت مارلين تعوم بجانبي بدون أن تحدث أي صوت. كانت مارلين قد تركت سريرها وجاءت خلفي ولحقتني بضرباتها الأكثر قوة في المياه. ثم غيرت طريقة عومها فأصبحت تعوم بتحريك صدرها وجزعها فقط كما فعلتُ أنا وبوريس حين عمنا بجانب بعضنا البعض. قالت دون أن تنظر إلي:

- "هذا رائع، أليس كذلك؟".

لم يكن هناك سبب يجعلني أنظر إليها، عمت فقط. قالت "أنت فتى ذكي. كنت تعلم كل شيء طيلة الفترة الماضية، أليس كذلك؟".

لم أكن أعرف أي شيء لكن هذا الهراء جعلني أقرر أن ما علي فعله هو مواصلة ما أفعله الآن، السباحة.

تحولت مارلين للعوم على ظهرها دون أن يقلل هذا من سرعتها. كان المطر لا يزال يضرب بقطراته علينا حتى أن سطح الماء بدا كما لو أنه قنفذ رمادي، وعلى جانبي الغابة سمعنا صوت انهمار الماء على بلايين الأوراق. بدا هذا كما لو أن كتلة من الرمال والحصى والأحجار هطلت من السماء على الغابة والبحر. قالت مارلين:

Twitter: @ketab_n

- "أمك في المستشفى تتلقى العلاج. ليس الأمر خطيرا، لكنها لم تشأ أن تقلقكما فحسب...".

لم أكسر صمتي. انقلبت على ظهري أنا أيضا وفتحت فمي لقطرات المطر وبدأت أشعر ببرودة أكبر بينما الماء من حولي يزداد دفئا. استطردت مارلين "ربما لم يكن ما فعلته صحيحا؟" ثم بدا كل شيء أكثر هدوءا. هنا يمكن للمرء أن يبكي دون أن يلاحظه أحد على أي حال. غيرت مارلين من نبرتها وقالت:

- "أعرف انه كان ينبغي علي أن أخبرك من قبل".

ضربتان في الماء، ثلاث ضربات.

- "تخبريني بماذا؟".

قالت "بشأن أمك".

"آه فعلا! " قلتها وأنا أشعر بقسوة غير مألوفة بدأت تتكون لدي. كانت لدي النية بعدم السماح لهذا أن يتكرر. هذا بالإضافة إلى شعور بالكراهية والمرارة لأنني لم أستطيع أن أحدد ما إذا كان علي أن أطعن مارلين بسكين أم أبدأ في النحيب والبكاء فتواسيني كما تفعل مع ليندا. أنا لم أعد طفلا على أي حال. كما أنني لا أرغب أن أكون طفلا أو غير طفل، وإنما أريد أن أصبح شخصا آخر فحسب.

Twitter: @ketab_n

16

شخص آخر...

هذا ما تشعر به حين تكون في إجازة. فهي تشعرك بأنه لربما كان لك أن تصبح شخصا آخر إن عشت في مكان آخر وعاش حولك أشخاص آخرون، وأحاطتك منازل مختلفة عن تلك المنازل التي تقف في شارع ترافر مثل سلسلتي جبال شاهقة تضمان بداخلهما الأمهات والأبناء والخداع والصداقة. هذه نظرة ثورية وعميقة، لكنها إن واتتك فعليك أن تدرك أنها إشارة تحذير، فهي بداية الانهيار وبداية بداية جديدة.

استيقظنا على ضوء الشمس التي عادة ما تشرق بعد هطول المطر، واكتشفنا أننا وللمرة الأولى نستطيع أن نرى البر الآخر خلال الهواء النقي. تخيلت أن فريدي1 معي، اصطحبته في نزهة أريته فيها مملكة البوم، ذلك الطائر الذي يستطيع أن يرى المستقبل، وبالتالي لا يجد سببا للاستمرار في الحياة لكنه يستمر فيها على أي حال. كما أريته التنين والممتلئة إلى حد الانفجار وملعب كرة القدم، وعلمته ركل الكرة نحو الهدف حيث كنا دائما ما نلعب في نفس الفريق، فريق عصابة إف سي. أصبح لي صديق غير مرئي أخبره بكل شيء بينما لا أفعل هذا مع أختي الصغيرة الغبية التي لم تعد تطلب أن ترى أمي. كانت ليندا غير قادرة على الشعور بالفقد والغضب الذين أشعر بهما. أما أنا فقد كان بداخلي سر يكبر ويتضخم وينقبض. لكن ربما علي أن أعترف أن هذه كانت أياما رائعة على الرغم من كل شيء. فقد أصبحنا ماهرين في الإمساك بحبال إرساء السفن وإنزال سلالمها وكثيرا ما ضحكنا على الزوار الجدد البائسين. غير أنني بدأت أدرك في هذه الأيام أن المرء إن شك في أنه

Twitter: @ketab_n

طيب، فعليه أن يسأل نفسه إن كان يستطيع كتمان سر يتفجر بداخله كل يوم، سر يتعلق بشخص آخر.

انتهى الصيف.

وغادر مركبنا. لقد رأينا القوارب وهي تغادر الجزيرة مئات المرات وجعلنا هذا نفكر في أن العودة للمنزل من جزيرة مثل هذه يشبه حمل بيانو كبير من منزل تمت مصادرته... الماضي لا يعود والطفولة قد انتهت والأمل ضاع، لقد جئت إلى هنا منذ شهر مضى كطفل بريء وسعيد وساذج وكانت لي أم. وها أنا أعود للمنزل كيتيم مرتاب من كل شيء حتى قضبان درابزين القارب، محدقا في الزبد الذي يخلفه محرك القارب الكبير المزدحم بالمصطافين الجهلاء ممن اكتفوا من الجلوس تحت الشمس على طول شواطئ شبه جزيرة نيسودن.

سحبنا حقيبة الأدوات وحقيبة الظهر وصندوق الثلج عبر وسط المدينة وداخل السخونة الاستوائية للأتوبيس، ونزلنا عند "رفستاد" بنفس الحقيبتين والصندوق الذي لم يعد فيه ثلج أو نقانق مدخنة، ثم توقفنا لثانية أو ثانيتين وشممنا الهواء المحمل برائحة الديزل، وحدقنا في شارع تروندهايمز، وفي المباني السكنية في شارع ترافر، وتعرفنا على أنفسنا مرة أخرى.

إننا لم نتعرف على أنفسنا فحسب وإنما أومأنا برؤوسنا، ونحن ندرك أن المباني مازالت واقفة في مكانها وصامتة بشكل غريب. ليس سوى الصمت يستطيع أن يلقي ضوءا مختلفا على العالم، مثل صمت الثلج في الشتاء، وصمت العطلة في المدينة الصناعية. وها نحن الآن نرى صمتا لا يخصنا، فنحن لم ندخل إليه بعد أو نصير جزءا منه بحقيبتينا وأذرعنا وأرجلنا وظهورنا التي تظهر عليها سمرة الصيف. خطونا في المدينة التي تعيش بداخلنا كأننا لم نكن فيها. ابتسمنا وبدا علينا القليل من التوتر والخجل، ولم

Twitter: @ketab_n

نعد نستطيع الانتظار فجرينا وصحنا، وترددت أصداء أصواتنا بين العمارات وفي مدخل العمارة. كنا نريد أن نسمع أصداء الصوت، صوت الناس الآتي من هذه العمارات الواقفة كالجبال.

ألا يوجد أحد هنا ليرحب بنا؟

لا، لا يوجد. فالذين قضوا الصيف في بيوتهم لا يقفون في البلكونات ومداخل العمارات لاستقبال من قضوا الصيف على الشواطئ. إنهم يعرفون أكثر على الرغم من أنهم لم يذهبوا إلى تلك الجنة التي كنا بها، فالجنة هنا وهذا ما يهم. الجنة في هذه العمارات التي تتلاشى فيها قيمة تلك الذكريات المجردة المرتبطة بالغياب.

لم يكن هناك من يرحب بنا لكن كان هناك خطاب على طاولة المطبخ. وكان كل شيء يحيط بهذا الخطاب كئيبا وميتا، حتى أن جان هرع لفتح باب الفارندة ونافذة المطبخ حتى ينساب نسيم أواخر الصيف فيخفف من الجو الخانق بالداخل، بنفس الطريقة التي كنا نهوي بها الخيمة في الشهر الماضي. لكن هذا لم يضف أي حياة على المكان حيث أن الشخص الذي كان من الواجب تواجده هنا غير موجود، كما أن الساكن غير موجود أيضا. ولم يكن هنا سوى هذا الخطاب المريب الذي بيد مارلين، تفتحه بتوجس وبطء وبحركة قلقة تحاول إخفاءها كالمعتاد لكنها لا تستطيع أن تخفيها عني فأنا أعلم الكثير الآن. فردت الورقة وقرأت قبل أن تلقي بتعليق عرضي لنا وتقول:

- "حسنا ستكون هنا خلال يومين"..

إذا سوف أفعل ما علمه الصيف لي. التغيب والاستمتاع بالحياة هنا. قلت:

- "أرينيه".

Twitter: @ketab_n

- "ماذا تريد أن ترى؟".

قلت بجفاء "الخطاب" وكأنني أبحث عن دليل مادي على أنها لا تكذب. لم تستطع مارلين أن تعطيه لي.

قالت وهي تتحاشاني :"إنه مرسل لي أنا".

كررت "أرينيه".

قالت "إنه خاص بي".

قلت "حسنا" وذهبت إلى غرفتي كي لا أرى ليندا مرة أخرى وهي تطلب أن تسمع نفس الأخبار مرة أخرى. كانت ليندا تتطلع إلى لقاء أمي منذ أن تطرقت مارلين لهذا الموضوع حين كنا نحزم حقائبنا في التاسعة صباح اليوم. لم ترغب بداية في الذهاب إلى المنزل ومغادرة المياه المالحة والخيمة والجزيرة الرائعة، لكن ما أقنعها بالرحيل هو أن "صيفا آخر سيأتي في العام المقبل"، وأن أفضل شيء في الرحيل من الجزيرة "أننا الآن ذاهبون لرؤية ماما في المنزل" وهو ما تحدثت عنه بلا توقف أثناء رحلتنا الطويلة على ظهر القارب وفي الأتوبيس وعبر الطريق وبين البنايات وعلى السلم، لتأتي هنا ولا تجد سوى هذا الخطاب الكئيب ! ذلك الخطاب الذي قرأته مارلين ببلاهة واضحة. لم أستطع أن أشاهد هذا أو أسمعه، فذهبتُ إلى غرفتي ولم أكترث بتفريغ الحقائب. رميت حقيبتي المدرسية على السرير وفتحت النافذة وجلست على عتبتها وعقدت ذراعي حول ركبتي ومسحت أقرب قمة عمارة بعيني منتظرا أن يظهر فريدي1 في نافذته وأن يتعرف علي. لكنه لم يظهر. هذا هو المتوقع من فريدي1 على أي حال. "هذا هو المتوقع منه" كما كان عم بوريس يقول.

Twitter: @ketab_n

17

لدينا في هذه البنايات جميع أنواع البشر. ففيها يعيش ملاكم أعمى وسائق تاكسي نظره ضعيف إلى حد بعيد. وفيها أختان كبيرتان في السن لهما كلب ألزاسي رمادي الفراء ينبح كلما سمع كلمة جريدة. وفيها أناس يقطفون 123 كيلو من التوت كل خريف ومع هذا يستطيعون أكلها جميعا. وبها فريق من الأوغاد الصغار الذين يتسلقون مواسير الصرف والأشجار ويبنون أكواخا ويهشمون النوافذ. وبها أناس يجمعون سدادات الزجاجات وعلب الكبريت والمناديل التي توضع تحت زجاجات البيرة، لكنهم لا يلمسون لعبة البطاقات لأن هذا حرام. وفيها أشخاص يتلعثمون أثناء الكلام وأشخاص لا يسمعون طبقات صوتية معينة وعادة ما أسمعهم يصفرون في آبار السلالم. وفيها سيدة تعاني من وجود شق في سقف فمها ورجل يشتري سيارة موسكفيتش كل ربيع اعتزازا بالستينات، وأشخاص يطلقون صواريخ العام الجديد داخل شققهم ويصدمون رؤوسهم بالحوائط أحيانا، كما أن لدينا من يصوتون لليمين. إننا عالم كامل. كوكب يدور بلطف ووحشية خلال الستينات، العقد الذي سيغير القبعة والمعطف وينتشر فيه العزف الفردي على الجيتار، ويغير الرجال إلى أولاد وربات بيوت ويحول المدينة من شيء قديم وبال بذاكرة سليمة إلى شيء حديث سريع النسيان، إنه عقد تقادم الأشياء واستبدالها بالجديد، عقد الأثار السلبية للثورة الثقافية النرويجية حيث تتدهور الأشياء وتفقد روحها حتى أنك إن أدخلت خنزيرا في بداية الستينات فسيخرج لك علبة كبريت في نهايتها. إنه عقد المبالغة في التقدير والخداع وعدم الفهم، إنه عقدي أنا.

Twitter: @ketab_n

عادت أمي إلى المنزل بعد أربعة أيام من عودتنا إليه، أربعة أيام قضيناها في الشقة مع مارلين. أما هي فقد جاءت إلى المنزل بوجه شاحب وفستان جديد غير مألوف، كما كانت رائحتها مختلفة وشعرها أقصر. احتضنتنا وتنهدت وأخبرتنا أنها لم تتوقف عن التفكير فينا وعن افتقادنا، وقد وزعت مشاعرها بالتساوي بيني وبين ليندا وهو ما لا تطيقه ليندا بالطبع، فقد أرادت أن تستحوذ على أمي لنفسها وأن تتعلق بها، ولم يضايقني ذلك، كما أنه أعطانا فرصة للضحك. قالت أمي إنها كانت تعاني من ألم في معدتها لكنها الآن على ما يرام. أمي التي عادت من مجهول كبير بالنسبة لي زاعمة أن معدتها كانت تؤلمها، أصبحت مجبرة الآن على أن تسمع الجملة الأولى من ابنها الضال:

- "لا أصدق كلمة واحدة مما قلتيه".

- "ماذا قلت؟".

عجيبة هي قدرة الكبار على ترديد كذبات مبتذلة، ثم شعورهم بالإهانة حين يكتشف أمرهم.

قلت دون أن أعرف من أين أتت كلماتي :"لقد كنتِ مع كريستيان".

قالت مكررة نفس رد الفعل الأحمق "ماذا قلت؟" لكن مارلين استوعبت جدية الموقف.

- "أريه يدك".

- "ماذا؟".

- "افعلي هذا فحسب".

رفعت أمي يدها اليمنى بشيء من الارتباك وأرتني إسورة بلاستيكية مرنة تبدو مثل لفة من شريط لاصق مكتوب عليها اسمها وفق ما رأيته

Twitter: @ketab_n

حين استجمعت شتاتي، عليها أيضا بعض الأرقام، لكن أمي سريعا ما سحبت يدها كما لو أنها تخاف من أن أعرف المزيد.

قلت "إن هذا لا يعني أي شيء" ثم استدرت كي أغادر.

صاحت "لن تذهب إلى أي مكان يا فين. أنا جادة في هذا!".

هذا ما اعتقدت أنه سيحدث، لكن فين ذهب، فين الصغير، ابن أمه، نزل السلالم وهو حاف. كان هذا هو السابع عشر من أغسطس، وكان الجميع قد عادوا من إجازاتهم واستعدوا لبدء الدراسة في يوم الأربعاء الثامن عشر. الشارع مليء بالأطفال والدراجات والضوضاء والضحك والحب والحرب وما عليك سوى أن تلقي بنفسك فيه.

بدا فريدي1 في بياض الثلج وأطول قليلا عما تركته عليه. كان في يده بعض الكرات الحديدية يتباهى بها فيبدي الآخرون إعجابهم حين يرونها وكان يحاول بيعها لريموند واكرناجل. لكن واكرناجل كان يعلم أنها ليست ملكا لفريدي1 وإنما هي ملك لي وأمره أن يعيدها إلي، كنت دائما أشعر بمشاعر طيبة تجاه ريموند واكرناجل، الفتى الطيب الشرير.

قلت لفريدي1 بغضب "لا يمكنك الاحتفاظ بها" فأصبح في موقف صعب الآن لأنه لا يجيد الكذب كما تجيده أمي. "لا يمكنك بيعها أيضا فهي لي أنا".

- "كنت سأشتريها منك مرة أخرى بالطبع".

- "متى؟".

- "لا أعرف".

فكر فريدي1.

- "كم ستعطيني لو أعدتها إليك؟".

- "إنها ملكي أنا!".

Twitter: @ketab_n

"نعم، لكنها بين يدي الآن!" قالها بصوت مرتفع، وأدركت أنا أنه يتحدث بمنطق معقول بينما يقف واضعا يده على جيبه. أعطانا واكرناجل ظهره وذهب ليعتني بأشياء أكثر أهمية.

قلت "عشر كرونات" ورأيت فك فريدي1 السفلي وهو يقع من الاندهاش فلابد أن عقله المستشيط كان يتوقع مبلغا بين الثلاثين والخمسين أورا، إنه دائما ضيق الأفق حتى حين يكون في أجشع لحظاته.

- "فعلا؟".

قلت "نعم، إنها تساوي ما يزيد على المائة كرونا".

- "لا تقل هذا الهراء".

"إنها كذلك بالفعل" قلتها وأنا أوجه إليه إحدى نظرات بوريس التي تقول إن هذا ليس هراء، وهي نظرة في هدوء العالم حين ترقبه من خلف بندقية، وقد انخدع لها فريدي1، وربما كان هذا هو سبب وجوده في هذا العالم، أن يتم خداعه. أخرج الصرة الجلدية من جيبه، كانت ثقيلة للغاية وتستحق ثقلها ذهبا وقد شعر فريدي1 بهذا فاختل توازنه للحظة، ثم أمسكها في يده وكان على وشك فتحها عندما وجدت الفرصة قد سنحت لي فخطفتها.

سرقت صرتي لكن دون أن أتحرك من مكاني. لم أهرب بصرتي الثمينة على الرغم من أن فريدي1 ضعفي في الحجم تقريبا. لم يكن لديه خيار سوى أن ينقض علي. لكنه ليس يوم فريدي1. لا يحالفني الحظ على الدوام أنا أيضا، لكنني شعرت بأنني موفق اليوم. ضربته في أنفه فوقع على ركبتيه وأمسك بوجهه بينما الدماء تسيل على أصابعه المخضرة من اللعب في الحشائش.

Twitter: @ketab_n

أصبح كل شيء حولنا هادئا. إنها فرصة سانحة لهروب سريع لكنني وقفت ثابتا في مكاني والصرة تتدلى من يدي اليمنى، بينما يستلقي فريدي1 على الأرض ويتفحص نفسه كي يعرف إن كان قد مات أم لا. وقف ونظر إلي دون أن يتعرف علي. ثم طرحه أرضا شخص آخر، فجذب هذا المشهد جميع الأشخاص المرين في شارع ترافر في السابع عشر من أغسطس، وتحلق الجميع حول الصديقين غير المتناسبين في الحجم، واللذين أعلنا الحرب على أحدهما الآخر.

شعرت بارتجافة بدأت من تحت أخمص قدمي وانتشرت فعمت بطني وأكتافي حتى كسر صوت مألوف هذا الصمت:

- "هون عليك يا فين!".

أراد واكرناجل أن يحل المسألة، وأخبرنا بأنها ليست معركة وإنما سوء فهم.

مع هذا فقد كنت متوترا، وقفت محدقا في فريدي1 متسائلا بجدية عما إن كان يتوجب علي أن أجهز عليه بالكرات الحديدية. سيطر علي هذا التفكير وتغلغل في عظامي ودمي. وكل ما أستطيع رؤيته الآن هو فريدي1 وجمجمته قد تهشمت من جراء ضربات هذا السلاح الذي أعطاه لي كريستيان، بينما لم يكن لدي أي خطة سوى أن أبقي هذه الكرات في يدي وأشعر بملمسها الناعم، إنها الكرات الحديدية التي كنت أغري فريدي1 بها كي يأتي ليقضي العطلة معي، لقد أصبحت هذه الكرات امتدادا لذراعي، سلاحا للقتل وهراوة، يشاهد فريدي1 ما يدور بعقلي من خلال رأسه المهشم وعينين تدوران مثل عاصفة.

- "فين!".

Twitter: @ketab_n

قال واكرناجل اسمي بطريقة جذبت انتباهي، بينما أنزلت أنا يدي ونظرت حولي وتظاهرت أنني خرجت عن شعوري، ثم قبضت بيدي على الصرة كما لو أن هذا المشهد كان يدور فقط حول إرغام فريدي1 على إعادة شيء كان قد استعاره مني.

مشيت حافيا عبر الحشائش في المدخل المؤدي لبنايتنا صاعدا السلالم، وشعرت ببرودة السلالم الحجرية تحت أنامل قدمي، ثم دخلت إلى الشقة حيث وجدت أمي في الداخل ومعها فوطة سفرة وكوب من القهوة، فقلت لها:

- "متأسف".

ثم واصلت السير إلى غرفة نومي حيث تمكث ليندا في الفراش تقلب في صفحات كتاب مصور كنت قد أعطيته لها لتتعلم الحروف الأبجدية قبل أن تذهب إلى المدرسة.

استلقيت بجانبها وسألتها عدة أسئلة، ما هذا - حرف الهاء - وهذا الحرف؟ وذلك؟ تجيب، نفكر في أسماء حيوانات تبدأ بمثل هذا الحرف أو حروف أخرى غير التي في الكتاب فنحن نريد أن نجد كلمات مثل تنين وبومة وخنزير ومياه مالحة ونخيل، وليندا تحب هذا سواء كانت الكلمات التي أطلبها منها طويلة أو قصيرة. كان علي أن أدس أنفي في شعرها كي أعرف إن كانت قد اغتسلت اليوم أم لا، فقد اعتمدت ليندا علي طيلة فصل الصيف. قلت:

- "هذا حرف الهاء. هل يمكنك أن تنطقيه؟".

تنطقه ليندا. أخرج بطاقات اللعب التي أعطتها لي جدتي في عيد الميلاد وأقول إنها ستتعلم الآن لعبة معينة اسمها الهويست وهي أصعب من الألعاب التي تعرفها، لكنها لعبة مميزة. لا تريد هي أن تلعب. على الرغم من هذا أفرد أنا البطاقات على الملاءة وأبدأ في شرح اللعبة.

Twitter: @ketab_n

- "عليك أن تلعبي!".

تنظر للأسفل ثم إلى جانبها وتحاول أن تتملص من هذا، لكنني لا أيأس. تبدأ في التعلم. إنه اليوم الأخير قبل بداية المدارس، اليوم الأخير في العطلة والذي غير كل شيء. هاهي الأجازة تنتهي وأنا أعلّم ليندا شيئا لا تريد أن تتعلمه، لكن ليس لدي خيار ولا لديها أيضا. كانت أمي تظهر بين الحين والآخر ثم تعود وتحملق فينا حيث لم تفهم أي شيء مما يدور بيننا.

Twitter: @ketab_n

18

بدأ اليوم الأول للدراسة بجرس الباب يرن بينما كنا جالسين في صمت مطبق نتناول الإفطار. ذهبت أمي كي تفتح الباب ثم عادت وهمست:

- "إنه صديق لك".

هذه هي طريقتها في الإشارة إلى فريدي1. تفاجأتُ، لكنني ذهبت إلى الممر على أي حال ورأيت فريدي1 بأنفه المتورم وعينين سوداويتين خائفتين، لكن على وجهه بدت ابتسامة متحمسة، قال فريدي1 إننا سنذهب للمدرسة معا.

أدخلته فرأى طاولة الإفطار وليندا وأمي فطرح حقيبته المدرسية أرضا وجلس في المكان الذي يجلس فيه الساكن عادة، ومر على الطاولة بعينيه ثم قال أخيرا:

- "سأتناول ساندوتش جبنة".

تبتسم أمي بذهول.

وتمرر له سكينا مجيبة: "حسنا تفضل"، بينما تنظر لي نظرة جانبية بطريقة تعني "ما هذه الأخلاق الرفيعة؟" وكان من اللازم بالطبع أن تسأل "ما الذي حدث لوجهك؟"

قال فريدي1 "لا شيء" وهو يتحسس السمن النباتي، بينما أنزلت أنا عيني وأنا أشعر بخزي كبير لا أستطيع احتواءه، وشعرت بغضب مختلط يعتمل داخلي مرة أخرى. لحسن الحظ أخذت أمي منه السكين ووضعت له الزبدة على شريحة من خبز، سرعان ما التهمها فريدي 1، قبل حتى أن يوضح سبب حضوره. وبالكاد فهمنا ما كان يقوله، وكان كلامه متعلقا

Twitter: @ketab_n

بالبلي الحديدي مرة أخرى. إنه يزعم أنني أعطيته بليتين وأن بإمكانه أن يثبت هذا.

أخرج الخطاب الذي كتبته قبل أن نذهب للمصيف والذي وعدته فيه ببليتين.

لكن هذا كان مشروطا بأن يلحق بنا على الجزيرة!

بينما كانت ليندا وأمي تحاولان تتبع ما يُقال، تجاذبت معه الحوار حتى شعرت أن هذه فرصة لأن أعود لما كنت عليه من قبل. لذا فقد استسلمت وعدت إلى غرفتي وأحضرت بليتين من الصرة وأعطيتها له. كرتان حدق فيهما فريدي1 بعينيه الدمويتين ثم حشرهما في جيبه وقال إنه يريد كوبا من اللبن.

- "ها هو" قالتها أمي وهي تزيح كوب اللبن على سطح الطاولة. "ما الذي يجب أن تقوله الآن؟".

"شكرا" قالها فريدي وقالتها ليندا في انسجام غير مقصود. ضحكنا وشاهدنا فريدي1 وهو يشرب اللبن بسرعة، وفي نفس الفترة الزمنية الكافية لانسكاب اللبن على الأرض.

ثم ذهبنا إلى المدرسة.

بدأت أمي تعمل بدوام كامل في متجر الأحذية، إلا أنها أخذت اليوم إجازة كي تصطحب ليندا إلى المدرسة. ستذهب ليندا معنا بعد هذا إن كانت دروسها في نفس الوقت الذي سنتلقى فيه دروسنا أو تذهب مع التوأم الذي يسكن في نهاية الممر.

Twitter: @ketab_n

لكنني كالمعتاد لم أبد الكثير من الاهتمام. كنت أشعر بأنني أعمى وقد ملأتني أكاذيب أمي بالمرارة. كانت ذكريات الصيف لاتزال تعتمل بداخلي. بدأت أبعد ليندا عني. مر أسبوع واحد وفي أحد الأيام جريت من خلال بوابة المدرسة بعد أن دخلها جميع الطلاب واكتشفت أن ليندا في طريقها إلى المدخل ج، وإلى فصل ذوي الاحتياجات الخاصة، بحقيبتها المدرسية وابتسامة مترقبة. أوقفتها:

- "إنك لن تدخلي إلى هذا الفصل، أليس كذلك؟".

قالت "لا".

شعرت بنوبة غضب تجتاحني وبشعري ينتصب، وأدركت أنها كانت تذهب إلى هذا الفصل في كل يوم من أيام الأسبوع الماضي بدون أن ألحظ أنا هذا، لأنني كنت بعيدا عنها وأتجنبها خوفا من أن أطالب بالعناية بها، أو خوفا من الإحساس بالخزي الذي يعتريني كلما رآها أحد للمرة الأولى وارتاب بشأنها وقال إن هناك شيئا ما خطأ بها غير كونها صغيرة وضعيفة.

جذبتها بوحشية من ذراعها وسحبتها ناحية الملعب متشبثا بأمل ضائع في أن يكون هذا كله مجرد خلط أو سوء فهم، وأنها يجب أن تذهب إلى مدخل ت حيث يتواجد طلاب الصف الأول الآخرون. لكن لم يكن هناك أي سوء فهم. ظهر عند البوابة من خلفنا الأستاذ صمويلسن بمعطفه الرمادي القصير وصاح:

- "هيا يا ليندا لقد رن الجرس".

صحت من فوق كتفي وأنا أجذبها "لا".

قال السيد صمويلسون الذي أصبح بجانبنا ما أن مشى خطوتين "أستميحك عذرا! " بدا عليه الاندهاش أكثر من الضيق، إنه ليس من

Twitter: @ketab_n

الأساتذة المتوحشين في رأيي وإنما هو من النوع النمطي، له نظارة معتمة وصوت ناعم كالقطيفة. فقدت ما تبقى لدي من صواب.

صرخت "إنها لن تذهب إلى الداخل مع هؤلاء الحمقى" وبدأت ليندا تبكي وتغيرت ملامح الأستاذ صمويلسن فغرس أظافر يده- التي تشبه يد دب ضخمة ومليئة بالشعر -في رقبتي وقال بلا رحمة وبصوت لا هو ناعم ولا نمطي:

- "سأريك من هم الحمقى أيها الجرذ الصغير – تعال هنا!".

سحبني مثل دمية على أرضية الملعب بينما كنت أصيح من خلفه بأن ليندا يجب أن تنضم للآخرين وأن تخرج كراسة التدريبات الخاصة بها وتبدأ في الدراسة بداية من صفحة 18، وأن ترسم...

أصبحت أحفظ رائحة الكبار، إنها رائحة دخان السجائر والجاموس والخضراوات المغلية مختلطة ببعضها البعض. حاولت أن أحرر نفسي من قبضته لكن دون جدوى. عندما وصلنا إلى مكتب المدير كنت قد تلقيت من اللكمات والضربات ما يكفي حتى أنني كنت بالكاد أسمعه. لكنني لم أخطيء صوت مدير المدرسة.

- "اجلس هنا!".

كان هذا فينستاد والذي كان يسمى أيضا فلينتستون وهو شخص كثير التدخين، يشعل السيجارة تلو السيجارة، وتدرك على الفور أنه من الطراز القديم من بدلته الرمادية وجلده الأبيض ومفرق شعره المستقيم، يقف مسلحا بقلمين من ماركة باركر في الجيب الأيسر لقميصه، أحدهما أزرق لكتابة الخطابات والثاني أحمر لتوقيع الأوامر التنفيذية.

Twitter: @ketab_n

ما إن ترك صمويلسن الغرفة حتى سألني فينستاد إن كانت لدي أدنى فكرة عما قد يشعر به هؤلاء البائسين الصغار لأنني قلت عنهم إنهم حمقى. أطفأ سيجارة قبل أن يدخن نصفها بطريقة جعلتني أعتقد أنه لا فائدة من إخباره عن القوانين القاسية التي تحكم أرض الملعب في المدرسة، والتي ترى أن التلميذ الذي يذهب لفصل ذوي الاحتياجات الخاصة فإنه لا يتغير فقط من حيث سلوكه ومظهره ولكن أيضا تتغير ملابسه ويتغير والداه ولغته، ويصبح طفلا كارثيا لن يلعب أحد معه أو يربط نفسه به، وأن الأشخاص الأسلم تفكيرا يميلون إلى التبرؤ من إخوتهم في مثل هذه الحالات.

يبدو أن الروابط الأسرية هي التي تسببت في منعطف جديد لمعاملته لي.

سألني فينستاد باندهاش "هل هي أختك؟" قالها وهو يتكئ كأنما ينتظر إجابتي بينما أشعل سيجارته.

صحت "نعم، وهي تعرف الحروف الأبجدية! تعرف كل الحروف اللعينة! أقسم..."

- "لا تقسم!".

"إنها تستطيع القراءة" قلتها بإلحاح بينما كان اللعاب يسيل على نقني ورقبتي. لابد وأنه استنتج أنه يتعامل مع شخص هيستيري يحتاج إلى أكثر من مجرد إبراز السلطة، إذأنه أطفأ السيجارة الجديدة أيضا ووقف، ثم أسند جسده على حافة الطاولة وعقد يديه حول ركبته، وسألني عن اسمي وفصلي وأسئلة أخرى أجبتها قبل أن تنتابني نوبة أخرى من الغضب :

- "إنها لن تذهب إلى هذا الفصل!".

- "توقف عن هذا الآن!".

Twitter: @ketab_n

- "إنها لن تذهب إلى هذا الفصل. وأنا لن أتوقف أبدا!".

بقيت جالسا مكاني بعد أن قلت هذه العبارة، وتحول هو إلى نبرة أكثر موضوعية:

- "يمكنها أن تقرأ إذا، امم، هذا مثير للاهتمام".

كانت أنفاسي قد توقفت لكنني أومأت بقوة بينما مشى هو إلى خزانة ملفات وأخرج منها مجلدا يحتوي على ورقتين ثبت عينيه فيهما ثم أعاد وضعهما في المجلد والخزانة التي أغلقها فأحدثت طرقعة في المكان. جلس وحدق بشيء من التأمل العميق من خلال النافذة ثم أشعل سيجارة أخرى:

- "في الحقيقة لقد طلبت أمك هذا شخصيا".

- "ماذا؟!"

أومأ مرتين أو ثلاثة بثقة كبيرة. لكنني تصرفت ببساطة كأنني لم أسمعه.

"أقول لك إنها تستطيع القراءة!" قلت مؤكدا للمرة الأخيرة. نفث دخان سيجارته لوقت طويل قبل أن يقول:

- "إن كان ما تقوله صحيحا، فإنها ستنقل إلى فصل آخر".

ثم رأيت شيئا لم أره من قبل. لقد ابتسم فلينتستون.

قال "من خلال ملفاتنا يتبين أن أمك تعمل".

كذبت عليه قائلا "لكنها تكون في المنزل حين أعود من المدرسة". كنت أعرف جيدا أن هناك مشكلة تتعلق بالأطفال الذين تعمل أمهاتهم.

- "في متجر...؟".

- "امم".

Twitter: @ketab_n

- "هل لديهم هاتف هناك؟".

- "نعم. هاتفان".

أمليته الأرقام فكتبها وبدا عليه الاندهاش من أن شخصا في سني يمكنه أن يحفظ رقمي هاتف كل منهما مكون من ستة أرقام بالترتيب الصحيح.

- "هل اتصلت بها باستخدام هذه الأرقام من قبل؟".

- "لا".

- "لكنك تحفظ الأرقام عن ظهر قلب؟".

- "نعم".

- "كيف هذا؟".

لاحظت أن تركيزه انتقل إلي أنا، ما الذي يفترض أن تعنيه هذه المناقشة السخيفة عن أرقام الهاتف على أي حال؟ بدا الأمر كما لو أن هذا العجوز لم يعرف من قبل أن للأطفال الصغار قدرة عقلية تنشط عندما يتعرضون للكوارث. قال:

- "إن هذا غير معتاد".

- "حقا؟".

ابتسم مرة أخرى ونهض وعاد إلى خزانة الملفات وأخرج وثيقتين، لم يكن من السهل تمييزهما لكنني أعتقد أنهما عني أنا، عن الجلبة التي أحدثتها وسجلتها الآنسة هنريكسن في تقاريرها التطوعية. قرأ الوثيقتين ثم أعادهما لمكانهما وبدا أن لديه المزيد من الأفكار التي تحتاج إلى هضم واستيعاب.

تمكنت من أن أتمتم قائلا "ماذا عن أمي؟".

Twitter: @ketab_n

أجابني وهو منشغل البال "المسألة لا تتعلق بها" ثم كتب بعض الأرقام على ورقة فارغة بقلمه الأزرق. رفع الورقة وطلب مني أن أنظر إليها ثم أعيدها على المكتب وأن أحاول تذكر ما أستطيع تذكره من الأرقام.

تذكرتها جميعا فضحك برضا، بينما كنت أتساءل إن كانت حالة ليندا سيتم البت فيها بناء على قدرتي أنا على تذكر مجموعة من الأرقام! ربما ينبغي علي في هذه الحالة أن أخبره بعدد لترات شراب الأكوافيت الذي يستهلكه النرويجين كل عام، أو تكلفة السيارة الهيلمان الجديدة في شركة أوكرن للسيارات والأتوبيسات، وجميع الأشياء التي تحدثنا عنها أنا وكريستيان، أو عن ارتفاع أعلى جبل في النرويج وهو يسمى بجبل كبنيكايزا فكل ما عليك أن تفعله كي تعرف هذه الأرقام أن تعود إلى مرجع.

شعرت أنني على وشك الشعور بالضيق إن لم أكن قد شعرت به بالفعل، واجتاحني الارتباك ثم جاءت لحظة أدركت فيها أنه خدعني وأخرجني من حالة الغضب بهذه الحيلة.

قال :"عليك أن تبدأ في لعب الشطرنج".

- "أنا ألعبه بالفعل".

- "فعلا؟ بطريقة منظمة؟".

- "نعم".

- "في نادي؟".

- "لا".

- "هناك ناد جيد في فيتفت، هل تعرف هذا؟".

لم أجبه. انتهى الحوار بيننا عند هذا السؤال. أشعل المدير سيجارة أخرى. "اذهب إلى فصلك الآن يا فين، سوف أراجع المسألة بنفسي".

Twitter: @ketab_n

نهضت ولاحظت أن العرق الذي تصبب به جسمي قد جف لكن الخدوش التي سببتها قبضة الأستاذ صمويلسن كانت لا تزال موجعة. وضعت حقيبتي المدرسية على ظهري لكنني لم أستطع أن أغادر.

قال وهو يدير السيجارة أمام شفتيه كما لو كان يفكر أن يضعها بعرض فمه بمجرد أن أخرج من الباب "في الحقيقة لا يمكنني أن أعدك بأي شيء".

أومأت برأسي وغادرت عبر حجرة الانتظار حيث عاملة الاستقبال السيدة نيلسن تجلس بجيبتها الضيقة داكنة اللون ونظارتها البيضاوية. كانت كثيرة التدخين أيضا. عبرت الأروقة الخالية ودخلت إلى الفصل دون أن أطرق الباب وجلست وأخذت كتبي متجاهلا الأنظار المصوبة نحوي وأسئلة الآنسة هنريكسن التي أرادت أن تعرف أين كنت.

قلت باقتضاب "عند المدير" مما جعل تانجا تستدير وتبتسم، تانجا التي كانت تغيبت عن المدرسة طيلة شهر مارس لأن عربة السيرك الخاصة بوالدها كانت معطلة طبقا لفريدي1 هاهي الآن أخيرا تأتي وتعطيني شيئا أنشغل به.

قلت بصوت مرتفع "لقد هدموا منازل الصفر والحمر والسود هذا الصباح".

- "ماذا؟".

لم تعتد الآنسة هنريكسن أن أتحدث إلا حين تسمح لي كما أنها لم تعتد أن يخرج مني كلاما ملغزا، كنتُ قطتها المستأنسة. في طريقي للمدرسة هذا الصباح رأيت ثلاثة رجال كبار يقفون في صف ويبكون مثل الأطفال الرضع لأن أكواخهم الآيلة للسقوط قد أزيلت وسويت بالأرض، وكان هذا المشهد أصعب علي بكثير من مشهد ليندا وهي متجهة إلى فصل ذوي الاحتياجات الخاصة.

Twitter: @ketab_n

قلت "لقد هدموا بيوت الساكنين في حديقة ميوزلاند بالجرافات. كانت الشرطة هناك أيضا".

- "آه حسنا؟".

- "لقد وقفت وشاهدت هذا بعيني".

نظرتُ للأسفل كما لو كنت أصلي، بينما احتارت الآنسة هنريكسن وفكرت إن كان عليها أن تترك نفسها للتأمل في قضية الصفر والحمر والسود أم لا. قلت إنهم قد تم القبض عليهم لأنهم يعيشون في أكواخ غير قانونية، إذ أن مؤسستي أوسلو باركس وجاردنز كانتا ستزرعان الحشائش ليس فقط في ميوزلاند ولكن أيضا في المنحدر المائل نحو تروندهايمز حيث هلكت كل المناظر البرية الطبيعية. ولما أراد طالبان آخران أن يقولا رأيهما في المسألة دون أن يرفعا أيديهما، قررت الآنسة هنريكسن بدأ مناقشة حول المنبوذين اجتماعيا كما سمتهم. قال فريدي1:

- "أنت تعنين المشردين، أليس كذلك؟".

- "لا يا فريدي، أنا أتحدث عن الأشخاص الذين ربما لم يتلقوا الحب الذي يستحقونه والذين لسبب أو لآخر...".

خرجت من فريدي1 صيحة استنكار وابتسامة عريضة واستدار حوله باحثا عن مؤيدين له. دعمته مجموعتنا المعتادة لكنني لم أكن بينهم فقد حدقت أنا للأمام ورأيت الآنسة هنريكسن تخطو نحوي.

قلت "لقد كانوا بحارة في السفن التجارية أثناء الحرب".

قال فريدي1 "وماذا يفعل هؤلاء؟".

توقفت الآنسة هنريكسن واستجمعت نفسها وعادت إلى المنصة في مقدمة الفصل.

Twitter: @ketab_n

- "نعم يا فين، هل يمكنك أن تشرح لنا من هم بحارة السفن التجارية؟".

- "لا. لكنه شيء له علاقة بالحرب. كان عمي واحدا منهم.... كان يقطع الخشب".

- "الخشب؟".

- "نعم، إنه يقطع الخشب في القبو حاليا".

بدأت الآنسة هنريكسن تخبرنا عن المصير المأسوف لبحارة السفن التجارية النرويجية أثناء الحرب، ليس للحصول على تصفيقنا، فقد سئمنا من الأفلام الوثائقية المحزنة التي كانت تعرض على شاشات التلفزيون كل ليلة كما لو كانت جنائز لا تنتهي يصاحبها عزف منفرد. أصبح بإمكاني الآن أن أريح عيني على شعر تانجا وأن أستمع لصوت الآنسة هنريكسن. كان صوتها رائعا وهو أحد الأصوات القليلة للكبار التي يمكنني تحملها. كان صوت أمي جيدا أيضا، لكنه في بعض الأحيان يميل إلى الحدة. تتحدث مارلين بهدوء وبنفس النبرة مهما حدث. أما صوت جان فهو حاد للغاية. بينما يتحدث كريستيان مثل الراديو، ولا يستطيع كائن حي أن يبقى بجوار أم فريدي1 لمدة تزيد على الدقيقة إذا ما تحدثت دون أن يفقد الرغبة في الحياة.

هذا ما كنت أفكر فيه بينما كنت أجلس مستمتعا بشعر تانجا والذي كان مثل نهر من الحبر اللامع، ملت للأمام على مكتبي وشممت رائحتها، مزيج من الزهور والبنزين، لا يوجد من له هذه الرائحة سواها، وليس لأحد صوتها الجميل الذي نادرا ما تستخدمه. نعم، إنها قليلا ما تفعل هذا حتى أنها تجعلك تقول لنفسك "هيا أيها الفتاة تحدثي، أنا مشتاق لسماعك!" لن أتطرق إلى صوت ليندا لأنني أجده صوتها فحسب. تحدثت الآنسة هنريكسن بنبرات متجانسة عن "ليف أندرياس لارسن"، البحار النرويجي البطل الذي أنقذ الكثير من اللاجئين النرويجين أيام الاحتلال الألماني للنرويج، ثم استرسلت بنعومة لتحكي عن الحرب الباردة والتي تسببت في أن يكون بقبو

Twitter: @ketab_n

كل منا ملجأ مضاد للقنابل له أبواب حديدة كبيرة لا يمكن للأطفال الأقل من 12 سنة أن يفتحوها، كان هذا عصر القنابل النووية، التي ما أن تطرقت إليها الآنسة هنريكسن حتى عادت مرة أخرى للحديث عن الصفر والحمر والسود، ولاحظت فريدي1 وهو يريد أن يقاطعها كي يقول إن السود يحبون أن يبينوا أعضاءهم الجنسية للفتيات الصغيرات. لكن حتى فريدي1 لم يستطع أن يقاطعها حيث أنه تأثر بذلك المصير الذي يلقاه مثل هؤلاء.

ما إن دق الجرس، حتى نهضت في نفس الوقت الذي نهضت فيه تانجا ووكزتها بكوعي بالصدفة، فاخترقتني صدمة كهربائية. اعتذرت لها فقد تعلمت هذا الصيف من صديق لي أن استعراض الأخلاق أمر مفيد. لسبب ما في هذه اللحظة تذكرت الممتلئة إلى حد الانفجار، وكان هذا بالنسبة لي علامة على أخطار قادمة. لماذا لا تتعطل الذاكرة فحسب؟

سألتها باندهاش "أين كنتِ؟".

قالت "ماذا؟" ب. لقد جلسنا في نفس المساحة التي لا تزيد عن متر مربع لثلاث سنوات باستثناء الأشهر التي كانت تانجا تسافر فيها، لكن هذه هي المرة الأولى التي أتحدث فيها إليها، وبالتالي لم تكن مفاجأة لي أن يكون حوارنا مترددا ومرتبكا هكذا. تمكنت من تكرار سؤالي أخيرا.

أجابت "رومانيا".

لم أسمع شيئا أكثر إثارة للاهتمام من هذا.

"بوخارست" قلتها فخرجت مني في سرعة ضوء الكاميرا، استطردت قائلا بعض المعلومات عن رومانيا ونحن نغادر.

- "ألا تقبع رومانيا خلف الستار الحديدي الذي أقامه تشرشل؟".

تمتمت تانجا بشيء من عدم الفهم بينما عقدت حاجبيها "الستار الحديدي؟". ولأنني لم أستطع شرح هذا فقد استطردت متلهفا لمعرفة المزيد.

Twitter: @ketab_n

- "هل أنتِ مِن هنا

- "لا، أنا من هنا".

- "وما الذي كنت تفعلينه هناك؟".

قالت "أسرتي".

- "هل هم من هناك؟".

- "امم".

فكرت في أن أبرز نفسي قليلا وأقول إنني أيضا من هنا، لكننا في هذه اللحظة كنا قد وصلنا إلى الملعب، وعلى الرغم من استحالة الاستمرار في الحديث أمام أنظار الجميع إلا أن إنهاءه لم يكن مسألة سهلة. وزاد الأمر سوءا، أن جاء فريدي1 وتساءل عم كنا نتحدث، وجهت تانجا بصرها إلى الأرض وانسحبت بهدوء لتنضم إلى مجموعة البنات، التي كانت حتما تحلم بأن تحظى بقبولهم في يوم من الأيام.

فريدي1 الذي حظي بقدر من التوفيق فيما يتعلق بالبلي الحديدي والكدمات حول عينيه التي كانت قد تحولت إلى اللون الأصفر ثم عادت إلى لونها الطبيعي، كان سيُضم إلى فصل ذوي الاحتياجات الخاصة في يوم من الأيام، وربما لهذا السبب وجد في نفسه ما يقوله عن هذا الموضوع، لقد شعر بحاجة إلى أن يعلن أن الأمر برمته ليس عادلا.

قلت "فعلا؟".

- "حسنا، إنهم لا يبدؤون بوضعك في فصل ذوي الاحتياجات".

- "حقا؟".

- "لا، في البداية تذهب إلى فصل عادي. وعندما يدرك المدرس أنك غبي للغاية فإنهم يضعونك في هذا الفصل ".

Twitter: @ketab_n

لم أستطع الهروب مما قاله لي فلينتستون هذا الصباح. أمي، لم تتخذ فقط قرارا قاسيا بدلا من أن تتركه لإدارة المدرسة، بل طلبت ذلك بنفسها.

في طريقي للمنزل مشيت مع ليندا وصديقة جديدة لها تسمى جيني. كانت جيني كبيرة الحجم وهادئة وجسمها منتصب بشكل غريب، وكانت جميع أزرارها مقفولة وتحمل حقيبتها بطريقة جعلتها تبدو كجندي في الجيش.

همستُ :"أين التوأم؟".

تظاهرت ليندا أنها لم تسمعني، وتساءلت بدلا من الرد عن سبب مرافقتي لها حتى المنزل. كان علي أن أرد بسرعة لكنني لم أفعل. لم تعجبني تلك الصداقة الجديدة على الرغم من أن جيني يمكن اعتبارها خطأ النسخة الأنثوية من فريدي1. لم أفهم ما كانتا تتحدثان عنه لأنهما كانتا تمتمان فقط وتبتسمان بهدوء تاركتين مسافة متوسطة بينهما كما لو أنهما عضوتان في جمعية للصم والبكم. وما إن مررنا بمكان أكواخ الصفر والحمر والسود المهدمة حتى تركتهما ولدي شعور بأنني قمت بشيء صحيح تحول ليصبح خطأ كبيرا، حتى أن الجري لم يساعدني في التخلص من هذا الشعور، لكنني جريت، وفكرت في تانجا التي أصبحت قريبة جدا. وأختي التي على حد علمي لم تصنف على أنها غير طبيعية سوى مرة واحدة، مرة واحدة ربما ستستمر إلى الأبد.

Twitter: @ketab_n

19

ما إن دخلت إلى مدخل البناية حتى قابلتني عاصفة من الغضب نادرا ما قوبلت بها. كان هذا لسببين :أولا لأن أمي تلقت مكالمة في متجر الأحذية ولم يكن هذا مسموحا به، ثانيا لأنني قلت على ليندا وزملائها في الفصل إنهم حمقى. إنها لم تسمع بأحد فعل هذه الفعلة من قبل فكيف أقوم بها أنا إلى غير هذا من كلام...

لكنني لم أحتمل.

"أنت وضعتِها في هذا الفصل!" قلت ببرود ناظرا إليها بشعور لم أعرفه من قبل لكنه كان جزءا مني على أي حال. تحدثت أمي بهدوء بدلا من الدفاع عن نفسها لكن طريقتها في الحديث لم يكن لها سوى أثر ضئيل علي.

- "لكن يا فين أنت ترى حالتها!".

لم ألحظ أي مشكلة في حالة ليندا، قلت هذا. أصرت على موقفها وقالت "أليس لديك عينان في رأسك؟" كررت:

- "أنتِ وضعتِها هناك".

- "ألا تفهم؟ لو لم أفعل هذا...".

- "ماذا كان سيحدث؟".

- "كان من الممكن أن تذهب لمدرسة أخرى".

احتجت إلى ثوان قليلة كي أهضم كلماتها.

Twitter: @ketab_n

همست بنوع من الشك "لايبرن؟" تلك المدرسة المخصصة للمعاقين عقليا في الجانب الآخر من تورشوفدالين، والتي يراها الأطفال مزيجا من حظيرة أبقار وسجن ومعمل، إنها أشنع الأماكن على سطح الأرض.

غطت أمي وجهها بيديها مرة أخرى وبدت بائسة للغاية وكأنما الحديث معها يخرج المزيد من البؤس من داخلها، فكرت في أنها شخص كبير وناضج بما يكفي، فلم تدخل معي في جدال إن لم يكن لديها القدرة على هذا؟!

صاحت "لا أستطيع تحمل المزيد. لا أستطيع".

ولا أنا. خرجت.

في هذا المساء كانت ليندا تلعب مع إحدى أخوات مارلين الصغيرات وخلت الساحة للأم وابنها. كان التلفزيون قد تعطل وجاء أحد معارف كريستيان مرتديا أفرول أبيض ومعه صندوق أدوات وزنه طن تقريبا يحوي الكثير من الأنابيب وقواطع التيار في لوحات صغيرة قابلة للفصل. كان من الممتع مشاهدة الرجل وهو يفك المسامير المثبتة لظهر التلفزيون، وبداية تفحصه للمحتويات الداخلية، الرئة المصابة والقلب والأوعية الدموية. قلت له هذا وأشرت إلى أشياء أخرى وقلت إنها الأمعاء، أليس كذلك؟ لكنه نظر إلي وعلى وجهه تعبير جاد.

- "لا، إن هذا جهاز تقني. لا يوجد به أي أعضاء بشرية".

- "لكنه يُحدث صدمة، أليس كذلك؟".

- "ما الذي تعنيه؟".

- "ألا يمكن أن يتسبب لك في صدمة؟".

- "عندما يكون موصولا بالكهرباء".

- "آه، نعم".

Twitter: @ketab_n

- "هل تعرف ما هي الكهرباء؟".

- "لا...".

- "الكهرباء، لابد وأنك سمعت عنها".

- "لا...".

سمعت أمي تصيح من المطبخ بأحد نبرة لديها "فين!" رددت عليها بأشنع طريقة لدي. لم نكن نتحدث هكذا أنا وهي لكننا ما كدنا نتبنى هذه الطريقة، حتى تعذر علينا التخلص منها. الميزة الوحيدة في هذا الأسلوب هي أنك لا تضيع الوقت في التساؤل عما يجب عليك فعله. سألت الرجل إن كان يريدني أن أوصل التلفزيون بالكهرباء حتى يصاب بصدمة حقيقية ربما يسقط بعدها صريعا، لكن أمي جاءت وسحبتني إلى المطبخ وتساءلت في غضب عما أفعله.

قلت :"ربما علي أن أنضم إلى فصل ذوي الاحتياجات الخاصة" هددتني ملامح وجهها بأنها ستصفعني، لكنني تراجعت بذكاء ثم حدث شيء آخر مختلف.

- "أريد أن أرى صور أبي".

- "أي صور؟".

- "صور أبي".

- "ما الذي تتحدث عنه؟".

عدت إلى غرفة المعيشة وطلبت من الرجل أن يعيرني مفكا.

- "ها هو".

- "أليس لديك مفك أكبر؟".

Twitter: @ketab_n

أعطاني مفكا أكبر فعدت مرة أخرى إلى حقل الألغام الذي تقف فيه أمي ثم إلى غرفة النوم وأدخلت المفك في المسافة الفارغة فوق درج منضدة التزيين وجلست على سرير أمي يفصلني متران عن المفك الذي لم يسبب أي تلف في المنضدة، كان لدي مهمة أقوم بها حين دخلت أمي وجرت خلفي.

قلت "لقد أخبرتيني أنها تشبهه".

- "ماذا؟".

- "قلت إن ليندا تشبه أبي... أبانا، أريد أن أتأكد إن كان هذا صحيحا أم لا".

بدت كأنها قبلت هذا. قلت :"هل أنتِ أمها؟".

- "ما الذي تعنيه؟".

- "هل أنت أمها؟".

- "فين، من فضلك!".

انسكبت الدموع نازلة من خدي حتى أنني لم أعد أستطيع أن أرى.

قلت "تقولين إنها لا تشبهه هو فقط بل تشبهك أيضاً، أليس كذلك؟".

وقفت للحظة ثم جلست وبدأت تربت على شعري ثم تفرقه وتخلطه، لم أمانع في هذا. نظرنا نحو المفك الكبير إلى المقبض الخشبي البالي للمفك والمغطى بطبقة من الزيت الأسود والشحوم، وشعرنا بالخوف من مرور لحظة التآلف هذه.

قالت "من الصعب شرح هذا يا فين، لكنني لا أعني أنها تشبهني بهذه الطريقة، لا أعني أننا متشابهون كأسرة".

- "بأي طريقة إذا؟".

- "ربما كانت لي نفس الخبرات في الطفولة...".

Twitter: @ketab_n

- "خبرات سيئة؟".

فكرتْ قليلا ثم قالت :

- "نعم".

أعطيتها الانطباع بأنني فهمت ما قالته لكنني لا أريد أن أسمع المزيد. أزاحت بعض خصلات الشعر عن وجهي ومالت للأمام ورفعت صندوق المجوهرات الخاص بها من جانب درج منضدة الزينة، ثم فتحته وأعطتني ورقة كانت في الحقيقة وثيقة مختومة تبين أنني، فين، المولود في مستشفى آكر في الثامنة والنصف صباحا في اليوم والسنة الذين ولدت فيهما، ابنا لسائق الجرافة وابنا لها، كانا قد حددا الاسم مسبقا، كان اختيار جدي لأبي الذي أراد أن يسمي المولود فين إن كان ولدا.

قالت بلطف "هذا أغلى ما أمتلكه".

قلت "امم" ونظرت إلى الوثيقة، كان عليها توقيع طبيب.

- "هذا ما يجعلني أحتفظ بها في هذا الصندوق. هل تفهم هذا؟".

أومأت. رفعت الظرف وأرتني أنه خال.

- "لا يوجد أي شهادات ميلاد أخرى فيه، أترى؟".

أومأتُ مرة أخرى. استطردَتْ "لا يوجد سوى هذه الشهادة".

رددتُ على نفسي في الأغلب "امم، امم، امم".

وضعتْ الوثيقة في الظرف مرة أخرى وأخرجت مفتاحا وذهبت إلى منضدة التزيين وأزاحت المفك.

قالت "يمكنك أن ترى إحدى الصور" وأدخلت المفتاح في القفل. "صورة زفافنا".

Twitter: @ketab_n

قلت "لا يهم" ونهضت. اكتشفت أنها على الرغم مما فعلتْه فيما يتعلق بموضوع فصل ذوي الاحتياجات الخاصة هذا، فإنها لاتزال أمي. ربما لم تتعلق هذه المواجهة بعلاقتها بي في البداية لكنها أصبحت كذلك. الأهم الآن أن أكثر الأسئلة أهمية قد تم الرد عليه بالإيجاب. ولأنني لم يكن لدي شيء أفضل كي أقوم به فقد سحبت المفك واعتذرت مرة أخرى.

قالت بعدما أدرت ظهري خارجا من الغرفة "حسنا، على الأقل أنت تعرف مكان المفتاح الآن".

Twitter: @ketab_n

20

بعد يومين كان كريستيان جالسا معنا على طعام العشاء. كنت قد قضيت الظهيرة محاولا كتابة خطاب لتانجا، خطاب يشتمل على أسماء مثل رومانيا ومولدوفا وألبانيا إلى غير هذا، إلى جانب أنه يشتمل على كل الجمال الذي لا يمكن قياسه والذي عرفته في حياتي، وأن يبدو واضحا من الخطاب أنني بذلت مجهودا عقليا فظيعا لجعل كل هذا متماسكا ومتسقا.

لكنني لم أجد كلمات مناسبة في البداية.

بين شرائح الخبز وزجاجة اللبن، وقفت زجاجة من النبيذ الأحمر وكأسان كانت أمي تحفظهما في البوفيه ولم يظهرا أبدا إلا وقت تنظيفهما. كانت ليندا في مزاج جيد، وقامت بعمل قائمة بها أربعة أشياء يمكنها أن تحشو بها الساندوتش الذي تريده للإفطار، وطلبت منا أن نصوت لأي منها، بينما تحدث كريستيان عن الزلازل في إيران التي أزهقت آلاف الأرواح، وشرح لنا ما هو مقياس ريختر، وقال إننا محظوظون للغاية لأننا نعيش في النرويج ولسنا في حزام الزلازل. في هذه الأثناء كانت أمي تشرب النبيذ الأحمر، جففت شفتيها بمنديل السفرة وقالت لي بينما على وجهها أثر ابتسامة لم تكتمل:

- "أعتقد أنك ستذهب للمدير وتخبره بهذا".

"أرى أن هذا الولد مميز" قالها كريستيان منتهزا الفرصة بينما ضحك ضحكة خافتة لكن نظرة أمي جعلته يتوقف عن الحديث والضحك، نظرة تقول إنها موجودة وإنها غير ملزمة بأن تستمع إلى عبارة من ساكن قد تؤول على أنها انتقاد.

Twitter: @ketab_n

"ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟" صرخت بينما التهب خداها من الغضب.

تمتم كريستيان "ليس هناك مشكلة في أطفالك، إنهم يصرون على وضع الطلاب في..."

ساعدته أمي على إكمال العبارة.

- "في فئات".

- "امم... نعم، هذا ما كنت أود أن أقوله".

ابتسم بصعوبة ودار ببصره باحثا عن مخرج فوقعت عيناه على ليندا. "كيف الحال يا ليندا؟" قالها بصوت مرتفع. "هل أنت مستمتعة بالمدرسة؟".

"نعم" قالتها ليندا وهي تجري إلى الغرفة باحثة عن كتاب التدريبات وقلمها الرصاص، وبدأت تكتب ما يفترض أنه حروف. اضطرت أمي إلى أن تضع يدها على عينيها وأن تكبح جماح نفسها.

سألتُ كريستيان "لماذا تتحدث إليها دائما بهذا الصوت المرتفع؟".

- "هل أفعل هذا فعلا؟".

-"نعم".

- "لم ألحظ".

- "ما الذي تريد أن تقوله يا فين؟".

أزالت أمي يديها من فوق عينيها وثبتت عينيها علي بتعبير ينطوي على تهديد. وضعت رأسي على الطاولة ثم استدرت مواجها البوفيه وهمست:

- "ليندا؟".

ردت ليندا "نعم" بينما كانت مستغرقة في الكتابة على الجانب الآخر من الطاولة.

Twitter: @ketab_n

كانت أمي مستغرقة في التفكير، بينما بدا كريستيان كما لو أنه قد فقد فرصة. لسبب ما غير مبرر تكدر مزاجه لكن أمي وضعت يدها فوق يده، وفي طرفة عين رأيت كل شيء، لم تكن ليندا وحدها هي التي تفعل هذا بنا، لم تكن هي وحدها التي تكشفنا أمام أنفسنا وتعرينا لكن أيضا ذلك الوجه الأحمق لرجل فقد السيطرة على نفسه، تساءلت لثانية إن كان علي أن أخبرها بما حدث لضلوعي، بأن الساكن قد تزلج ليلحق بي في ذلك الشتاء البارد المتجمد، وأنه أراد أن أطيعه بالإكراه حتى لا أخبرك أنه قال عن ليندا إنها متخلفة، هذا السر القدري الذي ظللت أحمله طيلة هذه الشهور بدون أن أعرف لماذا أحمله، إلا أنه لم يخرج فحسب. هاهي تضع يدها على يده كي تهدئ مشاعره، يدها التي لابد وأنها حطت على يده من قبل.

نهضتُ وذهبت إلى غرفة المعيشة وفتحت التلفزيون. كنت أشاهد برنامجا للأطفال لكنني لم أسمع أي شيء مما قيل في البرنامج عن الاحتياطات الواجب توافرها في صناديق الطيور، أو ما قالوه عن الفرقة الموسيقية للأولاد في مدرسة بفالدريس، والأدوات الموسيقية التي عرضوها والتي من بينها البوق الفرنسي والمزمار والبوق العادي... دب خلاف آخر في المطبخ فقفز كريستيان ناهضا على قدميه وتوجه إلى غرفته ولم يتوقف إلا على صوت أمي الحاد.

- "سنحتفل اليوم، أليس كذلك؟".

كانوا سيحتفلون لأن أمي ترقت وسوف يمتد عملها ليشمل قسم الملابس والقبعات أيضا. لم تكن هذه ترقية لكنها على الأغلب كانت تعني أنها ستحصل على مال أكثر.

لم يكن هناك ما يمكنني فعله سوى كتابة الخطاب لتانجا.

لقد كتبت حتى الآن مرتين عن الإجازات، مرة كتبت عني أنا وليندا ونحن على الجزيرة ومرة أخرى كتبت عن فريدي1، حيث قضينا قبل هذا إجازة معا.

Twitter: @ketab_n

كان فريدي1 ساذجا وأقل جاذبية لكنه هذه المرة لم يرتكب أي حماقات، فجعلته يكتب عن هذه الأجازة بالقلم الحبر مقابل نصف المال الذي عرضه علي للقيام بالشيء نفسه. وقد استفدنا من هذا أنا وهو.

إذا ما الذي يجعل كتابة خطاب تانجا صعبا هكذا؟

وهل تتوقع تانجا مني أن أكتب لها خطابا من الأساس؟ من الصعب تخمين هذا. خاصة بالنسبة لشخص غامض مثلي لديه خصلة من الشعر تتسحب على جبهته، شخص أقصر منها لم يقل لها أي كلمة سوى مؤخرا. كتابة الخطاب أمر جيد بالطبع، فالخطابات تتلو الأحداث الجادة، وتعبر عن الأشياء الهامة للغاية حتى أنها لا يمكن أن تقال بصوت مرتفع، والخطابات ترتب أفكارنا وتصبح دليلا مكتوبا وتبقى للأبد. في النهاية بدأت أكتب واسترسلت في الكتابة.

أغلقت التلفزيون وذهبت إلى غرفتي وكتبت خطابا لتانجا من أربع صفحات حتى أن دمعة صغيرة نزلت من عيني عليه، إنها دمعة حسنة كما اعتادت أمي أن تقول في مثل هذه الحالات. وضعت الخطاب في الظرف الذي كتبت عليه اسمها، تانجا، بدا لي الاسم جذابا كاسم روماني. ثم جلست أفكر إن كان علي أن أرسم طابعا على الظرف أم لا، ثم قررت في النهاية أن هذا سيكون طفوليا جدا وبدلا من رسم الطابع أخذت أقرأ في رواية الجندي المجهول. في هذه الأثناء كانت زجاجة نبيذ حمراء أخرى توضع على طاولة المطبخ.

لا أذهب عادة إلى الفراش قبل ليندا، لكن هذا حدث مرتين مؤخرا وفي أقل من أسبوع. قرأت الصفحات السبع الأولى من الرواية مجددا، مثلما تفعل هي. لكنني اليوم كتبت خطابا مهما وشعرت بضيق محموم ينساب من أصابعي ومن سن القلم على الورقة وبخط جيد كما انعكست الصور التي بداخلي وأصبحت شيئا ملموسا يمكن قراءته، بينما ظل السر الذي أعادته

Twitter: @ketab_n

أمي إلى الحياة داخلي بلمسها ليد الساكن نائما. لماذا أصبحت ملابس كريستيان المتسخة جزءا أساسيا من الغسيل الخاص بنا؟ ملابسه الداخلية وجواربه وسراويله التي أصبحت تعلق جنبا إلى جنب مع قمصاني وملابس ليندا في غرفة التجفيف في القبو؟ لقد أصبحت خزانة ملابس الأسرة مقسمة على أربعة أفراد، حتى أن هذا أثار تعليقات خبيثة في الشارع.

- "ما الذي تفعله أمك وهذا الساكن؟".

كان كريستيان يجلس كل مساء تقريبا على طاولة المطبخ، ويقف على السلم كي يتحدث مع فرانك كما لو كانا جارين، كما أصبح يشارك في أعمال المجتمع المحلي، في بناء ملعب الرمال المجاور لمنعطف الأتوبيسات، بالإضافة إلى تعليقاته المتزايدة عني وعن ليندا كما لو كان هذا شأنه هو وكان يردد هذه العبارات المبتذلة التي يرددها الأباء. فلماذا لم أخبرها عما حدث لضلوعي؟

ربما لأنني لم أثق فيها على الرغم من اهتمامها وعنايتها بتلك الوثيقة التي تثبت أنني أنا والتي وضعتها في صندوق مجوهراتها، إلا أن هذا لا يعني أي شيء على الإطلاق. على العموم لدي الآن تانجا...

Twitter: @ketab_n

21

لم أعطها الخطاب على الرغم من أنني وضعته في حقيبتي المدرسية لفترة. تلك الحقيبة التي أحملها على ظهري كل صباح وأضعها في صف الحقائب أمام مدخل ملعب المدرسة، في صف الحقائب المستلقية كما تحب المدرّسة أن تسميها. تلك الحقيبة التي أعلقها حول رأسي وأتعارك بها وأجري بها على الثلج وأضع فيها قلمي الرصاص وكتبي، أصبح المشي بها كالمشي بطاقة متوهجة، بقدرة كامنة وخفية، وأصبحت كما لو أنها قنبلة يدوية على وشك الانفجار. كنت أشعر بقلق هائل كلما فكرت في أنني سأخرج هذا الخطاب في لحظة ما وأضعه على مكتب تانجا، وقد أفقدني هذا شجاعتي في أشد لحظات احتياجي لها. إلا أنني اكتشفت أخيرا شيئا متعلقا بتانجا جعلني أشعر أنها تشبه أمي وأنها لا تستحق خطابا طويلا كهذا. فهذا هو الخطاب الذي تكتبه مرة واحدة في عمرك، تلك المرة التي تعني فيها كل كلمة تقول، بينما تظل جميع الخطابات التالية مجرد نسخ باهتة وزائفة إذا ما قورنت به، لأنها جميعا مبنية على الخبرة المتعلقة بالخطاب الأول، الخطاب الأول والوحيد. فأنت لا تزين كلامك في خطابك الأوحد في حياتك وإنما تقول الحقيقة.

في نهاية سبتمبر حدثت المعجزة أخيرا وجاءت على شكل خطاب أيضا. كان هذا يوم الأربعاء، وبدا أن اليوم الصيفي قد جمع سمات بقية الفصول. جريت إلى المنزل بسرعة كبيرة وقد نويت أن أعود إلى الشارع من أجل الاشتراك في سباق، عندما ظهرت أمي فجأة قبل موعد عودتها من العمل بساعتين وبنفس الملامح الغاضبة التي كست وجهها حين تلقت تلك المكالمة الهاتفية من المدير. كانت تمسك خطابا في يدها.

Twitter: @ketab_n

قالت بصوت مرتفع :"هل هذه فعلتك أنت أيضا؟".

مررتْ الخطاب تحت أنفي كأنه فوهة مسدس. لم أفهم شيئا من الأسطر المكتوبة به سوى أن ليندا ستنقل إلى الفصل الذي تم تسجيلها به في الأساس لفترة تجريبية، و"بعد اعتبار ما يلزم" و"باستشارة مدرس فصل الفئات الخاصة وممرضة المدرسة"... تحياتي، فلينستون.

"لا" قلتها وكنت صادقا.

لكنني كنت أحتاج إلى المزيد من الوقت لأفكر قبل أن أرد، وهذا ما أفعله دائما عندما تضيق علي أمي الخناق، فهناك الكثير من الجوانب التي يجب أن أضعها في الاعتبار. أما هي فقد اعتبرت ما قلته اعترافا وخطت نحو الباب كي تزور إريكسن في البناية المجاورة، لأن لديه هاتفا، ولأنها مليئة بالسخط فقد قررت أن تتصل بالمدير على هاتف منزله.

عندما عادت كانت مرهقة أكثر منها غاضبة، وبدأت فجأة في ترتيب الخزانة وهي عادة ما تقوم بهذا عندما تريد أن أتركها في سكينة، أو حين تجد نفسها حائرة لا تعرف ما يجب أن تفعله فتقرر أن تزيح من عقلها كل الأشياء المتراكمة به، تلك الأشياء التي تشكل بالنسبة لها سبب الوجود والتي تكون سببا لراحتها حين تطمئن إلى أنها موجودة.

ما أدهشني في الحقيقة ليس توبيخها لي، وإنما رد فعلها المبالغ فيه تجاه نقل ليندا لتتعلم في الفصل المناسب لها. لذا سألتها بينما كان بركان ثائر يعتمل بداخلها.

صرختْ ووجهها موجه ناحية الخزانة "لأنني لن أتحمل المزيد من الإحباط! ألا تستطيع أن ترى هذا؟!".

- "إحباط...؟".

لم أفكر في هذا من قبل.

Twitter: @ketab_n

- "حسنا، تخيل أنها لم تستطع الحصول على الدرجة! لن أستطيع أن أتحمل هذا!".

لو أن لي بديهة أسرع أو لو أنني كنت أكبر من سني الحالي بثمانية عشر سنة، لكان من الممكن أن أسأل عما إذا كانت ليندا قد وُضعت في فصل الفئات الخاصة حتى لا تتعرض أمي إلى إحباط مستقبلي. إلا أنني بدلا من أن أفعل هذا، ارتكبتُ خطأ قاتلا وسألتها إن كانت هناك الكثير من الإحباطات في حياتها. ربما أنا لا أضع في اعتباري على الدوام أبي والطلاق ومعاش تلك الأرملة والأشياء الشنيعة التي عانتها أمي وهي صغيرة. وقفتْ أمامي وسألتني مباشرة إن كنت فعلا لا أدرك إحباطاتها.

ذهبتُ إلى غرفتي وقرأت خطاب تانجا راجيا أن يكون له نفس الأثر علي كما في كل مرة. لكن لم تمر دقيقتان قبل أن تأتي أمي إلي وتجلس على سرير ليندا. قالت:

- "آسفة، إنه ليس خطأك بالطبع أنهم نقلوها...".

قلت "لا ليس خطئي".

- "أتمنى فقط أن تنجح".

- "بالطبع سوف تنجح".

لكن عينيها امتلأتا بالحزن ورأت أماليا تنام تحت غطاء ليندا فجذبتها وأجلستها في حجرها وهكذا أصبحت الدمية القماشية تجلس بين طفولتين مأساويتين.

- "إنها تشبهني كثيرا يا فين".

- "امم...".

- "هذا كل ما في الأمر".

Twitter: @ketab_n

- "أنتِ لم تذهبي إلى فصل ذوي الاحتياجات الخاصة، أليس كذلك؟".

- "لا، لم أذهب. لم أقصد هذا...".

"ماذا تقصدين إذا؟" صحت رغبة في إخراج الكلام من داخلها، وكي أعرف ما الذي يعذب عقلها وربما عقلي أنا أيضاً ويمنعنا من أن نعود كما كنا من قبل. قالت شيئا عن فقدان ليندا للقدرة على التركيز والتآزر وكلمات أخرى تبدو علمية ولم يكن لها معنى عندي وهي أيضا لم تشرحها.

اختتمت كلامها قائلة "سوف تفهم في يوم ما" ولاحظت الخطاب الذي كنت أحاول أنا أن أخفيه. - "هل تلقيت خطابا أنت أيضاً؟".

- "لا، إنه خطاب كتبته أنا".

- "لمن؟".

- "لتانجا".

- "ومن هي تانجا؟".

"امم" حاولت المراوغة حتى تذكرت هي ما فعلته في الربيع الماضي حيث طلبت في هذا الوقت أن تسمح أمي لتانجا أن تعيش معنا، حتى لا تضطر إلى الرحيل إلى تلك الدولة التي عرفت لاحقا أن اسمها رومانيا.

ضحكت بينما ربتت بيدها على الفراش كي أجلس :"الفتاة التي كنت تريد أن تأتي بها كي تمكث هنا؟" ثم أخبرتني بأنني لا يمكنني العيش في الحياة وأنا أشعر بالأسف على كل شيء وذكرتني بكل القطط والكلاب التي جلبتها معي إلى المنزل وأردت أن أربيها، وقالت إنني سأفسد حياتي إذا ما اعتقدت أن بإمكاني أن أحمي الآخرين، مثل فريدي على سبيل المثال...

اعترضت وقلت لها دون أن أصرخ أو أصيح أنني أتعجب من قدرتها على تجاهل الأشخاص والأشياء التي أكترث أنا لها، فقالت إن علينا أن نركز

Twitter: @ketab_n

علي أنا وليندا وعليها. رددت بأننا لا نحتاج إلى أن نقلق بشأن ليندا لأنها تستطيع أن تقرأ بالفعل.

- "لا، إنها لا تستطيع يا فين".

- "إنها تستطيع أن تقرأ وهي لازالت في الصف الأول، لا يوجد من أقرانها من يمكنه القراءة على أي حال...".

- "لكن أيا منهم لم يتم تعليمه بجد كما فعلنا معها، كنا ندربها على الحروف كل يوم ولمدة عام بأكمله. إننا...".

"صحيح" ثم أكدتُ على ما قلته دون أن أرفع صوتي. نظرتْ إلي أمي وبدت كما لو أنها ستعود لحزنها أو أنها ستصرخ، لكن من الواضح أنها كانت تتأمل فقط، كما لو أنها أدركت أن وجهة نظري سليمة. قالت إن ليندا لم تستطع أن تقرأ أبسط الكلمات. تصفحنا معا أحد الكتب. قلت:

- "إنها لا تريد أن تبذل مجهودا فحسب على ما أعتقد".

- "أنت الآن تحاول أن تخدعني".

قلت "لا أنا لا أخدعك. يمكنها أن تقرأ حتى لو كانت الكلمات جديدة عليها ولم تقرأها من قبل".

تنهدت أمي :"أتمنى أن يكون هذا حقيقيا".

سألتها :"أين هي؟".

- "عند التوءم".

نهضتُ وعبرت الممر وقرعت جرس باب عائلة سيفرسن. أخذت ليندا عائدا إلى المنزل وأدخلتها لغرفة النوم حيث كانت أمي لا تزال جالسة وأماليا في حجرها. ابتسمتْ ابتسامة مرهقة وربتت على شعر ليندا وسألت عن حالها فأجابت ليندا كما تجيب دائما بأن كل شيء على ما يرام.

Twitter: @ketab_n

طلبتْ منها أن تجلس بجانب أمي وأعطيتها خطاب تانجا وقلت لها أن تقرأه.

قالت بابتسامة مازحة كي تجعلني أقرأ أنا "لا أستطيع". لكنني لم أقرأ بدلا منها، نظرت ليندا إلى أمي وهي متحيرة. لكن أمي لم تسد لها المساعدة المتوقعة، حيث كانت قد استعدت بالفعل لإخفاء عينيها خلف يدها المرتعشة لأن ما يحدث الآن ليس فقط في صعوبة امتحان القبول في الجامعة والذي لم يقترب أي فرد من أسرتنا من اجتيازه، لكنه دكتوراة في مهارات البقاء.

قالت :"أنا صغيرة".

قلت :"هل أنت حمقاء؟".

- "هل يجب علي أن أقرأ؟".

"نعم". كررتها، كانت هذه مسألة حياة أو موت، حاولت أمي ألا تصيح وهي تقول "هون عليك يا فين وتوقف عن هذا، دعنا نذهب لنأكل واتركها وشأنها" إلى غير هذا.

نظرتْ ليندا بامتعاض إلى الورقة وأخذت نفسا عميقا وقرأت:

"إلى تانجا التي تحزم كل أشيائها كل عام كي تسافر إلى رومانيا وسردينيا... " نجحت في قراءة الكلمات التالية إلى حد ما لكنها تعثرت في الكلمة المستحيلة "تشيكوسلوفاكيا"، فرحتْ أمي كثيرا وتصرفت بطريقة أفضل ألا أصفها.

- "إنه خطئي أنا !خطئي أنا!"

اتسعت عينا ليندا من الفزع وباغتتها أحضان أمي وتصرفاتها الهيستيرية من فرط السعادة. قفزت أمي ممسكة بجبهتها كما لو أنها لا تستطيع أن تتذكر اسمها أو المكان الذي تعيش فيه. بينما ارتبكت ليندا

Twitter: @ketab_n

بشكل أكبر. لكنني جذبت خطابي قبل أن تتكشف الأجزاء الأكثر عاطفية منه، أدخلته في حقيبتي المدرسية وأخذت ليندا إلى المطبخ كي نقوم بعمل الكفتة.

قالت ليندا "بالبصل؟".

"بالبصل" قلتها وأنا أتناول العلبة البيضاوية المصنوعة من الألمنيوم من الثلاجة، وأعطيتها سكينة تقشير كبيرة وأريتها كيف يمكنها تقشير البصل "هكذا... هكذا"، ثم بدأنا في إعداد الكفتة التي كانت نصف مطهية حيث كان ما علينا فعله أن نضعها في المقلاة ومعها السمن النباتي. كنت أثرثر دون توقف حيث فضلت أن أطيل الوقت، فكلما طال الوقت زادت احتمالية مجيء أمي كي تكمل وتنسق الطعام. إن هذا أمر يعرفه الابن وتعرفه السماء، فإن آجلا أو عاجلا ستستجمع الأم نفسها مرة أخرى وتأتي لتسيطر على الأمور وتضحك على كل الفوضى التي أحدثها أبناؤها.

وهذا ما فعلته أمي. فالأمهات لا يخذلن أبناءهن في الأمور الهامة. ها قد أتت وعيناها جافتان وقد استجمعت نفسها وهدأت. قالت، بورك فيكما وجذبت سكينة التقشير وكما قلت بدأت تسيطر على الأمور داخل المطبخ. في هذه الأثناء جلست أنا وليندا في مواجهة بعضنا البعض ندق بشوكتينا وسكينتينا على الطاولة وأخذنا نغني بصوت أعلى وأعلى وبشكل أسرع وأسرع ونحن نقول "قار وأسفلت، قار وأسفلت" حتى انفجرت ليندا ضاحكة.

كانت هذه ترنيمة فريدي1 السحرية، والتي لا يزال يتمتم بها وهو يمشي، أظن أن السبب الوحيد الذي يدفعه لفعل هذا هو أنه نصف مخبول وأنه لا يستطيع أن يخرج هذه الكلمات من رأسه، إن عقله مليء بالكلمات الغريبة، والكلمات اللطيفة الهادئة والكلمات الغاضبة وكلمات أخرى لا يمكن تصنيفها لكن هذه الكلمات جميعا في النهاية تبدو كصرخة لطلب النجدة.

Twitter: @ketab_n

22

اقترب عيد ميلاد ليندا. إنها هنا في هذا المكان الجديد عليها، تعد طفلة حديثة الولادة، تطل من عينيها البراءة، وبالتالي فهذا اليوم لابد أن يكون أفضل من أعياد الميلاد الروتينية السنوية التي نذهب إليها، كما أنها في هذه السنة نجحت نجاحا منقطع النظير في امتحان القراءة، فكانت الدعوة لكل الفتيات الصغار اللاتي استطاع شارعنا أن يستوعبهن، ونوت أمي أن تخبز، كما قررت مارلين أن تغني بينما سيقوم كريستيان ببعض الألعاب السحرية...

لكن ماذا سأفعل أنا؟

لا شيء. كنت أعلم أن شيئا ما بدأ يسيطر علي، حيث كنت أمكث خارج المنزل حتى وقت متأخر من الليل، أجلس على شجرة في هاجان أو في الملجأ المضاد للقنابل، كنت أتحدث عن أنني أريد أن أبني غرفة لي في العلية، غرفة لا يدخلها كريستيان. سألتني أمي إن كان علينا أن ندعو أيا من أصدقائي أنا أيضاً.

- "في عيد ميلاد ليندا؟".

- "نعم، هل هذا غريب للغاية؟".

- "امم... نعم، إنه غريب في واقع الأمر".

- "ماذا عن إيسي؟".

- "لا ألعب كثيرا مع إيسي، لم أعد ألعب معه".

لم تقل شيئا لبرهة، ربما خافت أن أقترح دعوة فريدي1، لكن بعد لحظات اقترحته هي علي بنفسها.

Twitter: @ketab_n

- "صديقك فريدي، يمكنه المجيء، أليس كذلك؟".

قمت بدعوته قبل أن تكمل سؤالها. عندما حل المساء أخفيت سترتي وحذائي في غرفة تخزين الدراجة في القبو. ظهر التوءم كأول الضيوف وأحدثنا جلبة كبيرة، نجحت أنا في التسلل دون أن يلاحظني أحد ونزلت على السلم فاصطدمت بضيف آخر، كان هذا فريدي1 وكان يحاول أن يخفي شيئا خلف ظهره.

سألني :"ماذا تريد أن تفعل؟"

قلت بارتباك :"اممم... لا أعرف".

وقفنا نحدق في أحدنا الآخر، ثم تحول اللقاء بيننا إلى الصمت ولم نفعل أي شيء، ثم وصلت جيني وكان ظهرها أكثر استقامة من أي وقت مضى. استطعت التسلل إلى حجرة الدراجة وغيرت ملابسي.

غادرت ومضيت بين البنايات إلى شارع إيكلاند الموازي لشارع لاي ثم استدرت يمينا ودخلت في منطقة لا أعرفها نسبيا. لقد جئت إلى هنا على دراجتي من قبل مع أصدقائي لكن ركوب الدراجة شيء والمشي شيء آخر، فأثناء المشي تكون قريبا من الأرض وأقل تنقلا من حيث الزمان والمكان، تكون أكثر تواجدا في الأماكن الغريبة عليك إن جاز التعبير. من حولي كانت حدائق ومنازل منفصلة في صفوف مستقيمة لا انحراف فيها، منازل تعج بالخصوصية وبمشاعر كثيرة مكبوتة. ثم بدأت تمطر، وتحول المطر إلى عاصفة، وبرد وبعدما اجتزت حديقة السوق وجدت نفسي أمام محطة التدفئة الخاصة بمنطقتنا، ملأني شعور غريب مرة أخرى بأنني أعود إلى البيت ولم يتغير شيء واحد داخلي.

Twitter: @ketab_n

لكنني لم أمش كثيرا في المنطقة حتى رأيت أربع عشرة سيارة ملونة أو ما شابه واقفة بجوار السور الفاصل بين الشارع ومنطقة جاملیهاجان، وكان حولها مكبرات صوت صاخبة وموسيقى من تلك التي يتم تشغيلها في المهرجانات. تذكرت أنني سمعت عن أن مهرجانا سيأتي إلى تونسن به عجلة حظ ويانصيب وأهرام من العلب الصفيح التي يمكنك أن تحاول إسقاطها من خلال شراء أكياس من البازلاء هذا بالإضافة إلى الرماية بالبنادق.

كانت الرماية هي ما يجذب اهتمامي، وقد استخدمت من قبل بندقية ضغط الهواء في أوسترهايم وكنت أجيد التصويب بها حتى أن خالي تور قال إنني موهوب بالفطرة. توقف المطر، فهذا هو شهر أكتوبر على أي حال، كانت الساعة تتراوح بين السابعة والثامنة مساء. أنار طريقي آخر شعاع للشمس استطاع أن يفلت من بين السحاب، كان في جيبي سبعين أورا.

أمام لوحة الرماية قام ريموند واكرناجل وأتباعه بتنظيم الطابور وإدارته، وبدأت مشاجرة عند لوحة الرماية بين مالكها قوي البنية عريض الكتفين، والذي كان يتحدث السويدية بطريقة اعتبرها الأشخاص الواقفون في الصف مسلية. كان واكرناجل غاضبا من الرجل لسبب ما، فقد سمعت كلمات مثل خداع وغجر وحثالة يتم تقاذفها بينهما.

قبل أن أتحرى ما يحدث لمحت تانجا من بين كل الناس، كانت جالسة على كرسي قابل للطي في مدخل بيت الرعب كما لو كانت تحرسه. سررت لأنها رأتني أولا وأنها انتظرت أن ألاحظها وأبتسم لها، وهو ما أعتقدت أنني فعلته حيث أنها أسدلت جفونها بمزيج من السعادة والارتياح.

سمح لي هذا بأن أستمر في حملقتي نحوها وهو ما يعد تقدما كبيرا. كانت ركبتاها مضمومتين للغاية تحت فستانها الأحمر المشجر الذي يشبه فستان أمي الذي تذهب به إلى متجر الأحذية، وكنت أنا دائما مغرما

Twitter: @ketab_n

بالركب المستديرة. بالإضافة لهذا فقد كان الجزء السفلي من ساقها نحيفا ومنحدرا مباشرة حتى كاحلها الرشيق الذي ينام في جورب شبكي وحذاء كلاسيكي من النوع الذي كانت تلبسه جدتي على كرسيها الهزاز. لا يمكنني أن أنسى شعرها، هذا الشلال الرائع من الحبر المتألق والذي فرقته فسال على جانبي وجهها الساحر، كانت تحاول على استحياء أن تختبئ. لم يحدث لي من قبل أن أجد الشخص الذي أريده منتظرا لي هكذا، حتى أنني شعرت أنها ستمكث هناك على الدوام من أجلي، كان شعرها كأنه شعري أنا، أي أنه قص وغسل ومشط من أجلي. شعرت فجأة بهواء رطب يدخل إلى أذني.

همس واكرناجل في أذني "إنه دورك يا فين، لكن في الواقع أعتقد أنك لا ينبغي أن تلعب، فهناك شيء غامض يحدث هنا".

واكرناجل رجل إن نصح بشيء فلابد من اتباع نصيحته، لكنني كنت قد أقدمت على الأمر وأصبح من اللازم أن أنتهي منه. وضعت خمسين أورا على طاولة الحساب فدفع الرجل الضخم كرة من الزنك باتجاهي تحتوي على خمسة أسهم بألوان مختلفة، بالإضافة إلى بندقية غير جيدة على الإطلاق، وزنتها في يدي ودرست تفاصيلها، الخدوش التي على ظهرها، والأجزاء البالية فيها. فتحتها وحشوتها وكنت على وشك إدخال السهم الأول في الماسورة، إلا أنني ارتجفت ووقع السهم من يدي، وما إن انحنيت كي ألتقطه وسط اندهاش الجميع شممت مرة أخرى الرائحة التي لا أخطئها أبدا لمزيج الزهور والبنزين.

- "الماسورة ملوية، صوب إلى اليمين قليلا".

قمت ووضعت السهم في الماسورة بدون أن أنظر حولي وحددت لي هدفا.

- "لا تسند البندقية على شيء" قالها السويدي.

Twitter: @ketab_n

نظرت إليه بنظرة متسائلة. "لا تسند!" كررها بحدة أكبر.

قال واكرناجل "لكنه بالكاد يستطيع أن يطول الطاولة".

نظر إلي الرجل الضخم باشمئزاز.

- "حسنا إذا".

لم أفهم ما الذي كانا يتحدثان عنه.

قال لي واكرناجل "اسند كوعيك على الطاولة ".

فعلت كما قال لي، ودعمت البندقية، أغمضت عيني الأخرى وصوبت لليمين قليلا وضربت الدائرة من الداخل، مما يعني تسع درجات، حيث جاءت الضربة على يسار مركز الدائرة. صوبت الضربة التالية إلى اليمين أكثر فاقتربت أكثر من مركز الدائرة. جاءت الثالثة في المنتصف تماما مما يعني عشر درجات، ثم جاءت الطلقتان الأخيرتان في المكان المراد لهما بالضبط مما أثار موجة من الابتهاج.

لم تستقر كل الضربات في مركز الدائرة لكنهم أخبروني أن خمسة وأربعين نقطة تكفي للفوز بجائزة وهي إما سروال طرازان أو كيس حلوى تويست.

قال واكرناجل: "خذ الحلوى".

لكن السروال كان عليه خطوط كتلك التي على جسم النمر، وبالتالي أخذته، في هذه اللحظة وقعت عيناي على تانجا، كانت على كرسيها بركبتيها اللتين لا يمكن مقاومتهما.

سألني واكرناجل "هل ستلعب مرة أخرى؟".

- "ليس لدي مال".

Twitter: @ketab_n

- "ها هو المال. لكن هذه المرة خذ الحلوى".

وُضعت خمسون أورا أخرى على طاولة الحساب، ودفع الرجل الضخم مجموعة أخرى من الأسهم ناحيتي بتنهيدة إذعان.

"لا تسند" قالها مرة أخرى. وكان يعنيها هذه المرة.

تدخل واكرناجل "لا تكن أحمق!".

قلت :"إن هذا لن يؤثر علي".

انسحب واكرناجل وحط الصمت على المحيطين. حشوت البندقية ووقفت على مسافة مناسبة وأرحت كوعي الأيسر على عظمة حوضي وسجلت خمسة وأربعين نقطة أخرى، فسرت موجة أخرى من التشجيع والابتهاج، واخترت هذه المرة كيس الحلوى الذي أمسكه واكرناجل ووزع محتوياته على المحيطين، وقد كان هناك عدد كبير منهم اليوم بشكل يبعث على الدهشة، أعتقد أن العدد كان كبيرا بسبب الجو.

"لقد هزم فين ذلك الأحمق، أليس كذلك؟ إليك خمسون أورا أخرى".

وُضعت خمسون أورا أخرى على طاولة الحساب فأحدثت صلصلة، كانت لامعة وناعمة. لابد أنها كانت في نروة حياتها المهنية كعملة معدنية. أحسست أن الأشياء تكبر بداخلي من خلال الحملقة الجريئة التي تأتيني من بين شعر تانجا المموج وهي جالسة بجوار بيت الرعب، ومن خلال هروبي المثير للضحك من المنزل، ومن خلال هذا الخريف الذي اتضح أنه ليس أفضل كثيرا من الربيع الماضي، ربما يرجع الفضل في هذا لكريستيان ولحفلة عيد الميلاد الرائعة التي تجري الآن في شقتنا وأنا لست بها.

لكنني لم أستطع أن أحول عيني عن الرف العلوي حيث يجلس عليه ستة دببة قماشية ضخمة على الأقل أربعة منها وردية اللون وواحد أزرق فاتح وواحد أصفر. كانت موضوعة في صف كي تمثل عامل الجذب الأساسي

Twitter: @ketab_n

للوحة الرماية، فوقها توجد لافتة مكتوب عليها "48-50 نقطة" مما يعني أنني لو استطعت أن أحرز ثلاث ضربات في المركز واثنين بجواره فإنني سأستطيع أن آخذ الدب القماشي الأزرق وأعطيه لليندا وأحل جميع مشكلاتي، حتى لو كان هذا يعني تجاهلي لأوامر واكرناجل.

كان هذا ثمنا استعددت لدفعه.

على أي حال، كان وجود تانجا يهدئ من أعصابي، تماما كما كان يحدث لي عندما أقرأ خطابي الذي كتبته لها، وما أن أحرزت الضربة الأولى في الدائرة الثالثة حتى شعرت بثقة أكبر. جاءت الضربتان التاليتان في موقع جيد أيضا. ثم زلت قدمي ولم تعد ساقي قادرة على حملي، أحسست أنني أحتاج إلى أن أرخي ذراعي، وضعت البندقية على الطاولة ولهثت وشعرت أنني أفقد الوعي. لاحظني واكرناجل باندهاش.

- "ماذا بك يا فين؟".

تمتمت :"لا أعرف".

صاح في الحشد المتجمهر "اخرسوا !فين يحاول التركيز!"

كان علي أن أجلس على ركبتي وأن أضع يدي على الأرض، ساعدني الجلوس في هذا الوضع المستحيل على استعادة قوتي. وقفت وحشوت البندقية ببطء وفي تعجب من الصمت المطبق الذي أحاط بي. رفعت البندقية وأحرزت عشرة درجات أخرى على الفور، لكنها هذه المرة لم تكن مصحوبة ببهجة وإنما بتنهيدة جماعية.

من أين يمكنني أن أحشد القوة اللازمة لآخر ضربة في المركز؟ من تانجا مرة أخرى، كنت أعرف وأنا أسحب الزناد أن الضربة ستصيب الهدف. وما إن حدث هذا أطلق السويدي اللعنات بصوت مرتفع على السهم الذي أصاب الهدف.

Twitter: @ketab_n

"خمسة أكياس من الحلوى" قالها واكرناجل مبتهجا، وبدأ مالك لوحة الرماية في عد الأكياس الخمسة بالفعل عندما تلقيت أنا إشارة من تانجا.

- "لا" قلتها في حزم. "أريد الدب القماشي الأزرق".

مر الأمر بسلام.

قال واكرناجل :"فعلا؟".

قلت بنفس الحزم "نعم. الدب القماشي الأزرق".

نظر واكرناجل حوله، لكنني شعرت بثقة في قراري، ولأنه كان اجتماعيا بشكل كبير فقد ابتسم ابتسامته المكتنزة وربت على كتفي.

"بالطبع ستحصل على الدب يا فين" ثم أضاف بنبرة أقل ارتفاعا في أذني "أيها اللعين الصغير" ومثلما يفعل الحكم في حلبة الملاكمة، رفع واكرناجل ذراعي الأيمن للأعلى.

أمسكت بالدب الذي كان في حجمي تقريبا وأرسلت نظرة إلى تانجا كي أحصل على إيماءة تقدير منها، لكن ما أفزعني أنها حولت عينيها عني ونظرت بعيدا.

ماذا؟

شققت طريقي بين الحشد وجريت وأنا أشعر فجأة أنني غبي. ما أن مررت بالبناية رقم 7 حتى وجدت نفسي مراقبا مرة أخرى من مجموعة من الفتيات اللاتي كن يتقافزن وينادين علي باسمي، شعرت أنني مجهد للغاية وكنت أشعر بهذا بكل ما في، جريت والدب القماشي العملاق على ظهري، وحش صناعي ولّد مع المشي كهرباء ساكنة وجعل كل شعري

Twitter: @ketab_n

ينتصب. صعدت السلالم ببطء وبشعور كبير بالإرهاق، رميت الدب الضخم وسروال طرازان في الردهة ودخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب.

نادتني ليندا "هل هذا أنت يا فين؟" قالتها وهي تحرك مقبض الباب. "افتح، هيا".

كان هذا سهل قولا لكن القيام به كان صعبا للغاية. ما الذي أرادت تانجا أن تقوله بتحويل عينيها عني؟

أعرف جيدا ما الذي عنته بهذا. وهذه هي المشكلة. لقد اخترت الاختيار الخطأ. لقد أعطيت لليندا الأولوية عليها هي وهذا خطأ لا يغتفر، خطأ طفولي ومثير للضحك، هل هناك من لديه إخوة أو أخوات اعتاد عليهم ويمكنه أن يقع في هذا؟ بالطبع لا. فالإخوة والأخوات موجودون كي تكرههم لا لكي تحمل لهم دبا قماشيا عملاقا، فهم يحرمونك من المزيد من المساحة في الغرفة أو المزيد من الطعام أو يقفون في طريقك أو تجدهم أكبر منك بكثير أو أصغر بكثير أو أكثر مهارة أو غباء. وكنت قد نويت أن أسلك الطريق العاطفي لا طريق الأفعال الحسنة، كانت تانجا رهن إشارتي، وجابهت أنا واكرناجل كي أحول الخمسين أورا التي أعطاها لي إلى أغبى دب قماشي على الأرض.

- "هيا يا فين، افتح الباب!".

قلت دون أن أرفع صوتي "لا" ولم يكن الرفض بهذه الطريقة غير فعال، لكن أين أمي؟

قالت ليندا بضيق "افتح. هل تخفي شيئا ما؟".

بدا في صوتها بعض الفضول. "الدب جميل بالمناسبة".

- "إنه دب لعين!".

Twitter: @ketab_n

- "فعلا؟".

- "إنه دب لعين !لقد سرقته!".

في النهاية أتى صوت أمي الذي كان مختلفا هذه المرة وخاليا من الهم:

- "لا تمزح يا فين! وإلا سيضطر كريستيان إلى كسر الباب".

استجمعت قوتي وسألت ليندا "ما الهدية التي أعطاها لكِ فريدي1؟" فأتت موجة أعلى من الضحك من خلف الباب، ثم صوت حركة، كرسي يتم تحريكه على الأرضية، الموقد يتم إشعال ناره، لم أكن لأخطيء هذه الأصوات، إبريق القهوة يوضع على الموقد، ثرثرة وسكرية وملاعق شاي، جذبتني أصوات الحياة بالخارج وأثارت فضولي فلم يكن أمامي سوى أن أدير المفتاح في القفل. فتحت ليندا الباب ودخلت وشكرتني على الدب.

- "أشكرك كثيراً".

كانت حفلة جيدة. حيث لم يرتكب فريدي1 حماقة للمرة الأولى في حياته مع الفتيات الصغيرات، كما أنه أكل جيدا. نجحت خدع كريستيان السحرية نجاحا منقطع النظير، وكذلك غناء مارلين وألعابها. بعد الحفلة كان كريسيتيان رجل الأسرة المسرور مشمر الأكمام، بدا وكأنه يعيش في بيبته وبين أسرته، لكنه لم يكن أفضل من الدب الأزرق في الملاحظة، إذ لم يلحظ أنني تسللت من الحفل من الأساس. لم تلحظ ليندا غيابي أيضا حتى عدت، ومالت أمي إلى التغاضي عنه، هذا ما أدركته ونحن نأكل على طاولة العشاء ما تبقى من طعام بالإضافة إلى الكعك والحلويات. تبادلنا تعليقات حميمة عن الضيوف، وهو أمر شاركت فيه كما لو أنني لم أفعل أي شيء أخرق على الإطلاق وكأنني قمت بواجبي كأخ أكبر.

قالت أمي "نعم، الآن بإمكانكما أن تخلدا للنوم" وربتت على خدودنا ونحن على الفراش، بدأت بخد ليندا ثم خدي، ثم خد ليندا ثم خدي... فبعد

Twitter: @ketab_n

هذا اليوم الرائع لم تستطع أمي أن تقرر من يكون آخر من تهتم به، هكذا هو الوضع في أسرة تحاول فيها الأم العدل بين أبنائها. كنت أعتقد أنني كبرت لكنني في الحقيقة مازلت طفلا. كنت كذلك ولا أزال، الفرق الوحيد الآن أن طفولتي أصبحت كابوسا.

Twitter: @ketab_n

23

لم تسر الأمور على ما يرام بالنسبة لليندا في الفصل الجديد، ربما يرجع هذا إلى أنها لم يعد في استطاعتها أن ترفع يدها وتقول أول شيء يخطر ببالها كي تحصد الكثير من المديح وكي تربت المعلمة على خدها. أعتقد أن السبب في هذا هو أسلوب في التربية لا أعرفه كثيرا، لكن مفاده في الأساس هو: لا تدلل ليندا فقد تم تدليلها بما فيه الكفاية.

لكنها لم تستمر على هذه الحالة كثيرا، ففي منتصف حصة الدين في أواخر شهر أكتوبر، دخل فلينتستون إلى فصلنا فجأة ووقف بجانب الآنسة هنريكسن، ثم أشار إلي بإصبعه الطويل أصفر اللون واستدار كإشارة لي بأن أتبعه إلى الممر ثم غادر.

في الخارج لم ينطق ببنت شفة، مشى بسرعة حتى أنني لم أستطع أن أجاري مشيته، عبر كل الأبواب وتخطى كل الأشخاص ثم نزل السلم حتى وصلنا إلى كانتين المدرسة حيث ليندا ومعلمها الأول صمويلسن، الذي تدخل في شيء يبدو متعلقا بعائلتنا.

صرخت وألقت نفسها حول عنقي "أريد ماما".

كانت هذه هي المرة الأولى التي أسمعها فيها تستخدم هذه الكلمة. لذا فقد عرفت على الفور ودون أي شك الشخص المقصود.

قالت فلينتستون "إنها تفعل هذا منذ ما يقرب من ساعة" ونظر إلي في شيء من التوبيخ، كما لو أنه يقول لي إنه الآن يرى نتيجة طلبي الأحمق له بأن ينقذها من فصل الفئات الخاصة. إلا أنني لم أفهم ما الذي يريده بالتحديد. أضاف بانزعاج: "أعتقد أن عليك أن تأخذها إلى أمك".

Twitter: @ketab_n

- "ماذا؟".

- "لقد سمعت ما قلته".

صحيح، لكن يوجد الكثير من الأطفال هنا جن جنونهم دون مقدمات وأرادوا أمهاتهم، ولم يتم إسكاتهم بأي وسيلة، فلماذا يتم هذا مع ليندا وحدها دون بقية الأطفال؟

أشار فلينتستون بإصبعه المصفر كي يشجعنا على المضي في طريقنا. عبرنا البوابة وسرنا في شارع لورين بدون شنطتينا، تعلقت ليندا بذراعي بيأس حتى أن الأمر بدأ يثير أعصابي، خاصة وأنها لم تقل ما الذي يزعجها هكذا أو ما الذي أوصلها إلى هذه الحالة.

صحت: "أخبريني فقط لماذا كل هذا؟".

وصلنا إلى نهاية الشارع حيث كان على ناصية الشارع صومعة ذرة بينما توقف الترام منتظرا القيام بالرحلة التالية خلال المدينة. وثبنا إلى السلم الخارجي للعربة الخلفية ووقفنا هناك. عندما مررنا بشارع تروندهايمز أصبح لدينا شيئا آخر نشغل عقولنا به، حيث كان الشارع مليئا بالسيارات والضوضاء. مررنا بحديقة تورشوفالدين وسينما سينسن التي شاهدت فيها فيلما ملونا ذات مرة، استحثني هذا لأن أحكي لليندا عن مهرجان به معالجون أفارقة، وبنادق ودببة قماشية في حجم شجرة عيد الميلاد، ضحكت ليندا، قاطعنا الكمساري وهو يدق بمشبك التذاكر الحديدي على جزء نحاسي في الباب.

كنت سأعطيه ستين أورا عندما ظهر كريستيان على الجانب الآخر من الباب الزجاجي، وكان مندهشا مثلي تماما ومرتبكا أيضا! صاح بشيء من خلال الزجاج، كرره حين لاحظ أنني لم أسمعه، ثم دخل إلى العربة وأغلق الباب خلفه وسألني بحزم عن سبب تواجدنا هنا.

Twitter: @ketab_n

- "سنذهب لأمي".

- "أثناء ساعات الدراسة؟".

نعم، كانت هذه ساعات الدراسة، لكن ما شأنه هو بنا؟

اختبأت ليندا خلفي، من وقت لآخر كانت تبدي وجهها الذي ظهرت عليه بالتدريج ابتسامة حذرة، حيث لم تكن تشك أن هذا هو الساكن لدينا، لكنه خارج السياق تماما خاصة وهو يرتدي هذه الملابس التي تجعله أشبه بالملك هاكون السابع كما عرفته من خلال الأطباق الموجودة لدى السيدة سيفرسن.

سألني: "ألا تريد نقودا؟".

أرجع ظهره إلى الخلف وكانت قبعته قد نزلت حتى وصلت إلى مؤخرة عنقه، حملق في السماء.

قال: "دعني أفكر".

- "امم؟".

- "أتساءل ما الذي علي أن أفعله يا فين! هل تفهم؟ أقصد فيما يتعلق بك وبأختك اللعينة".

قلت "معي نقود على أي حال" وأعطيته ستين أورا. "تذكرتان لطفلين".

رد سريعا "لا تكن أحمق" وفتح الباب وعاد إلى العربة الأخرى حيث بقية الركاب.

لم يكن حظنا في متجر الأحذية أوفر. فلم يكن مسموحا لنا بأن نتواجد هناك من الأساس وبالتالي كانت أمي تخفينا في الغرفة الخلفية المخصصة لقياس الملابس، وعندما سُمح لنا في بعض المرات أن نخرج منها كان علينا

Twitter: @ketab_n

أن نجلس في هدوء الفئران ونقرأ. لكننا هذه المرة بدون حقائبنا المدرسية. لم نصل إلى أي تفسير يجعل الأمور أفضل حيث لم تقل ليندا أي شيء عن سبب هذا كله، لكنها قد هدأت على الأقل. وضعت أمي بعض الأحنية لها في حجيرة صغيرة كي تقيسها، بينما استمتعت أنا برائحة متجر الأحنية التي كانت جزءا لا يتجزأ من حياة أسرتنا، ورحت أفكر فيما دار بعقل فلينتستون وجعله يرسلنا إلى هنا هكذا.

كان من العجيب أن أمي لم تضغط على ليندا كي تعرف سبب ما حدث على الرغم من أنها كانت كلما جاءت أو ذهبت تسأل عن هذا دون أن تحصل على إجابة.

في طريق العودة إلى المنزل حدث الشيء نفسه وبدأت أشعر مرة أخرى أن أمي لم تعد تحتمل، فقد أعطت ظهرها للموضوع ولم ترغب في أن ترى أو تسمع أي شيء. بعدما تناولنا الغداء وذهبت ليندا إلى غرفتها كي تقوم بواجبها المدرسي على ورقة من كراسة رسم، قالت أمي والدموع في عينيها أنها لم تعد تستطيع مواجهة المزيد من الصراخ والدموع.

قلت: "صحيح".

نظرت إلي بدهشة.

- "ما الذي تعنيه؟".

- "لا أعرف".

بدت وكأنها ستهاجمني لكنني لم أخف جلستُ بمشاعر باردة فحسب. تحدثت هي عن أوراق التبني التي لا يبدو أنها ستنتهي، كان الجميع يتفحصوننا من أعلانا إلى أسفلنا، المدرسة والأطباء، وكان على كل هيئة أو مؤسسة أن تعطي رأيها فيما إذا كنا قادرين على العناية بليندا أم لا.

- "هل سنتبناها؟".

Twitter: @ketab_n

- "نعم، ألا ترغب في هذا؟".

بالطبع أرغب فقد تبنيتها من اليوم الذي وصلت فيه، لكن ما الذي حل بأمي؟ كان يبدو أنها لن تتبناها على الإطلاق. أثناء الحديث في مسألة التبني هذه ذكرت أننا قابلنا كريستيان اليوم في الترام.

- "في الترام؟".

- "نعم، وكان يرتدي زي العمل. كنا على وشك دفع تذاكرنا عندما ظهر هو".

- "في الترام؟!".

كان هذا خارج حدود فهمي، من وجهة نظري فقد كان تواجد كريستيان في الترام غريبا، لكنني رأينه ولم يكن هذا سرابا. كررت هذا لأمي ثلاث مرات. هزت رأسها وبدا أنها لا تعرف هل تضحك أم تبكي لكنها استجمعت نفسها مرة أخرى.

قالت "في المرة القادمة تأكد من أن تحضر حقيبتك المدرسية معك".

- "ماذا تعنين بالمرة القادمة؟".

- "في المرة القادمة، هذا ما أعنيه فحسب. سيحدث هذا مرة أخرى، صدقني".

لم أفهم. قالت "انظر إلي يا فين" وجذبتني من كتفي وحملقت في روحي من الداخل "لو حدث أي شيء فعليكما أن تكونا طالبين نموذجيين مهما كانت الظروف، هل تفهمني؟ الآن اذهب إليها وعلمها بعض الحساب".

- "لم تأخذ أي حصص في الحساب حتى الآن...".

- "قلت اذهب وعلمها بعض الحساب".

Twitter: @ketab_n

المحزن أن كلام أمي كان صحيحا. حيث جاءني فلينتستون مرة أخرى في اليوم التالي، وأشار إلي بإصبعه المصفر كي أخرج من الفصل، وأتبعه عبر الرواق وأهبط خلفه السلم حيث ليندا تصرخ وتقول إنها تريد ماما. لكننا هذه المرة لم نركب الترام وإنما مشينا إلى المنزل على الأقدام ومعنا حقيبتينا وقمنا بعمل واجبنا المدرسي كما لو أنه الشيء الوحيد في الحياة الذي يمكننا فعله.

في اليوم التالي حدث الشيء نفسه للمرة الثالثة. وأصبحت المدرسة كلها على علم بهذا الموضوع حتى تانجا التي جاءت لي وقالت إنها تعتقد أن هناك من يضايق ليندا.

- "كيف عرفتِ؟".

هزت كتفيها وحاولت التملص من الإجابة. كان جمالها طاغيا وكانت لا تزال تذكر ما حدث عندما أخذتُ الدب وفضلت ليندا. "كيف عرفت هنا؟" كررتها بانزعاج واضح، لكنها ردت علي بابتسامة ورأيتها وهي تعود إلى مجموعة البنات اللاتي لن يقبلنها أبدا، هي تعرف أن أحدا لن يقبلها في أي مكان وقد رأت صورتها في ليندا... ربما لهذا تهتم لأمرها.

لم تخبرني ليندا اليوم بأي شيء فيما يتعلق بفعلها اليومي. مشينا إلى المنزل مرة أخرى وقمنا بعمل الواجب. استخدمت معها التهديد والترغيب والتوبيخ، حتى أنني قلت لها إنها إن لم تخبرني بما يحدث فإن أمي سوف تتقيأ في الحمام من الانزعاج وقد تتركنا تماما!

لم تجد معها أي حيلة. أمسكت القلم الرصاص وكتبت الحروف ورسمت بينما طرف لسانها يبرز من الجانب الأسير لفمها وخدها مائل باتجاه الورقة، كانت قد ركزت عقلها على ما تفعل بما لا يدع مجالا للشك أنها في رحلة إلى مملكة لا يوجد فيها مدرسة ابتدائية نرويجية ولا أخ غير شقيق حيران ولا أم

Twitter: @ketab_n

بديلة. لم تكن ليندا من هذا العالم، لقد أدركت هذا في أحد الأيام، فهي واحدة من سكان المريخ هبطت على الأرض كي تتحدث بلغات السماء كي تتحدث بالفرنسية للنرويجيين وبالروسية للأمريكان. كانت قدراً وجمالا ومصيبة. كانت تجمع شيئا من كل شيء، مرآة أمي وطفولتها تراها مرة أخرى. لابد أن للرب هدفا منها، أو خطة سرية، لكن ما هي هذه الخطة؟

سألتها: "ما هذا؟".

قالت: "زرافة" وأرسلت لي تلك الابتسامة التي تعني أنها تعرف أن ما رسمته لا يشبه الزرافة ولا خنفساء، لكن ما الذي يهم وماذا سنفعل بالزراف الذي يشبه الزراف؟ هل سنضعهم في حساباتنا البنكية مثلا؟

واتتني لحظة مناسبة.

أحضرت المفتاح من صندوق المجوهرات وفتحت درج منضدة التزيين التي كانت مغلقة لمفترة طويلة وأخذت حزمة من المظاريف البالية والتي كان لونها مثل لون الرمال، ثم أخرجت ألبوما و أخرجت الصور منه وفردتها على طاولة المطبخ.

قالت ليندا "هذه ليندا" وأشارت بسبابتها إلى صورة لي وأنا رضيع.

قلت "لا، هذا أنا".

لم تتفهم هذا فتشاجرنا حتى استسلمت أنا، ثم التفتُ إلى أمي والرجل الذي لابد وأنه كان أبانا. كانا في الصورة مع الخال أوسكار وجدتي والخال تور وبقية أفراد العائلة. بدوا على طبيعتهم للغاية. كانوا على الشاطئ، في الغابة، يجلسون خارج خيمة بيضاء قديمة، يحمل كل منهم كوب قهوة ليس له يد. في أحد الصور ظهرت أمي ورجل غريب وكانا واقفين عند تمثال حديقة فروجنر. في صورة أخرى كان نفس الرجل يقف على أرض تم حصادها للتو وبجانبه الخال بيارنا، كانا يحملان مذراة في يد واليد الأخرى

Twitter: @ketab_n

ملتفة حول كتف أحدهما الآخر كأنهما أخوان. لم يكن في أي من هذه الصور أي شيء غير طبيعي.

بعبارة أخرى، لا أرى فيها أي شيء على الإطلاق. لكنني لاحظت أن أمي كانت في جمال مارلين وربما كانت أجمل منها بينما لا يشبهنا أبونا الأحمق كثيرا، لا يشبهني ولا يشبه ليندا. باختصار لم يكن في الصور أي شيء مثير للاهتمام.

كنت اعتقد أننا ابتلينا بمرض ما وأن سبب هذا المرض لابد سينكشف من خلال هذه الصور، مثل أشعة إكس، لكن هذا الاعتقاد يبدو الآن خاطئا للغاية. لكن هل هذا يعني أننا سليمي العقل والجسد؟

جلست أمام صورة ستبقى داخلي ما تبقى من عمري وسيبقى لها معنى في كل مراحل حياتي، إنها صورة لمنطقة تونسن أثناء بنائها، منطقة كاملة تحت الإنشاء، حيث الجرافة التي يقودها أبونا تقف في وسط بحر من الوحل وتضع فاصلا خرسانيا في بناية 4، كان هذا أحد أيام الصيف الحارة وكان هو يقوم بعمل تطوعي لصالح المجتمع، مثله مثل مجموعات الرجال الظاهرة في الصورة، رجال يدفعون عربات يدوية ويشغلون خلاطات الخرسانة ويلبسون قمصانا مرسومًا بها مربعات متلاحمة وبناطيل بحمالات، أكمام قمصانهم مشمرة ويرتدون قبعات قماشية، وقد عملوا بجد كي نعيش نحن هنا. إنها صورة تدعو للفخر ولم تكن سرا يثير أي نوع من الخجل أو الارتباك. لم تكن ملامح أبينا واضحة فيها، بدا رجلا مثل أي رجل يقوم بتشغيل جرافة تبدو كطائر بلشون حديدي أو كمشنقة تحمل قطعا خرسانية مرقمة إلى أماكنها المحددة حتى يستطيع الناس خلال العقود القادمة أن يعيشوا حياتهم فيها ويتناولون العشاء وينامون ويربون أطفالهم الذين سيكبرون وسيحاولون مجابهة ألغاز الحياة وتلك الأسرار التي يكتمونها وتهدد بأن تنفجر داخلهم.

Twitter: @ketab_n

أشعرتني هذه الصورة التي كانت دائما في درج مغلق بقفل ومفتاح بالمهابة، جلست ووضعتها على الطاولة وأسندتها على ملاحة المائدة. نظرت من خلال ستارتنا الجديدة الملونة بألوان الباستيل والتي تعرف أمي فقط كيف تعمل، لها حبال متدلية منها نشبّكُها أنا وليندا ونربط فيها عقدا، نظرت إلى منزل فريدي1 ثم عدت مرة أخرى للنظر في الصورة، صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود بها رجل يصعب التعرف عليه ويبدو منغمسا في العمل.

هذه صورتي المفضلة.

وجدت ليندا أيضا صورة لها، صورة لأمي وهي جالسة على مقدمة سيارة فورد سوداء، أدركت أنا على الفور أنها موديل 1936. كانت تلبس صندلا وفستانا أبيض، وفي شعرها زهرة أقحوان، بدا أنها تبتسم استجابة لتعليق ساخر من شخص مثلي أو مثل ليندا، شخص تحبه على أي حال. كانت هذه الصورة مفعمة بالحياة بشكل أكبر من أي صورة أخرى، لقطة للحظة خالية من الهموم في حياة أمي. هل هذا ما ترفض أن تراه أو تجعلنا نراه؟ لحظة كانت فيها مبتسمة وسعيدة؟

هل تفعل هذا لأن هذه اللحظة تنتمي للماضي؟

وجدت أيضا صورا لنفسي في مشاهد لا تنتمي الآن سوى للماضي، كنت وحيدا فيها كلها تقريبا لأن أمي كانت تمسك بالكاميرا، حيث لم يكن هناك سوى أنا وهي. وجدت أيضا تلك الصور التي التقطتها لنا مارلين في الصيف الماضي، ظهرت فيها أنا وليندا وبوريس. أعتقد أننا لا توجد لدينا مشكلة في النظر إليها، أليس كذلك؟ هذا هو السبب الذي التقطناها من أجله في الأساس. إننا نلتقط الصور ونحتفظ بها ثم نجلس في هدوء وفي لحظة تتمتع بالخصوصية ونترك ذكرياتنا تحدثنا بنبرة حميمية.

Twitter: @ketab_n

بدونا طبيعين مثل مجموعات المتطوعين التي ظهرت في كومة الصور الموجودة الآن على الطاولة.

قالت ليندا "أريد هذه الصورة" وأشارت إلى صورة أمي، ثم ذهبت إلى البوفيه وفتحت درجا به أشياء لا تنتمي لبعضها البعض ولا لأي شيء آخر، وأتت ببكرة من الأشرطة ومقص وذهبت إلى غرفتها بينما جمعت أنا كل الصور وتبعتها.

استلقت على ظهرها واضعة ذراعها تحت رأسها بينما حدقت عيناها في صورة أمي. أعدت الأظرف والألبوم إلى الدرج ووضعت المفتاح في صندوق المجوهرات وجلست على الكرسي الذي نبسط عليه ملابسنا، ونظرت في الصورة. من اللطيف والغريب أيضا أن نجلس هكذا لنرى كيف تغيرت أمي قليلا منذ ذلك الحين. أتساءل ما هو الشيء الخاص أو المهم في هذه الصورة كي تخفيها. تقطع تفكيري بدخولها إلى المنزل.

أستطيع أن أرى من عينيها المرهقتين أنها قد تلقت مكالمة أخرى في العمل اليوم وأنها تستعد للانخراط في حديث لا طائل منه مع ليندا. لكنها لم تفعل هذا حين لاحظت الصورة، توقفت وفكرت في رد الفعل المناسب ثم قالت:

- "لقد أخرجتَ الصور إذا!".

ذهبتْ إلى الصالة كي تعلق معطفها ثم عادت وجلست إلى جانب ليندا. نظرنا إلى الصورة معا. أمي وهي تجلس على مقدمة سيارة، وعلى الرغم من وجود جدار فاصل بيننا إلا أن رد فعل أمي حين نظرت إلى الصورة كان مشابها لرد فعلي، أعتقد أننا جميعا نفكر في انسجام وبصمت، يا إلهي كم من الرائع أن يكون المرء على طبيعته!

Twitter: @ketab_n

24

لحسن الحظ كان اليوم التالي عطلة نهاية الأسبوع. استيقظت أنا وليندا قبل أمي وسلقنا بعض البيض وجهزنا مائدة الإفطار. تناولنا جميعا الطعام وارتدينا ملابسنا وأخذنا الأتوبيس إلى مطار فورنيبو حيث صعدنا وهبطنا بالمصعد ستة وعشرين مرة وأدخلنا خمسين أورا في ماكينة كي ندخل إلى مساحة فوق سطح المطار يمكننا من خلالها أن نتابع الطائرات، تلك الحشرات الحديدية المغادرة إلى أنكوراج ورومانيا وبها أشخاص جالسون، أشخاص عاديون مثلنا لا يشعرون بأي خوف كما قالت أمي. كانوا قد وضعوا قبعاتهم وقفازاتهم في جيوب في ظهر الكراسي التي أمامهم، وعلى الأرضية المكسوة بالسجاد مشت أحذية عادية وأحذية عالية الساق ذات أربطة، وفتاة في عمر ليندا تحمل ببغاء في قفص ذهبي.

بعد إقلاع ثلاث أو أربع طائرات أدركت أنه بإمكاني وسط هذه الضوضاء الشديدة أن أصرخ كما أحب دون أن يسمعني أحد. ثم بدأت ليندا تصرخ أيضا. لم نستطع أن نسمع أي شيء حولنا. وقفنا هناك نصرخ بكل ما أوتينا من قوة ومع هذا لم نسمع أي صوت لنا.

ثم بدأت أمي تصيح أيضاً، كانت مترددة في البداية كأنما تحتاج إلى تدريب للقيام بهذا، لكنها تدريجيا تحسنت، ولم نستطع أن نسمعها أيضا، صرخنا بأعلى ما لدينا من صوت وضحكنا حتى شعرنا بألم في أجنابنا. ثم ذهبنا إلى المطعم وأكلنا حلوى الوفل وهمسنا إلى أحدنا الآخر لكننا لم نستطع سماع أي منا أيضا، كان هذا يوما من هذه الأيام التي تستمر ذكراها إلى الأبد.

Twitter: @ketab_n

في الأتوبيس ونحن عائدون إلى المنزل جلسنا في المؤخرة، ونامت ليندا ورأسها على حجر أمي وسألتني أمي إن كنت قد لاحظت أي شخص يضايق ليندا في الملعب. قلت لا وأوضحت أنها كانت تحت عيني في فترات الراحة والفسح القليلة التي أخذناها في الأسبوع الماضي.

- "هل ضايقها أحد في المنزل أو في الشارع؟".

لم أر أيا من هذا أيضاً. لكن...

- "لكن ماذا؟... لأنها تناديك بكلمة ماما؟".

توقفت أمي عن الكلام لدقيقة ثم حدقت في ميدان ويسلز الذي ذهبنا إليه مرة قبل هذا ثم سألتني:

- "وهل تعلمت العوم بالفعل؟".

- "نعم".

- "بشكل صحيح؟".

- "لقد عامت في طول الخليج وعرضه".

أومأت أمي وتمتمت بأن مارلين أخبرتها بالشيء نفسه، ثم بدأ الأتوبيس رحلته وكان فارغا، كانت الساعة الثالثة من عصر يوم الأحد في نهاية شهر أكتوبر. خرج صوت كالهسيس ثم زأر الأتوبيس وتوقف وفتح أبوابه فلم ينزل منه أحد ولم يصعد إليه أحد، ثم استمر في طريقه كما لو أن شيئا لم يحدث، وبدا لي أن هذا اليوم سيستمر للأبد.

همست أمي: "هل أخبرت أحدا أنها تخاف من مشاهدة التلفزيون؟".

- "لا" أجبتها وأوضحت أنها لم تعد تخاف من التلفزيون الآن.

- "هل أخبرت أحدا أنها تبلل سريرها في الليل؟".

Twitter: @ketab_n

- "لا، وهي لم تعد تفعل هذا الآن أيضاً".

- "لكن هل أخبرت أحدا حين كانت تبلل سريرها؟".

- "لا...".

- "هل أنت متأكد من أنك تخبرني بكل شيء يا فين؟".

- "حسنا، لقد قالت آن بيريت ذات مرة أن غرفتنا تفوح برائحة البول".

- "ماذا! متى قالت هذا؟".

- "منذ فترة طويلة...".

فكرت أمي في هذا قليلا، أعتقد أنها كانت تعد وتحسب الشهور الستة السابقة والتي توقفت فيها عن وضع غطاء بلاستيكي على مرتبة ليندا وربما فكرت أيضا في أنها منذ أربعة أشهر اشترت لليندا مرتبة جديدة وهي بلا رائحة بكل تأكيد.

سألتني المزيد من الأسئلة عما أخبرت أو لم أخبر به الآخرين حتى تبين لي أن هذا الحديث كان عني أنا، وأن أمي تحاول أن تنحي جانبا المخاطر التي قد تحدث لنا، وأنني بتهوري قد أكون أحد هذه المخاطر، لو أنها سألتني هذه الأسئلة منذ عدة شهور مضت لاستشطت غضبا لكن هذا الآن يقلقني فقط، فأنا أشعر كما لو كنت تحت المجهر، تحت المراقبة.

لاحظت أن ليندا فتحت عينيها وتحدثت إلى أمي.

بدأت أمي تباعد بين خصلات شعر ليندا وتمسده بينما تحدق في واجهات العمارات الحزينة في حي روزنهوف وسينسن، أمطرت السماء وبدأ المطر يزيد ويزيد كما لو أننا نمر تحت شلال، سألت ليندا:

Twitter: @ketab_n

- "ما معنى كلمة يموت؟".

- "ماذا؟".

كررت سؤالها "ما معنى كلمة يموت؟" وتبادلت أنا وأمي النظرات.

- "لماذا تسألين؟".

لم تكن هذه هي الطريقة المناسبة للحديث مع ليندا.

سألتها دون أن يبدو على وجهي أي تعبيرات بينما نظرت من بين الستائر الرمادية "من قال هذا؟".

قالت ليندا كما لو كانت تتحدث إلى نفسها "دونداس".

- "دونداس؟".

- "هذا اسمه المستعار، اسمه الحقيقي آد أونداس، وهو ولد من فصلها، واسمه يعني الغرق والفشل" قلتها وأنا أشعر بغضب مفاجيء أعلم أنني لن أتخلص منه بسهولة. ربما لا يجب أن يستمر هذا اليوم إلى الأبد على الرغم من كل شيء.

- "ماذا قال لك غير هذا؟".

كان علي هنا أن أقر بحقيقة غير قابلة للدحض.

قلت: "دونداس هذا لعين. إن لديه الكثير من الأفكار الشريرة الحقودة السامة والمخيفة حتى أنه حين يتنفس يخرج حملا منها وينبغي على من يقف أمامه أن يحتمي خلف ساتر ما...".

- "هذا يكفي يا فين".

لكن ليندا ضحكت بينما تكلفت أمي بالابتسام وحولت بصرها عني كي لا تشجعني على قول المزيد لكنني استمريت في الحديث عن دونداس

Twitter: @ketab_n

منزلا عليه كل اللعنات التي أعرفها، ضحكنا وصحنا في وجه بعضنا البعض ثم اختلفنا حول من سيدق الجرس للأتوبيس حتى يتوقف وعدنا إلى طبيعتنا تماما، قالت أمي:

- "هل قالت بالفعل إن غرفة نومنا تفوح برائحة البول؟".

ما أن انشغلت أمي بإعداد العشاء حتى لملمت غيظي وصرة البلي الحديدي التي معي، وهي أغلى عملة لدي وذهبت إلى فريدي1 وعرضت عليه الأمر، أعتقد أنه كان سيأتي معي على أي حال وبدون أن أعرض عليه بليتين أخريين كي نلقن دونداس درسا. على أي حال، فريدي1 دائما ما يكون المستفيد.

مشينا إلى البناية رقم 7 وضغطنا جرس دونداس الذي قلما يقرعه أحد، شعرت أمه بحاجة إلى أن تتأملنا أولا بريبة شديدة حين سألناها إن كان بإمكان دونداس أن يخرج لنا.

- "هذا ليس اسمه".

لكن دونداس لا يرتاب في شيء وما أن سمع صوتنا حتى ارتدى سترته سريعا وطار نازلا درجات السلم، تبعناه، وعندما واجهناه بما حدث لليندا، لم يستوعب هدفنا من السؤال واعتبرها دعوة له لقول المزيد:

- "إنه ستموت! إنها ستموت!...".

هز جسده ومثّل أنه يموت بأن وقع على الأرض، مما سهل مهمتنا، ارتمينا عليه كل بطريقته، ضربناه بركبنا وصفعناه وسددنا له الكثير من اللكمات، ارتجلنا الأداء في البداية بطريقة غير متناسقة، ولم يكن لدونداس أي علم بسبب ما يحدث له، ثم بالتدريج أصبح أداؤنا متسقا حتى سوينا به الأرض وبدأ يهذي وهو شبه فاقد للوعي. بدأ الغضب

Twitter: @ketab_n

بداخلي يخفت حين شعرت بأجسادنا وهي على حافة هلاك لا رجوع منه. هذه اللحظة المتفجرة التي ينبغي أن يتدخل عندها أحدهم قبل أن يحدث شيء أكبر. لكنني مازلت أرى ليندا وهي تصيح وإصبع فلينتستون المصفر، أرى سريرها ودب قماشي أبله، وكراسة الرسم المرسوم فيها حيوانات من كوكب فضائي، دخلت في دائرة من التفكير لم أستطع التحكم فيها ولم يعد كسرها أمرا ممكنا إلا لو أنني عزمت على هذا. انتبهت على صوت فرقعة من خلفي، ارتجفت وصرخت حين سمعت شيء يطقطق، حاولت أن أوقفه لكن فريدي1 نظر إلي من خلال وحشية اكتشفها اليوم بداخله وصاح:

- "إنه لم ينزف بعد!".

سدد قبضته إلى أنف دونداس التي سال المخاط منها مما جعلها تصدر صوت طقطقة مرة أخرى. ضربه عليها ثانية. لم يكن لصياحي أي أثر عليه. كان الصمت جدارا، يفصل بين المنازل. اضطررت إلى سحب فريدي1 إلى الخلف وأخذته وتقلبت به في الطين، بذلت مجهودا حتى جثمت على ظهره، إذ لم يكن لدى فريدي1 بكل قوته هذه أي فكرة عن ضبط النفس، قام بي مترنحا وأنا مازلت على ظهره ودار وهو يصرخ:

- "دعني أيها اللعين، سأقتله!".

لكنني لم أتركه. اضطر فريدي1 إلى أن يجثو على ركبتيه وهو يلهث، بينما أمسكت أنا حياته بين يدي، أدرك هذا جيدا لكنه ربما أدرك شيئا آخر حين رأى دونداس وهو مستلق على ظهره بلا حركة، لقد أصبح دونداس شيئا لا يمكن التعرف عليه، أنة ضعيفة تتردد بين مجموعة من العمارات. فككت قبضتي من حول رقبة فريدي1 ومسحت بعيني العمارات المهجورة وتلك المسكونة، امتلأت أذني وجسدي ودمي بصوت بوق يزعق ثم عاد إلي الغضب مرة أخرى، وعاد صوت ليندا وهو يتردد في الأتوبيس الفارغ.

Twitter: @ketab_n

نظرت إلى عيني دونداس المنتفختين والممتلئتين بالرعب والفزع، لو أنه في هذه اللحظة أشعرني بذرة من مقاومة لكنت أجهزت عليه.

لذا فأنا لدي نفس نزعة فريدي1!

غادرت المكان بهذا العبء الجديد الثقيل. غادر فريدي1 أيضا بخطوات غير ثابتة وغريبة، كانت أرجلنا كأنها من المطاط وقد تبادلنا بضع نظرات كما لو أننا نتأكد من أننا بالفعل نغادر أرض المعركة في ذات الوقت، نظرنا خلفنا قبل أن نصعد سلم عمارتينا فرأينا دونداس وهو لا يزال على الأرض ويقوم بعمل محاولات للقيام على ساقيه... دونداس الذي لم يكن له صديق أبدا، والذي سيكون له صديق عما قريب.

Twitter: @ketab_n

25

كنت أعتقد أنني أعرف جميع مراحل وألوان العقاب عن ظهر قلب، وأنني أعرف الشعور بالذنب والإحساس بالجحيم. لم تسألني أمي عندما دخلت من الباب على الرغم من أنها لاحظت وجهي. لم ترغب أن تعرف ولم أرغب أنا في قول أي شيء. مضغت طعام العشاء فقط وكأنني أمضغه بجسد آخر غير جسدي، كنت سارحا بعيدا لأنها لم ترغب في أن تعرف ولأنني لم أعد أفهمها.

ذهبت إلى الفراش قبل الآخرين، وشاهدت ليندا وهي تتسلق السلم ثم تنظر إلي من حافة سريرها.

سألتها "هل تخافين من الذهاب إلى المدرسة غدا؟".

قالت "لا" ثم جاءت نحوي وأرادت أن تصارعني، انتهى الأمر بها وهي تجلس فوقي، بنبرة جادة سألتها:

- "هل أنت خائفة؟".

- "لا".

قلت: "لقد مات دونداس".

"فعلا" ضحكتْ كما لو أن هذا الموضوع قد قيل لها من قبل في الأتوبيس ونحن آتين من المطار، ثم أخبرتني عن لعبة بالأصابع تعلمتها من جيني.

مر منتصف يوم الاثنين قبل أن يتم استدعاؤنا من فصولنا كي نقف أمام فلينتستون، حيث التوبيخ والمهابة يطيران في الهواء الثقيل المليء بضباب

Twitter: @ketab_n

من كثرة السجائر المحترقة والأدخنة المتصاعدة من المدفئة الموضوعة في مكان مرتفع للغاية. لكن لم يتم توبيخنا على الإطلاق، ربما لأننا لم نكن خائفين ومتجمدين على الرغم من جدية الموقف هذه المرة.

تم إخراجنا من الغرفة وعدنا إلى فصولنا بدون أن تقال لنا كلمة واحدة. جلسنا على مقاعدنا منتظرين بعقول فارغة لا تفكر في شيء. ثم تم استدعائي مرة أخرى إلى مكتب المدير، استدعيت وحدي هذه المرة، حيث كانت أمي في المكتب أيضا، وكانت تجلس على كرسي مرتدية معطفا لم أرها به من قبل، بدا غاليا بقدر ما أعرف، وكانت ترتدي قبعة على رأسها بينما تستقر على حجرها حقيبة صغيرة لم أرها من قبل أيضا. ركبتاها كانتا مضمومتين وظهرها منتصب. كانت هذه أمي بصفتها الرسمية كبائعة في متجر الأحذية يمكنها أن تحسب بدقة متناهية إيراد اليوم في المحل. لم تنظر إلي. لكنني مازلت ابنها الذي تنحاز إليه، أدركت هذا على الفور حين لاحظت أنها والمدير لا يشكلان جبهة موحدة.

قال فلينتستون بصرامة مشيرا إلى دونداس "لقد كسرت أضلع كثيرة في جسد هذا الولد. كما أن لديه إصابات في ذراعه وكدمات في كل أنحاء جسمه وسنتان...".

لم تنظر أمي ناحيتي إلى الآن، انتظرت حتى انتهى فلينتسون من كلامه، ثم قالت:

- "لن يحدث هذا مرة أخرى. أعدك بهذا".

"فعلا؟" قالها بنوع من الارتياب.

أكدت قائلة "نعم، الآن من الأفضل أن نعرف لماذا لم يعرف أحد أن هناك من يضايق ليندا...".

- "لا يوجد وجه للمقارنة".

Twitter: @ketab_n

- "لقد أجبرها يوما بعد يوم على مغادرة المدرسة، بينما لم تفعل أنت شيئا. وبينما أعادها مدرسوك إلى المنزل...".

- "يال السماء!".

- "هل فعلت أي شيء على الإطلاق؟".

- "ما الذي تلمحين إليه؟".

خيم صمت طويل. سكت فلينتستون سكوت السلطة والعدالة. نظرت إليها ولاحظت أن طاقتها قد نفدت، استدرت وصحت ناحية المكتب:

- "كنت ستعرف لو أنها أخبرتك!".

- "ماذا؟".

- "إنها لم ترغب أن تخبرك فتؤذيه".

أطفأ فلينتستون سيجارته واتكأ للخلف.

- "حسنا أيها الشاب الصغير، وما الذي يفترض أن يعنيه هذا؟".

عادت أمي للحوار:

- "إنه يعني أنها لو قالت أي شيء لكان من الممكن أن...".

تركت الجملة معلقة في الهواء وبدا عليها أنها انشغلت بخيالات الرعب التي لابد أن ليندا مرت بها، لاحظت أن انشغالها كان له أثره على فلينتستون. هز رأسه أبيض الشعر وانتهت أمي إلى استنتاج لا جدال فيه: "إن هذه المسائل تقع مسئوليتها على المدرسة".

ثم احتاجت بعد هذا إلى المزيد من الراحة. وهذه المرة لم أستطع أن أقول أي شيء، لكنني وقفت منتصبا حتى لا ينتقد فلينتستون وضعية جسمي. غير من أسلوبه في الحديث فقال:

Twitter: @ketab_n

- "هل الأوضاع هنا سيئة للغاية؟" قالها في اتجاهي وبدا مستعدا للدفاع عن المدرسة.

- "لا" قلتها بدون تردد. "أعني، نعم، الأوضاع سيئة".

كانت هذه أكثر الإجابات التي قلتها صدقا. أرادت أمي أن تنهي هذا كله:

- "ما طول فترة الفصل التي سيتعرض لها؟".

لجأ فلينتستون إلى إشعال سيجارة أخرى وأنهى الجلسة بعبارة فاترة:

- "سوف نُعلمك".

نهضت أمي.

- "حسنا. هل هناك أي شيء آخر؟".

لم يكن هناك شيء آخر.

مشينا في الرواق الذي لم يكن فيه أحد، كنت أعرف كم كلفها هذا الأداء القوي أمام المدير، اتكأت على أقرب جدار وأسندت ذراعها على أقرب نافذة، حيث كان جسدها متوترا ومحنيا، لم أجرؤ على النطق ببنت شفة، وقفت فقط أرقبها كي أمسكها بسرعة إن وقعت على الأرض.

على الرغم من هذا فقد كان لدي شعور أن ما يحدث لم يعد متعلقا بي أنا، وأنه لم يكن متعلقا بي من البداية، إنه متعلق بها هي وفلينتستون، قضية تخصهما في الأساس.

قالت: "أشكرك" ومشت ناحية باب خروج المدرسين وهي تطرق بكعبا حذائها على الأرض وتتركني خلفها في الرواق وحيدا.

Twitter: @ketab_n

لكن هل يتساوى هذا مع الوقوف على رصيف الميناء في يوم من أيام الصيف بينما أرقبها وقاربها يختفي على مر البصر؟ لا، إن الأمر مختلف تماما، فتركها لي اليوم لا يؤلمني لأنني أراها من ظهرها وهي تدلف من الباب الزجاجي للمدرسة دون أن يبدو عليها خوف أو حزن، كما أنها قد لا يكون لديها خططا لهجرنا اليوم، على العكس فقد بدت مرتاحة البال وهي تتهادى في شارع لورين حيث اختفت عن البصر خلف شجيرة لا ورق لها.

وهي ترتدي معطفا أخضر؟!

انخرطت في أحاسيس مختلطة بين الشعور بالذنب ورجاء تنفيذ العقاب، والشعور بالألم والحزن: أعتقد أن هذه المرحلة تسمى التطهير. وقفت في مكاني حتى شعرت من خلال الأصوات الهائمة في المبنى بأن الجرس سيدق سريعا، عرفت هذا من الحفيف المكتوم في خرسانة المبنى، ذلك الكمون وتلك الضوضاء الموجودة قبل أن توجد والتي يعرفها كل طفل في المدرسة مثلما يعرف صوت دقات قلبه.

عدت إلى الفصل، طرقت الباب ثم دخلت بدون أن أنتظر الآنسة هنريكسن كي تقول "تفضل بالدخول" ولاحظت النظرة المتسائلة في عيني فريدي1 ورددت عليه بإيماءة تأكيد، جلست على مقعدي ونظرت – كما لو أنني قد نفذت أمرا طلب مني – للأمام ناحية الآنسة هنريكسن صاحبة الصوت العذب والتي كانت تفكر إن كان عليها أن تحتوي هذا الموقف أيضا وأن تنتهز هذه الفرصة لتشرح لنا شيئا عن الحرب العالمية الثانية، مرت لحظة قبل أن ينقذنا من هذا صوت الجرس.

Twitter: @ketab_n

26

سمعنا أن دونداس قد أُخذ إلى قسم الطواريء بأحد المستشفيات وأنه مشوه ومقعد وأنه قد توفي، وكان هذا يعني الذهاب للشرطة ثم إلى السجن. لكنه عاد إلى المدرسة يوم الخميس بوجه متورم وعينين محتقنتين بالدماء وذراع معلق برباط حول رقبته، أصبح بطيء الحركة على عكس ما كان في السابق وقد مكنه هذا من الوقوف بين الحين والآخر بين مجموعات الطلبة للإجابة على أسئلتهم.

كانت هناك الكثير من الأقاويل حول حالته الصحية الصعبة وموته المفاجيء. لاحظت أنه كان يمسك في يده شيئا يلفه ويدخله ثم يخرجه في ضمادة ذراعه، شعرت بحركاته تلقائيا وبدا هو كما لو أنه يدرب يده أو أن البلية الحديدية في يده قد سيطرت عليه.

ذهبت إليه وسألته:

- "من أين حصلت على هذه؟".

- "فريدي1" قالها دون تردد.

نظرت إلى قبضته الساكنة الممسكة بالبلية والمتباهية بها. كان دونداس أيضا شخصين في شخص واحد، شخص مسكين يمكن أن تتعاطف معه وأبله مزعج يصيح ويصرخ ويخرج من أنفه تيارا متدفقا من المخاط دائم الخضرة، وشخص تريد فقط أن تدفعه إلى البحر. كنت أعرف أن فريدي1 يندم على أفعاله. إنه ولد طيب. أنا أيضا أندم على أفعالي وأتأملها لكنني جديد على هذه اللعبة وغير قادر على التكفير عن جريمتي أو مغفرة ما فعله دونداس. لهذا فقد أثنيت رأسي وأومأت واستدرت ثم غادرت.

Twitter: @ketab_n

في هذا اليوم وصلت الخطابات الخاصة بي وبفريدي1 بشكل رسمي وتم تسليمها لنا في الفصل. كان علينا أن نأخذ حقائبنا ونغادر المدرسة ولا نظهر مرة أخرى قبل يوم الإثنين: وهي عقوبة خفيفة، يقول النص المكتوب أنها كذلك لأن "الحادثة حدثت خارج حدود المدرسة".

مشينا عائدين إلى منزلينا، شعرت أنا بالراحة بينما كان لدى فريدي1 مخاوفه.

- "لن أفلت من العقاب".

- "هل والدك بالمنزل؟".

- "لا، أمي بالمنزل، ولديها ما يكفي من المشكلات".

- "ألم تخبرها؟".

- "لا...".

لم يكن لدى أسرته هاتفا أيضا وقد تخلص هو من الخطاب الذي تسلمناه يوم الإثنين وبالتالي لم تعلم أم فريدي1 وأخواته اللاتي كن يذهبن إلى مدرسة فرامهالد بما حدث.

لم يخرج فريدي1 في هذه الليلة. جلس على النافذة وأشار لي بإشارات ضوئية. لم أخرج أنا أيضا لأنني لم أكن متأكدا من رد فعل أمي إذا ما هممت بالخروج.

في منزلنا لم يتم إعطاء أي أهمية لموضوع دونداس منذ يوم الاثنين فصاعدا، على الرغم من أن ما حدث أثر كثيرا على جلستنا حول مائدة المطبخ ومثّل مرحلة جديدة في العلاقة بيني وبين أمي، بالإضافة إلى علاقتي بالساكن.

Twitter: @ketab_n

تناسى كريستيان هذا الموضوع وتجنب الحديث عنه فكان من النادر للغاية أن تسمعه وهو يلمح عنه كما لو أننا تحولنا إلى حلفاء ومتآمرين. تحدثت معه عن كيفية تحويل درجات الحرارة من فهرنهايت إلى سيليزية بينما كنت أفكر في العملة التي وصفها لي في أحد الأيام وفي تاريخها والتمزق والبلى، الآن أصبحت أعرف معنى عبارة "لا يُغتفر"، فهناك أخطاء ليس لها ما يكفرها أو يعوض عنها، فتصبح جريمة لا تغتفر حيث تكمن بداخلك وتبقى هناك مثل ندبة لا تزول.

أما أمي فقد كان لها أسلوب مختلف.

قالت عندما عدت إلى المنزل في عصر يوم الاثنين: "لقد انتهينا من هذه المسألة. ما الحشو الذي تريده في الساندوتش؟"

- "من أين حصلتِ علي هذا المعطف؟".

- "ماذا؟".

- "المعطف الذي كنت ترتدينه اليوم".

- "كيف تجرؤ؟".

وصل الحديث بيننا هنا إلى نهاية مسدودة.

- "أريد شريحة من الخبز عليها لحم مملح وأخرى عليها سجق وثالثة عليها عسل".

- "ليس هذا ما تطلبه في العادة يا فين!".

- "إذا هل لي أن أطلب...؟".

- "هذا أفضل".

- "هل استعرته؟".

Twitter: @ketab_n

- "استعرت ماذا؟"؟

- "المعطف".

- "هل تسألني مرة أخرى؟".

أفكر:

- "كان معطفا جميلا".

- "فين!".

- "...".

رفعت يديّ في الهواء وعلى الرغم من أنني كنت أثق في هاتين الكتفين اللتين رأيتهما اليوم يغادران مبنى المدرسة إلا أن أمي لم تعد كالسابق ولم أعد أستطيع أن أضايقها إلى هذا الحد الذي تنفجر فيه ضاحكة ضحكتها المستسلمة كما كنت أفعل في الماضي. نظرتُ إلى الظلام القابع خلف النافذة حيث رأيت صورتي منعكسة على الزجاج وتذكرت أن الجو بدأ يتحول من خريف إلى شتاء. رتبت أمي السمن والخبز وبقية الطعام على المائدة وصبت كوبا من القهوة وجلست ونظرت عبر الطاولة إلي فاكتشفتْ أنني كنت أحدق في البعيد:

- "ما الذي يشغل بالك؟".

ربما تبدو هذه كدعوة للحديث، في الحقيقة لقد كانت كذلك، لكنني لم أستطع أن أخبرها أن بالي منشغل بالمعطف.

ولم يستطع أي منا أن يتحدث.

Twitter: @ketab_n

حدث كل هذا يوم الاثنين، واليوم يوم الخميس. خرجتُ إلى الشارع ولاحظت توجها جديدا لدى المحيطين بي، لن أقول إن هذا التوجه كان نوعا من الاحترام، ليس لأنه لم يكن كذلك، وإنما لأنني أعي الآن حقيقة ما قمنا به. كان علي أن اعترف أمام نفسي أن ما فعلناه حول الجاني إلى ضحية! ربما لم يكن دونداس يستحق ما حدث له، أو ربما كان يستحقه، بدت هذه الحسابات عملية لا تنتهي في عقلي.

لم يكن فريدي1 يشعر بالارتياح أيضا في دوره الجديد كشخص يحترمه الآخرون، بدأ يمشي مزهوا ويضحك ضحكة فارغة وتغير حتى أنه تدخل في مشادة بين طفلين صغيرين على صورة لإحدى نجمات السينما، ربما اعتقد أنه المنوط بتطبيق القانون على الأرض. بمجيء يوم الجمعة استطاع فريدي أن يحطم هذه الصورة المحترمة بأن حقق رقما قياسيا في التجشؤ، حيث كان بإمكانه الاستمرار في التجشؤ لفترة طويلة للغاية مما يثير قرف الفتيات ويؤكد للأولاد أنه مازال فريدي1 الذي نعرفه، الرجل الذي يحرز أعلى الدرجات في رياضات لم يكن أي منا يلعبها.

إضافة لهذا فقد أصبح دونداس الآن في صف فريدي1 ومن أكثر المعجبين بقدرته على التجشؤ. من المفترض أن يتخلص دونداس الضحية من الأربطة الخاصة بذراعه خلال الأسبوع القادم، وستزول كل هذه الكدمات خلال ستة إلى سبعة أيام. كان الحل الأفضل طبقا لتفكير فريدي1 هو أن نضربه جيدا لأن الجريمة تفيد.

أما ليندا فقد مكثت في المنزل حيث تقوم بعمل واجباتها المدرسية. لقد بدأت تفكر وتتحدث بجمل كاملة.

- "هل يمكنني أن أستعير ألوان الشمع الخاصة بك يا فين وسأعيدها لك يوم الثلاثاء؟".

- "هذا يعني أنك ستسعيرينها لمدة ثلاثة أيام، أتعرفين هذا؟".

Twitter: @ketab_n

- "نعم، هذا ما سيتطلبه الأمر".

- "وما هو هذا الأمر؟".

- "رسمة أقوم برسمها وستكون هدية".

- "لمن؟".

- "لن أخبرك".

- "لديك ألوان الشمع الخاصة بك فلم لا تستخدمينها؟".

- "ليس لدي لون برتقالي".

- "ألا تستطيعين استعارة اللون البرتقالي فقط؟".

- "لا".

مشت معي إلى المدرسة أنا وفريدي1 لأيام قليلة. ثم مشت مع التوءم والفتاة العسكري، جيني. وصل إلينا خطاب يقول إنها ربما تعاني من عسر القراءة، وكان على أمي أن تستجمع كل قوتها كي تواجه هذا. كان هناك شيء غريب في هذه الأجزاء من الخطاب المعنونة باليونانية. أخذت ليندا دروسا خاصة على يد جيلبو أحد ألطف مدرسي المدرسة. جلست تنظر إلى ألوان الماء التي رسم بها جيلبو روافع كثيرة وحيوان الغرير، واستمعت لصوته الرخيم، ثم عادت إلى فصلها مرة أخرى كي تجلس بجوار التوءم ودونداس الذي لم يتعلم مطلقا القراءة. هذا هو المكان المناسب لها، وربما لم يكن لديها عسر قراءة على الرغم من كل شيء. قال الخطاب إنها في صحة جيدة، هذا على الأقل ما أخبرتني به أمي قبل أن تحتفظ بالخطاب في ملف مع كل المراسلات الأخرى التي تراكمت مع مرور السنة، أطول سنة على الإطلاق. ثم حدث شيء آخر قبل أن ينتهي هذا العام، تساقطت الثلوج.

Twitter: @ketab_n

27

حل الشتاء وبدا أنه قد نوى ألا يرحل. وظهرت مرة أخرى منحدرات التزلج والزلاجات وكرات الثلج والأنامل المتجمدة من شدة البرودة والثلج الأبيض السميك. كان شتاء كما يجب أن يكون الشتاء بهديره وصمته. اقترب عيد الميلاد، فأعطيت لفريدي1 بلية أخرى من الحديد وأعطاني هو واحدة، كان من المستحيل أن تفرق بينهما، لكن بليتي كانت مغلفة. ستحصل ليندا هذا العام على زلاجات، وكان هناك قدر كبير من السرية يحيط بهذا الموضوع، حيث كان على كريستيان أن يقضي المساء في غرفة الهوايات بالقبو لإعداد الزلاجات ثم حملها إلى غرفة التخزين في العلية كي يخفيها خلف الحقيبة التي ذهبت يوما إلى دومباس.

اشترينا شجرة عيد ميلاد ووضعناها في البلكونة وسط الثلج الهاطل عليها منذ التاسع عشر من شهر ديسمبر حيث كانت أمي وليندا تعبران عن إعجابهما بها كل ليلة بينما أرقبهما أنا. ثم أثير النقاش السنوي عن المكان الذي سنقضي فيه عيد الميلاد وكان علينا أن نتوصل لحل لهذه المسألة لكن تحت ظروف مختلفة هذه المرة.

فنحن لم نر كثيرين من أفراد عائلتنا في العام الماضي، وقد وصل إلينا أن الخال تور قد تم فصله من المطعم الذي كان يعمل به لأنه كان سكرانا، أخبرتني أمي بهذا لكنها لم تذكر أي تفاصيل. عرفت بعدها أنه انضم إلى مدرسة البحارة كي يصبح مهندس سفن في البحار السبعة، وقد بدأ حياة جديدة أفضل. كان خالي تور شديد التأنق، "روميو" كما

Twitter: @ketab_n

يناديه خالي بيارنا. أما جدتي فلم تصبح أكثر شبابا، حيث كانت لاتزال تجلس على كرسيها وتذكي نيران موقدها المتوهج.

مرة أخرى جال شيء ببالي.

قلت: "أريد أن أمكث في المنزل".

قلتها بهدوء، لم يكن لدي أدنى نية للتسبب في أي خلاف، ولم تكن لدي أسباب واضحة لهذا، إنه نفس الغموض الذي كان يسيرني طوال الخريف، كما لو أنني رأيت شيئا ما مرة أخرى.

كنا قد استمتعنا بعدة أسابيع هادئة بعد موضوع دونداس هذا، حياة عائلية دافئة كما ينبغي لها أن تكون في بناية بها روتين يومي متناغم يمتليء في أحسن حالاته بنغمات موسيقى هادئة تخرج من أجهزة راديو صغيرة في الليل... حياة أسرية دافئة وبدون كريستيان.

بدت أمي بخير، جلست وحدقت نحوي من فوق كتاب "الأمطار تتبع الندى"، وهي قصة سمعناها مرتين أو ثلاث مرات عن شخصين مثلي أنا وتانجا، لم يكملا معا لأسباب عادية، لكنني أعرف أنها كانت تحب أن تقرأها وحدها حتى يمكنها أن تبكي إن أرادت، ولأنني لم أستطع أن أجد سببا للابتعاد عن الأسرة فقد حدقت في ليندا التي كانت مستلقية على الأرض تشاهد التلفزيون ونقنها فوق يديها بينما تحرك قدميها للأمام وللخلف وقد افترضت أمي أن هذا تلميح لها كي توجه سؤالها لليندا.

- "ماذا تعتقدين يا ليندا، هل نزور العائلة في عشية الميلاد؟".

- "نعم" قالتها ووجهها باتجاه الشاشة ودون أي تردد.

Twitter: @ketab_n

ملأنا حقيبة الظهر بالهدايا وبدأنا رحلتنا في الساعة الثانية عشرة يوم الرابع والعشرين من ديسمبر، حملت أنا الزلاجات الملفوفة بعناية على كتفي، كانت ليندا إلى جانبي بحقيبتها المدرسية، تبتسم وهي تسترق النظر إلي وإلى أمي وتقوم بالقفز والوثب بطريقة حمقاء. تعبت أمي قبل أن نصل واحمر خداها من الأشياء التي تحملها، لكن أصوات أفراد العائلة دعمتها فقامت كي تطهو الطعام حين وصلنا إلى بيت جدتي وقد لاقى طعامها الكثير من النقد بعدها، هذا بالإضافة للنقد الذي وجه للمشتريات التي اشتراها جار لنا تحت تعليمات جدتي.

أرسلتني أمي أنا وليندا إلى القبو الذي كان فيه خالي أوسكار، بدا كما هو دون تغيير، كان مرتديا ملابس العمل وقبعة وفي يده بلطة. بدا لطيفا ودافئا. لكن غرفة التخزين قد تضاءلت منذ آخر مرة رأيتها فيها وأصبح السقف أكثر انخفاضا، وكانت هذه أول علامة على أن هناك خطأ ما. هل كبرت كثيرا جدا؟ أم أن ليندا احتلت الكثير من مساحة الغرفة بفستانها الأبيض الجديد وأشرطتها الحمراء وضحكتها المرتعشة التي جعلت خالي أوسكار يضحك بصوت مرتفع!

"حسنا، لم أفعل هذا أبدا" كرر خالي أوسكار هذه العبارة ردا على سيل من الثرثرة قالته ليندا، لم يكن من النوع الذي قد يفرط في !الابتسام، إننا هنا في مهمة جادة، حيث نقطع الأخشاب وبالتالي نحتاج إلى تركيز. أصبحت البلطة أخف ولم أعد أحتاج إلى حملها بيدي الاثنتين، كما أن حزم الخشب نفسها أصبحت أقل حجما، جمعت ليندا الأخشاب طبقا لتعليماتنا فاتسخ جلدها بالغبار والفحم قبل أن نصعد ونشم رائحة الضلوع المشوية، وكل منا يحمل كمية من الأخشاب للتدفئة، تباهينا بما فعلناه أمام أبناء خالنا الذين وصولوا لتوهم وكانوا يعطون انطباعا بأنهم أكثر من عددهم لكثرة الجلبة التي يحدثونها.

Twitter: @ketab_n

أخذ أبناء خالي على عاتقهم عبء هندمة العضوة الجديدة على العائلة في الحمام الصغير، الذي كان به حوض استحمام صغير يقف على أقدام لها شكل أقدام الأسد، وكانت المنطقة الفاصلة بين الصنبور النحاسي وفتحة الصرف في هذا الحوض ملطخة بالبني والأخضر نتيجة صدأ الصنبور النحاسي، بينما كانت فتحة الصرف تشبه أنف خنزير. سمعنا ضحكات وصيحات من الداخل، وكلاما أصبح بعد ذلك أبعد وراء الباب المغلق، بينما كانت أمي تتحرك يمينا ويسارا كأنها حارس عصبي وشرعت تقرع الباب وتسألهم إلى متى سيظلون بالداخل وإن كان النور مفتوحا أم لا، وتخبرهم بأن الوقت قد حان لأن يخرجوا، لم يبد أن أحدا لاحظ سلوكها الغريب هذا. لقد لاحظته أنا من قبل، لكنني الآن فقط أصبحت أعيه.

صاحت "هل النور مفتوح؟".

قالت جدتي "اختر بطاقة".

اخترت الثمانية البستونية، ولم يكن هذا الاختيار صحيحا.

الشموع التي في شجرة عيد الميلاد ها العام كانت كهربائية، كان أمامنا الحلوى والبندق والكعك وفاحت روائح الكراوية وملمع الشعر والسجائر، بينما اهتزت الشبكة التي على فم الدفاية كما هو الحال دائما، وجلس خالي تور على عتبة النافذة وكان يشرب ويشعل سيجارة من أخرى وقال إنني كبرت بدرجة هائلة منذ آخر مرة، وقد كانت هذه مبالغة لبقة منه، بينما لم يعتقد خالي بيارنا أنني كبرت ولو لمليمتر واحد وهو ما اعتبرته محاولة للتقليل من الواقع بشكل وقح.

Twitter: @ketab_n

قال خالي بيارنا "انظر إلى ماريت، لو أنها واصلت النمو بهذا المعدل فسوف تصبح عارضة فاتنة".

ضحك خالي تور بينما كان يسحب نفسا طويلا من السيجارة "الدبة السمينة؟" ثم كح وكان عليه أن يكتم ضحكته، أخبره الخال بيارنا بأن يبقى فمه مغلقا، "من الممكن أن تسمعنا أيها الأحمق"، انتفضت الخالة ماريت وقامت قائلة:

- "يا إلهي، لا أستطيع أن أستمع لهذا الهراء".

دخلت إلى المطبخ حيث كانت أمي قد نجحت في استعادة رباطة جأشها بعدما خرجت الفتيات من الحمام، كانت تطبخ بجد ولم تكن تحتاج إلى أي مساعدة على الإطلاق، فهي لم تأت إلى هنا كي يساعدها أحد. وجد خالي بيارنا فرصته في غياب السيدات كي يبدي استياءَه من دراسة خالي تور الجديدة في مدرسة البحارة، والتي أعتقدُ أنها كانت عبارة عن فصل خاص لتعليم الكبار.

حاولت أن أتصرف كما لو أن شيئا لم يحدث لكن الجو العام قد تغير بلا شك. كان خالي بيارنا يرتدي بذلة زرقاء وربطة عنق زرقاء أيضا، وبنطال بثنية واحدة، كان حليقا وشعره مصفف جيدا وتفوح منه رائحة كولونيا بعد الحلاقة، وكان حذاؤه أسود ملمعا. بينما كان الخال تور على العكس من ذلك تماما، فقد كان حذاؤه البني لافتا للانتباه بعقدة رباطه، فضلا عن تصفيفة شعره الشبابية وسرواله غير المكوي، كما لو أنه النظير المخالف لأخيه الأكبر، فلم يكونا فقط عالمين متباعدين لكنهما عصران مختلفان أيضا، جلسا يتنافسان في السخرية من بعضهما وفي تكلف الابتسام بشكل بدا كأنه جروح سطحية لا تلتئم في العلاقة بينهما، ربما هما كذلك منذ أن كانا صغارا، كل ما في الأمر أنني لم ألحظ هذا من قبل مثلما لم ألحظ أن ضحكة خالي أوسكار طويلة للغاية أيضاً.

Twitter: @ketab_n

هل يكون وجود ليندا هو ما غيرهم؟

لاحظت أن جدتي لم تكن مسنة بالقدر الذي تعلنه الوثائق الرسمية، ربما لأنها سحبت الستائر مع اقتراب حلول المساء، ربما بسبب المناسبة الحالية، أو ربما لأنها لم تكن جالسة في كرسيها الهزاز تعد البطاقات والدقائق وتنتظر أن يمر الوقت وينتهي كل شيء. كانت أمي تقول حين نعود إلى المنزل بعد مناسبة كهذه إن الحياة كلها عبارة عن عد تنازلي.

لكن ماذا عني أنا؟

نظرت إلى صورتي في المرآة ذات الإطار الأسود والمعلقة دائما في الحائط خلف جدتي التي كانت تغلفها عادة بقطعة قماش منسوجة يدويا. ربما أكون قد كبرت كثيرا منذ آخر مرة، فقد أصبحت أطول بكثير ولم تكن هناك مساحة في المرآة لكتفي كما اختفى منها صدري وذراعي، لم أستطع أن أرى يدي على الرغم من أنني وضعتها أمام وجهي ولوحتهما أمام زجاج المرآة، لم يكن هناك مكان لعيني، لم يكن هناك مكان لأي شيء على الإطلاق، أو لأي شيء له علاقة بي بأي شكل، ولم يكن هناك سبب للخوف حيث كان الأمر نفسه ينطبق على أمي لكن أحدا من الآخرين لم يلحظ هذا.

قالت جدتي "حسنا يمكنك الاحتفاظ ببطاقاتك أو المخاطرة والتعرض للخسارة".

نظرتُ إلى بطاقة وجهها للأسفل على الطاولة الصغيرة التي صنعها خالي أوسكار من أجل جدتي، تظاهرت بأنني أفكر في أن أقلب هذه البطاقة لكنني كنت واعيا للغاية للابتسامة التي على فمها المحاط بالتجاعيد وهززت رأسي ببطء.

Twitter: @ketab_n

"لن أغامر" قلتها بأوسع ابتسامة لدي.

قالت "قرار حكيم" ووضعت البطاقة في العلبة ثم بدأت تخلط ورق اللعب ثم تطلب مني أن أختار أي بطاقة ثم تخلط الورق ثم تطلب نفس الطلب.

دلل الجميع ليندا وعاملوها كأميرة، وحشو أذنيها بجمل الإعجاب بمدى روعتها وصغرها وجمالها وذكائها وقد استطاعت هي أن ترد عليهم بعبارات مجاملة أيضا. ثم من بين هذا كله لاحظت شيئا: لقد أعجب بها الآخرون حتى ليمكنك الآن أن تقرأ هذا على وجه الخالة ماريت النكد. فلم تكن ليندا مثل أي شخص آخر فحسب بل كانت تهدد الجميع بأن تتفوق على بناتهم.

كانت هذه إشارة الخطر الرابعة، أو ربما الخامسة...

اتضح أن بنات خالي قد أعطين هدايا في القطار حتى يهدأن لحين تقديم الطعام وفتح علب الهدايا كبيرة الحجم. كانت لعبة الميكانو على طاولة المطبخ، وقد فازت ليندا فيها مرات ومرات، حيث كانت يدها الصغيرة ثابتة كالصخر واستطاعت بها أن تمسك كل العصي في كل مرة دون أن تلمس العصي الأخرى وبالطبع كان هذا نذيرا سيئا حيث لجأت ماريت إلى إحدى خدعها.

- "لقد لمستِ إحداها! أنا رأيتك!".

لكن ليندا كانت تثق في عينيها الواسعتين المرتبكتين ولم تصدق ذلك الزعم الملفق الذي قالته ماريت.

"لا تستطيعين تحمل الخسارة، أليس كذلك يا ماريت؟" ضحك الخال تور وهو في طريقه إلى المطبخ كي يحضر المزيد من الصودا، وربت على رأس ليندا وهو يمر بجانبها كنوع من التقدير لها.

Twitter: @ketab_n

- "هل تقول إنني كاذبة؟".

- "كفي عن هذا".

- "كيف تجرؤ أن تحادثها هكذا يا تور؟" قالها الخال بيارنا الذي تبعه.

- "سأتحدث بأي طريقة أريد، إنها فاشلة".

- "هون عليك يا أخي وإلا سأذيقك هذه" قالها خالي بيارنا مشيرا بقبضته بطريقة مازحة، في محاولة للتخفيف من وطأة الموقف الذي أخذت حدته في الازدياد مع الوقت. وضع الخال تور حذاءه غير الملمع على بعد قدمين ووقف وقفة ملاكم محترف وبدأ يهتز كما يفعل إنجمار جوهانسون، ضاربا اللكمات نحو أكياس السكر وعلب القهوة ونبتة اهتزت على حافة النافذة ونحو مقلاة أمي التي بها طعام يطهى على نار هادئة، ثم جنب أمي بحزم من وسطها ومال بها في رقصة فالس سريعة الإيقاع مغنيا أغنية فيلم الرجل الثالث. لسبب ما كان الغضب على وجه المهندس الذي يعمل في مصنع الورق يتزايد أكثر فأكثر حتى لاحظناه جميعا، شعرت بأن شيئا سيحدث الآن، همست الخالة ماريت بصوت سمعناه جميعا قائلة:

- "أخبرتك أننا لا ينبغي أن نأتي هنا هذا العام".

- "لا، لم تفعلي هذا بكل تأكيد".

- "لم أفعل؟".

- "لا، لم تفعلي، جئتِ كي تشاهدي البنت المختلة عقليا، بغض النظر عما يمكن أن يحدث".

- "بيارنا، من فضلك!".

توقف الرقص على إثر هذه الكلمات. حررت أمي نفسها من بين ذراعي خالي تور وخطت ثلاث خطوات متعمدة عبر أرضية المكان وضربت بكل ما

Twitter: @ketab_n

أوتيت من قوة وجه أخيها الثاني، كانت الضربة قوية للغاية حتى أنه ترنح وارتمى على المقعد الطويل الذي اعتاد أن يقضي النصف الآخر من الأمسية عليه وهو يقرأ الكتابين الذي يعرف أنهما سيعطا له.

- "ما الذي تفعلينه...".

حاول أن يناضل للوقوف على قدمه لكنه توقف على إثر صفعة أخرى فبقي في مكانه. خرجت نصف صرخة من فم الخالة ماريت. كانت رقبة أمي وذراعيها في حالة توتر كبير وبدت في وضع الاستعداد لتوجيه ضربة أخرى لكن خالي أوسكار لابد وأنه لاحظ هذا حيث حاول أن يلف نفسه حولها مما أدى إلى تلقيه ضربة هو الآخر.

صاحت قائلة "الآن تريد أن تتدخل أليس كذلك؟ أين كنت حين احتجت إليك؟!".

صاحت جدتي من غرفة المعيشة "ما الذي تفعلونه هناك؟".

"انظر إليها". صرخت أمي بصوت كالرعد مشيرة إلى ليندا التي جلست ممسكة بأعواد الميكانو في يد ومتشبثة بي باليد الأخرى.

- "ألا تستطيع أن ترى التشابه؟! ألا يمكنك أن تراه؟!".

انهار خالي أوسكار في خزي تام. قالت أمي "لقد كنت راشدا ورأيت ما حدث، أنت وهذه البقرة العجوز".

"هذا جارح!" قالتها ماريت، وانفجرت الفتيات الأخريات في البكاء واحدة تلو الأخرى، تركت أمي الآن بعض المعلومات تتسرب من خلال كلمات خالي بيارنا غير المفهومة:

- "هل تعتقدين أنك فقط من تعرض للإيذاء، أيتها المغفلة؟".

Twitter: @ketab_n

كان الحديث غامضا لكنني استنتجت أنه عن أبيهم، جدي الذي كان الكلام عنه أقل من الكلام عن أبي. لم نذهب إلى قبره من قبل. كان خالي أوسكار هو من يقوم بهذا، وذهبت أنا إلى هناك مرة منذ أربع سنوات في صباح بارد قبل عيد الميلاد، ذهبت إلى قبره كي أنير شمعة وأضع إكليلا بين ملايين الأكاليل الأخرى الموضوعة على المقابر، في هذا الوقت سألت خالي أوسكار إن كان جدي في الجنة، فتمتم بهدوء في الهواء المتجمد "لا إنه في الجحيم".

لم تكن هذه طريقة خالي أوسكار المعتادة في الحديث، لذا فقد أخذت أنقر في الثلج بمقدمة حذائي، كانت الطريقة التي تكلم بها تبدو كما لو أنه يقول إننا جميعا لابد وأن نذهب إلى مكان ما في النهاية، لذلك فقد نسيت الموضوع برمته إلى أن رأيت خالي تور وقد حزن حزنا غامضا، كان يقف وجبهته ملصقة في زجاج النافذة البارد يبكي كطفل رضيع.

- "من الواضح أن هذه العائلة اعتادت على الكثير من المتعة والألعاب" صاحت أمي وأعلنت أن الحفلة قد انتهت بالنسبة لنا، ثم سحبتنا إلى الصالة وبدأت تلبس ليندا التي وقفت كشمعة في الظلام بينما لا تزال تحمل عصي الميكانو في يدها واضطرت أمي إلى أن تأخذها منها كي تلبسها القفازات بينما جمعت أنا كل هدايانا ووضعتها في حقيبة الظهر.

نادتها جدتي "ما الذي تفعلينه هناك؟".

قالت أمي "لا شيء، أفعل ما أفعله دائما".

Twitter: @ketab_n

28

لم تكن الساعة قد تعدت الرابعة على أي تقدير. كانت جميع الشوارع وجميع البيوت صامتة والسماء أيضا كانت كذلك. لم نتبادل أي كلمة بينما كنا نمشي بصعوبة تحت حبيبات الثلج حتى وجدنا أنفسنا تحت كوبري السكك الحديدية بجوار مساحة من الأشجار، توقفت أمي فجأة ونظرت إلي:

- "هل كنت تعرف أن هذا كله سيحدث؟".

- "لست متأكدا من هذا" انكمشتُ إثر تحديقها في. لكنها انحنت ناحيتي ولم تغير الموضوع، جذبتني من كتفي وهزتني وحدقت في أعماق ما تبقى مني. "هل كنت تعرف أن هذا كله سيحدث يا فين؟".

قلت "لست متأكدا. لكنني أعتقد أن بإمكاني أن أرى... شيئا".

- "ماذا؟ ما الذي يمكنك رؤيته؟".

شعرت أن الفرصة سنحت لي كي أجدها مرة أخرى لكن هذا كان يتطلب مني أكثر مما أستطيع، كنت على حافة الانفجار في البكاء.

قالت "لا تبك أنت أيضاً" ثم انتصبت ونظرت حول كوبري السكك الحديدية المليء بالثلوج والطريق الذي انشق لفرعين، والأرضية المغطاة بالثلوج المتلألئة والقابعة أمامنا، حيث بقي كيلومتر تقريبا علينا أن نمشيه كي نصل إلى المنزل في ظلام عشية الميلاد الباردة. ثم بدت كالتائهة وهي تخلع إحدى قفازات ليندا وترى الدم على يدها.

- "يا إلهي، ما هذا؟".

نظرت ليندا في خجل. "ما هذا؟ أجيبي يا فتاة!".

Twitter: @ketab_n

- "لقد طعنتها في فخذها".

- "ماذا؟".

كررت ليندا الجملة بارتباك.

- "من التي طعنتيها في فخذها؟".

- "ماريت. طعنتها بعصا الميكانو".

تبادلت أنا وأمي النظرات، بينما تمنيت أنا بشيء من اليأس أن نضحك معا مرة أخرى، ذلك الضحك الذي كنا نضحكه سويا لكنه اختفى. تاهت أمي عني وبقيت كذلك.

- "افتحيها".

- "أفتح ماذا؟".

- "هذه" كررت الكلمة بعزم وسحبت الزلاجات التي كنت أحملها على كتفي وأعطتها لليندا التي كانت تشاهد هذا بعينين متسعتين.

- "هنا؟".

- "نعم يا آنستي، هيا الآن".

وقفت ليندا دون حركة، ابتسمت وفتحت الهدية وقرأت المكتوب عليها "إلى ليندا من ماما وفين" ثم بدأت تزيل الورقة بعناية حتى لا تمزقها، طوتها ووضعتها في حقيبتها المدرسية بينما كنت أراقبها أنا وأمي.

زوج من الزلاجات من نوع سبليتكاين بطول متر وأربعين سنتيمتر، كان كريستيان قد جهزه لها. به في المنتصف كتلة خشبية للحفاظ على المرونة، كما أن له أربطة يمكن تعديل طولها على كلا الجانبين باستخدام مسمار نحاسي، إنها زلاجات جيدة يمكنها أن تشي إلى قلبك

Twitter: @ketab_n

بالأماكن الممتلئة بالثلج، سطحها بني لامع مصنوع من خشب الماهوجاني وبه حليات فاتحة اللون وأخرى بلون الشيكولاتة، وقدرتها على مقاومة الزمن كبيرة.

- "ليس لديها حذاء تزلج، أليس كذلك؟".

- "بلى لديها. هنا".

أنزلت أمي حقيبة ظهرها وأخرجت منها حذاء التزلج، وطلبت منها أن تجلس وأن تخلع حذاءها بينما فككت أنا الأربطة وأدركت أن الزلاجات لا يوجد بها شمع، وإنما عليها من الأسفل طلاء أسود رائحته تفوح بالقار. وضعت ليندا حذاء التزلج على الزلاجة بحرص وثبت أنا الأربطة وعدلت طولها. قالت أمي:

- "الآن اذهبي".

خطت ليندا خطوات للأمام ثم وقعت، ساعدتها على النهوض، لكنها وقعت مرة أخرى. أزالت أمي حبل حقيبة الظهر وعقدت به دائرة في نهايته. "تشبثي بهذا وسوف نسحبك".

أمسكت ليندا الحبل بينما سحبناها حيث عبرنا أمام حديقة موزيلندن ومنطقة دايسن، كان هذا مشهدا يعكس العلاقات الأساسية في الحياة. لمحت أمي وهي تبتسم مرة، ثم مرة ثانية. انزلقت على الثلج ووقعت على الأرض بشدة، لكنها ضحكت وعلقت على طريقة ليندا في التزلج، تغير مزاج ليندا وأرادت أن تغمر أمي بالثلج، وبدأتا تتصارعان بينما نظرت أنا إليهما كمشاهد من بعيد فأمام عيني قد انفتح فصل جديد في كتاب لم أسبر أغواره بعد يتحدث عن أمي.

Twitter: @ketab_n

بدأ الثلج يهطل مرة أخرى بينما نزل رماد أبيض من فجوة سوداء في أحد الجدران وتحول لونه إلى الأصفر تحت أضواء شارع تروندهايمز قبل أن يستقر على جلدنا وملابسنا والأرض. جلستا بجانب بعضهما البعض مثل طالبتين في المدرسة، ربما بسبب هذا اليوم أجدني أعتقد دائما أن لون الطفولة أصفر. توهجت الأضواء فجأة بلا سبب، لم يكن هناك أي سيارة على مد البصر، وكان قلبي يدق في كأس من زجاج غير لامع، بدأت أمي تتحدث بنفس النبرة الجادة التي كانت تتحدث بها عندما غادرتنا على الجزيرة في الصيف الماضي، تحدثت عن تلك المستشفى التي ذهبت إليها والتي لم تكن مستشفى عادية مثل مستشفى آكر على سبيل المثال والتي نستطيع أن نراها من بين الثلج المتساقط، لم تذهب إلى تلك المستشفيات التي تستأصل اللوزتين أو الزائدة الدودية، ولكنها ذهبت إلى مستشفى من أجل التخلص من ذكريات سيئة مثل الحبس والضرب اللذين تعرضت لهما عندما كانت طفلة على يد أبيها، إنها ذكريات بقيت معها ونزفت كما لو كانت زائدة وانفجرت في عقلها. وعندما يصاب المرء بشيء مثل هذا فإن مرور العمر لا يخفف من ألمه، وإنما تسمم هذه الخبرة أي فكرة تمر بعقلك. على الرغم من أننا اعتبرنا هذا العام عاما صعبا إلا أنه كان جيدا بالنسبة لأمي، لكنها لم تدرك هذا إلا الآن وفي هذه اللحظة على وجه التحديد بفضل تلك المستشفى الغامضة وهدية ليندا التي أعطت لها شجاعة جديدة وعلمتها شيئا كانت قد اعتقدت أنها لن تتعلمه أبدا، "وأنت أيضا" قالتها بينما كنت أنا لا أزال منتبها ولم يبد علي أنني قد جننت بعد.

"هل تفهم ما أقوله لك يا فين؟" قالتها بصوت مرتفع للغاية لكن بابتسامة عريضة حيث قصدت أن تمزح معي، جلست وقد بدا عليها الشعور بالانتصار والأمان والتحكم في المصير.

Twitter: @ketab_n

قلت "نعم" بشكل يوحي بالشكوى أكثر من التفهم. قالت ليندا نعم أيضا وأومأت برأسها مرتين حيث كان من المهم هنا أن تبدي موافقتها، أو على الأقل هذا ما أدركناه لحظتها، أما بالنسبة لأمي فقد كان الشعور بالراحة هو كل ما يتوجب عليها أن تشعر به.

****

كنت قد بلغت سن السادسة لتوي. تجمعنا في الشقة ودخلت أمي المطبخ كي تقلي شرائح اللحم والكفتة والتي تعدها من أجل يوم رأس السنة. لففتُ ليندا في لحاف وأجلستها أمام شجرة عيد الميلاد التي لم تحمل هذا العام زينات من الكرتون على شكل بيض فقط ولكن قلوبًا بيضاء وحمراء نسجتها أنا وليندا وفريدي1 الذي قام بصنع أكبر قلب وكان لونه أصفر. التهمنا بعض الكعك والحلويات المصنوعة في المنزل حيث كان طعام العشاء موضوع على المائدة. في النهاية قضينا بعض الوقت نضحك من قلوبنا، كانت أمسية جيدة وكان علينا في اليوم التالي أن نقبل بتناول الكرنب المقلي وصلصة اللحم فقط!

بعد تناول الطعام تم توزيع المزيد من الهدايا. ملابس وألبوم صور لليندا، وساعة لأمي من كريستيان الذي كان يحتفل برأس السنة هذا العام أيضا مع أسرته، وكان هناك بالإضافة إلى هذا كله مجموعة كتب لي أنا.

عندما نامت ليندا استمعنا إلى أغنية على الراديو بينما كنت أقرأ أنا كتابا وتشرب أمي النبيذ الأحمر. كانت قد شربت ثلاثة كؤوس منه بالفعل بينما جلست مستكينة على الكرسي وحدقت في شجرة عيد الميلاد ببلاهة. لسوء الحظ وبعد الوقت الرائع الذي قضته تحت الثلج بالخارج جاءت نهاية هذه الليلة مدمرة.

- "هل تعتقد أنني ينبغي أن أتزوج كريستيان؟".

Twitter: @ketab_n

لوحت بالساعة التي في معصمها وبدا عليها شعور بالاعتياد على عكس ما حدث حين رأت الأرنب الذهبي الذي أهداه لها في المرة السابقة.

- "لقد طلب يدي. ماذا تعتقد؟"

قلت لا بلا تردد. كررتها بصوت مرتفع أيضا.

- "لم لا؟".

- "لم؟".

لأن الرجال شخصيات تظهر في الكتب المصورة فحسب، لدي أب متوفى، وجد في الجحيم، أستطيع التعرف على فرانك من بعيد بصفارته ورائحة الخيول التي تفوح منه، لا يمكث أبو فريدي1 معهم على الإطلاق، أما جان المغرم بالثلج الجاف، صاحب الصوت المرتفع، فليس له مستقبل مهني مثله في ذلك مثل خالي تور. كان خالي أوسكار هو الوحيد الذي أحببته على طريقتي لكنه أيضا مذنب بجرم لا أتخيل مجرد التفكير فيه. مجرد تخيل أمي وهي تنام مع الساكن في غرفته يجعل قشعريرة باردة تجتاح عمودي الفقري.

تمتمت ولكن بضحكة غريبة "أعرف أنه شيطان مخادع".

"نعم هو كذلك" قالتها بنفس الطريقة العفوية تاركة الساعة تتدلى من رسغها. ثم طرأ على ملامحها تغير ما. "لكننا لن نستطيع أن نسوي أوراق ليندا إن لم أتزوجه".

- "ماذا تقصدين؟".

- "أنا أم عزباء يا فين، المتزوجات فقط هم من لهن حق التبني. وقد جلبنا هذا كله على أنفسنا...".

Twitter: @ketab_n

كانت هذه إشارة إلى كل المشكلات التي نبعت من تعاطي ليندا لأدوية في السابق، وهو ما كان يعني جريمة اعتداء على الأطفال، وإلى ذلك الخلاف في المدرسة وإلى احتمالية إصابة ليندا بعسر القراءة وإلى حالتها الحالية التي لم تمثل مشكلة حتى الآن لكنها لن تزول أو تختفي. لم يكن لدي ما أضيفه فلم يعد لدي عقل يفكر، عندها قالت:

- "هناك من يدمر كل شيء ليزعجنا، وأنا غير مسموح لي بأن أرى الأوراق، كل ما يقولونه لي إن الأمر سيأخذ المزيد من الوقت... و...".

- "فعلا؟" قلتها بينما توقفت هي عن الحديث.

- "ثم يواجهوني بمشكلتي ويقولون لي إنني كنت مريضة...".

- "لكنك بخير!".

- "لا، لست كذلك بالتأكيد...".

شعرت أنني أريد أن أصرخ، كانت الليلة قد فسدت على أي حال. لولا أنني هربت من قبل ولم أجد فائدة لهذا لقفزت من مكاني الآن وفعلتها مرة أخرى. شعرت بالرغبة في الاطلاع على صور بالأبيض والأسود لأشخاص جالسين في خيمة ممسكين بأكواب القهوة أو واقفين في حقل يحملون مذار على أكتافهم ويبدوا عليهم أنهم مستمتعين بما يفعلون، أردت أن أرى سائق جرافة وأم تجلس على مقدمة سيارة فورد، وفوق كل شيء أردت أن أراها كما كانت منذ ساعات قليلة، وهي جالسة إلى جانب ليندا تأكل الثلج وتقول بكل طريقة ممكنة إن العام الماضي كان جميلا.

- "لكن لدينا بطاقة فائزة" قالتها فقطعت تفكيري.

صحت بغضب "اسمها بطاقة رابحة!".

ضحكت وأخذت رشفة من الكأس.

Twitter: @ketab_n

- "أنت لا تصدق".

صحت "ما هي هذه البطاقة إذا؟".

نظرت إلي مباشرة وقالت بدفء:

- "أنت. فأنت قريبها. إنها صلة...".

- "صلة دم؟".

- "نعم، أنت قريبها الوحيد بعد أمها. فليس لها ولا لأبيك أي أقرباء...".

صحت قائلا "إذا، أنت لا تحتاجين إلى الزواج من كريستيان"، حملقت هي بطريقة حالمة إلى شجرة عيد الميلاد، إلى القلب الذي صنعه فريدي1، هذا على الأقل ما اعتقدته أنا، حيث كان القلب مميزا لأنه الأكبر والأقل إتقانا والأكثر اصفرارا بين كل القلوب التي علقت على شجرة عيد ميلاد من قبل. لكنها لاحظت بعد هذا شيئا كنت أتمنى ألا تلاحظه، خاصة ونحن في نهاية حوارنا، كنت قد قررت أن أختبئ بعيدا إن اكتشفَته، كان هذا هدية أخيرة ظلت مختبئة خلف جذع الشجرة، شيء أسطواني ملفوف في ورقة خضراء وعليه بطاقة مصنوعة منزليا.

سألتني "ما هذا؟" وقامت والتقطته.

كانت ليندا قد قرأت الأسماء التي على الهدايا هذا العام، لكنها نسيت هذه الهدية أو تناستها عامدة، وها هي أمي تتفحص البطاقة. "مهداة إلى كريستيان من ليندا".

تفحصت وجهي، بالطبع لم أشتر أنا وأمي أي هدايا لكريستيان على حد علمي، ويمكن أن أعزو هذا لكل الأسباب التي في الدنيا والتي يمكن أن تمنع أحدا من شراء هدية لآخر، كانت كل هذه الأسباب متوافرة في موقفنا هذا.

- "ما هذا؟"

Twitter: @ketab_n

قلت "لا أعرف. لكنني لم أعد أستطيع أن أخفي عنها أي شيء. اضطررت للاعتراف "إنها رسمة، أعتقد رسمة حصان".

- "حصان؟".

- "نعم، حصان!".

هكذا انتهى المساء، بينما أمي تمسك برسمة مطوية لحصان يصعب التعرف عليه، وبينما تشعر بالحيرة، هل تفتح الرسمة أم تخفيها أم تعطيها لصاحبها؟ نظرت أنا إلى الخطابات التي وضعت في الكتاب الذي جاءني كهدية، واسترخيت على الكنبة، حتى لا يضيع من عقلي آخر ما قالته الليلة عن البطاقة الرابحة، "أتمنى أن ينجح هذا".

سمعت وقع الأقدام في الشقق المجاورة لنا، أصوات وضحكات مكتومة، وباب يصفع، وصنبور يفتح، إنها أصوات المبنى بالكامل، وصوت شبكة التدفئة وسقوط القمامة في القبو، صوت فتح الباب الخاص بالقبو وأصوات قعقعة، صوت الخطوات التي تبتعد قبل أن يستيقظ العالم على رائحة الشمع المحترق وصلصة مرق اللحم وأفرع شجرة عيد الميلاد. إنه المساء يخيم على المكان. مساء أكثر ليلة تميزا في العام، أرى ليندا وهي تجري نحوي وأراها وهي تتسامى في الهواء وتنسل من بين أصابعي بينما أستيقظ أنا على صوت الرعد لأجد نفسي في بحر من العرق.

أراني على جزيرة منعزلة في الظلام. أرى جزيرتين، ليندا وأمي تتنفسان بينما أستلقي أنا مستمعا إلى السماء الهائجة والتي يمكن للأم فقط أن تخلقها وأن تمحوها. ثم فجأة أراني وقد جف العرق على جسدي حيث أصبح كل شيء أكثر وضوحا وصفاء من فوق أعلى نقطة في المساء، كل ما علي فعله الآن هو أن أنهض وأن أحضر الساعة من على المنضدة المجاورة لها وأذهب بها إلى المطبخ وأحضر المطرقة من

Twitter: @ketab_n

صندوق الأحذية حيث نحتفظ بالأدوات في الدولاب الذي يعلو الحوض، وأن أوجه ضربة واحدة قوية فأهشم الساعة إلى أجزاء صغيرة تتناثر على خشب الفرومايكا الخاص بالمنضدة.

أجمع الأجزاء المهشمة والتروس والعقارب وذرات الزجاج وأضعها في كومة بجانب المطرقة فتصبح كما لو أنها إحدى الزينات التي يصنعها فريدي1، ثم أذهب إلى غرفة النوم.

تمتمتْ "ما الذي حدث؟".

همستُ "لا شيء" وتسلقتُ إلى السرير العلوي ونمت.

****

في اليوم التالي كان الجو صافيا. مر علينا خالي أوسكار ومعه لحم وزجاجة من الأكوافيت. لم يكن خالي أوسكار يشرب مطلقا ولم يكن سيفعل هذا الآن أو ستفعله أمي. جلسا على طاولة المطبخ وفي يد كل منهما كوب من القهوة وكانا يتحدثان بجدية حينما دخلت أنا وليندا إلى المنزل بعدما تزلجنا لفترة حيث حققت ليندا تقدما عظيما، لكن هذا التقدم يعتمد إلى درجة كبيرة على كيفية رؤيتك له، إذ لم تجنب الكثير من الأنظار كما فعل فريدي1 الذي تلقى زلاجات قافزة كهدية له في عيد الميلاد.

ضحك خالي أوسكار ضحكة خافتة "ها قد جاء الصغار". نظرت أمي إلينا كما لو أنها توافق خالي أورسكار على جملته، وتقول صغاري أنا، البطاقة الرابحة وأخته، لم تكترث لأن تساعدنا على خلع أحذيتنا أو ملابسنا بل كان علينا أن نقوم بهذا بأنفسنا. جلست هناك فحسب وعلى وجهها نفس الابتسامة التي كانت على وجه خالي أوسكار والتي رأيتها على ضوء مصباح الكيروسين في مخزن الخشب في بيت جدتي عندما اكتشف أنه لا يوجد أي فارق بين ليندا وأي شخص آخر.

Twitter: @ketab_n

كانت رائحة اللحم المشوي تملأ شقتنا بالإضافة إلى شعور بالدفء، وكانت هناك زجاجة من الشراب وكأنه عيد الميلاد مرة أخرى. تتحدث أمي وخالي تور عن الثلج، إنه الشتاء الذي يبدو أنه يأتي كي يستمتع به الأطفال فقط. لم يتبادلا أي كلمة عن عشية عيد الميلاد الكارثية أو عن الزواج. وعندما لم تتحدث أمي عن الساعة المهشمة فطنت إلى أنه كان حلما فقط.

بينما كنا نجلس على الطاولة لتناول العشاء جاء جان ومارلين وقالت أمي إنهما قد يمكثان معنا. لمع بيد مارلين خاتم الخطوبة الجديد الذي اشتراه لها جان من الحدود السويدية، كانت مارلين تشرب الأكوافيت بنفس السرعة التي يشربها بها خالي تور دون أن يبدو عليها أي تأثر. تبادل الجميع الحكايات عن الصيف الماضي، عن الثلج الجاف والألعاب التي لعبناها وعن المتجر الذي كان مفتوحا ومغلقا في الوقت نفسه، حكايات لها أرضية مشتركة واحدة وهي أنك يمكنك الاستماع إليها جميعا دون أن تحزن أو يكون لديك رغبة في البكاء. جلسنا حول طاولة المطبخ نتحدث ونأكل ثم لعبنا بالبطاقات حيث فزت أنا وليندا كفريق مرة وكان هذا فوزا سهلا للغاية. راقبت نظرة أمي في الناحية الأخرى من الطاولة وشعرت أننا قد اتفقنا أن الحياة ينبغي أن تبدأ! وأن كل الأمور في أسرتنا ينبغي أن تصبح كما ينبغي لها أن تكون. وأن يستمر الأمر هكذا في الشتاء والربيع والصيف والخريف وفيما تبقى من الستينات هذا العقد المذهل الذي تحول فيه الرجال إلى أولاد صغار وربات بيوت، ذلك العقد الذي بدأ بتزيين المنزل دون وجود داع لهذا. كان العام عاما صعبا وعسيرا، خاصة بعدما أتت إلينا فتاة مسكينة في يوم من أيام نوفمبر وهبطت من الأتوبيس القادم من جراوند بحقيبتها اللبنية فقلبت لنا حياتنا رأسا على عقب.

Twitter: @ketab_n

29

جاؤوا إلى المدرسة من أجل ليندا في الثامن من يناير. كانوا يعلمون ما يفعلونه بالتحديد. زارنا في نفس هذا اليوم رجل يرتدي قبعة ومعطفا وسلمنا وثيقة وقال إنهم وجدوا لها أبوين جيدين بالتبني لديهما ابن في مثل سنها وبالتالي فلن تكون هذه النقلة صعبة بالنسبة لها، ستكون بخير.

لأن أمي لم تستطع أن تجبر نفسها على التوقيع على الوثيقة، فقد قال الرجل إن هذا لا يهم، فالإجراءات ستتم على أي حال بموافقة السيدة مصففة الشعر والسلطات. بالتالي لم يكن هناك سوى سؤال واحد في عقلي هل سيسمحوا لليندا بأن تأخذ ما هو أكثر من حقيبتها المنزلية والملابس التي عليها؟ هل سيسمحوا بأن تأخذ الألعاب التي تحبها أو دميتها؟

لم يكن لدي أو لدى أمي ما يمكننا قوله في هذا الصدد.

جلسنا على كرسيينا في غرفة المعيشة وتوقفت الحياة داخلنا، لكنها لم تتوقف داخل الرجل الذي جاء إلينا تحت راية الإحسان والعدالة. قال إنه يتفهم موقفنا لكن خبرته تشير إلى أن مثل هذه الإجراءات تكون في صالح الطفل بالفعل.

ثم غادر.

لم نتحدث أنا وأمي مع بعضنا البعض في ذلك اليوم وفقا لما أتذكره. استيقظنا في الصباح التالي كالمعتاد وجلسنا دون أن ننظر لبعضنا البعض عبر مائدة الإفطار ولم نأكل كثيرا. ثم انصرفنا كل إلى طريقه، حيث ذهبت الأم للعمل في متجر يبيع الأحذية والملابس لمن يريد، وذهب الابن إلى المدرسة كي يجلس خلف تانجا ويحدق في شعرها الأسود، بدون أن يسمع كلمة مما تقوله المعلمة.

تقابلنا مرة أخرى على طاولة العشاء ولم يكن لدينا ما نقوله أيضا. لكن في منتصف الليل انهارت أمي بينما كنت أنا راقدا بلا حركة أتذكر

Twitter: @ketab_n

تلك الأصوات التي كانت تتردد في بيتنا يوم توقفت ليندا عن تناول الأدوية. عندما عدت إلى المدرسة في عصر اليوم التالي كانت كل أشيائها قد ذهبت، ملابسها، وألعابها، وكتبها، وأماليا. في اليوم التالي اختفى سريرها أيضا، أعتقد أن الحال انتهى به في العلية دون أن أساعد في نقله هذه المرة. كنا كضحايا تسببت قوى طبيعية في إصابتها بالشلل، وكنا نجلس كالفئران منتظرين أن تسوء الأمور أكثر وأكثر.

بعد أسبوعين ترك كريستيان غرفته، لم يعد يلبس قبعة ومعطفا وإنما سترة تغطيها ندف الثلج سريعا. لقد اشترى لنفسه سيارة شيفروليه قديمة وضع عليها كل أشيائه. لكنه ترك المجهر ولوحة الشطرنج. كما أنه أراد أن يترك لنا جهاز التلفزيون.

"خذه معك" قالتها أمي بنبرة جعلته يأخذه.

لابد وأن شتاء وربيعا مرا في هذا العام أيضا، كل ما أعرفه أننا مكثنا داخل المنزل تحت الأغطية. التزمت أنا غرفتي القديمة التي كان يعيش بها الساكن والتي تطل على منزل إيسي، بينما التزمت أمي غرفتها التي لا تطل على شيء. لم أستطع أن أجبر نفسي على إلقاء نظرة عليها، أصبح لكل منا حياته في قاع محيط من الصمت لم نخرج إلى سطحه سوى في أحد أيام سبتمبر. حيث بدأنا في تزيين المكان مجددا، اشترينا خزانة كتب وزينا الشقة بأكملها بورق حائط أكثر تحفظا وأغلى.

سألت أمي "هل نستطيع تحمل كلفة هذا؟".

"ما رأيك؟" قالتها واشترت منه، ووضعت اللاصق في الليل، كانت تذهب للعمل في النهار وتعمل لساعات إضافية، وتذهب إلى فصول مسائية حيث تعلمت الإمساك بالدفاتر، ثم دققت حسابات السيدة هارالدسن التي اضطررنا أنا وليندا ذات مرة إلى الاختباء منها. ثم عُينت في الحسابات

Twitter: @ketab_n

وتولت مسئولية المشتريات وعملت لساعات أطول. أصبحنا مثل الجميع في المدينة، فقد أصبح لدينا دخل مادي جيد.

"كما لو أن شيئا لم يحدث!" قالتها أمي ذات ليلة في نهاية شهر أكتوبر بينما كانت تنزل من فوق سلم نقال بعد أن ألقت نظرة على عالمنا الجديد. قالت بجدية كاملة إن ليندا كانت ملاكا صغيرا أرسله الرب لنا كي يصلح لنا حياتنا، لقد سمح لنا باستعارتها فقط، وعلينا أن نشعر بالامتنان للوقت الذي قضيناه معها.

نظرت إليها وأنا أدرك أنني لن أسامحها أبدا على ما قالته.

ألصقت صور مغنيين بريطانيين على حوائط غرفتي بالإضافة إلى صور كواكب رائعة الشكل وحصان برتقالي يصعب التعرف عليه وصورة من أعلى لمنطقة تونسن قبل أن ننتقل إليها في الخمسينيات. سواق الجرافة في منتصف الصورة كان أبي وكان يقوم وقتها بنصيبه من العمل المجتمعي، كان غير واضح في الصورة وغير مرئي في الحياة، حيث ظل محبوسا في درج هو وابنته التي أصبحت غير مرئية مثله، ولا تظهر إلا في صورة لها على شاطيء بجانبي أنا وبوريس وبدون حزام سباحة.

انتقلت إلى المدرسة الإعدادية في السنة التي غنت فيها فرقة ذا دور أغنية "When the Music's Over" وذهبت إلى مدرسة جيمناس على أنغام فرقة لد زيبلين. وهناك قابلت بوريس. كنا في نفس الفصل ندرس الرياضيات والعلوم وكنا لا نزال مثل حبتي بازلاء في قرنة واحدة. لكن لم يعد لدينا تلك الخصلة المتدلية على جبهتينا. كان شعرنا طويلا حتى أكتافنا، وكنا نرتدي سترات مثل سترات الجيش ونتحدث بشفرة بيننا ونعد للقيام بثورة. كنا كما كان الجميع في النرويج، أكثر غنى.

Twitter: @ketab_n

30

مع حلول الصيف وانتهاء الدراسة، وصلنا خطاب، ووقع بالمصادفة في يدي قبل أن تراه أمي. جلست أنظر إليه لفترة. إلى العنوان والمرسل المكتوبان بالآلة الكاتبة بغض النظر عما قد يعنيه هذا. على الخطاب ختم مكتب بريد أوسلو. لم يكن الظرف يشي بالكثير على أي حال.

لكن لماذا لم أفتحه؟

ربما لأنني لا أستطيع أن أحدد ما الأسوأ، خط سيء يخبرنا بمأساة أم خط ثابت غير مرتعش يخبرنا بأن كل شيء على ما يرام؟ لابد وأن ليندا قد وصلت إلى بيت يسكنه حمقى تعدوا عليها وحطموها. هذا السيناريو على وجه التحديد يعذب روحي. أو ربما خرجت من السيارة فرحب بها والداها الجديدان، أم متزنة وأب كامل الأوصاف، وولد في مثل عمري بكل تأكيد. لابد وأنها أحكمت قبضتها حول إصبعي هذه الأم، تلك القبضة التي سيدرك أخوها الجديد، والذي يمكن أن ندعوه نات، أنها قبضة التشبث بالحياة، وهي مسكة تتشبث بقلبك وتحدث به ضعفا يظل معك حتى تموت ويبقى بعد أن تتعفن في قبرك.

لابد أن كل شيء كان كما ينبغي أن يكون منذ ذلك الحين، حيث تعيش الأسرة في شقة واسعة بالطابق الأول، وحيث ذهبت ليندا إلى مدرسة قريبة في مكان به أشجار الكستناء بشكل يفوق وجود البشر، لابد وأنها قابلت مدرسيها الذين علموها ما تحتاج إلى معرفته وقامت بتكوين صداقات مع أصدقاء لا ينظرون إليها باستغراب. لابد وأنها تذهب في الصيف مع والديها ونات للتصييف في شاليه وليس في خيمة بها جزء محترق، حيث تقوم بالكثير من الأنشطة الشيقة التي يمكن لنات أن

Twitter: @ketab_n

يساعدها على تعلمها ثم يتضح أن نات شخص عظيم للغاية، شخص أفضل مني. ربما كانت سرقتها من بيننا الاختيار الأفضل.

لكن هذا السيناريو يعذب روحي أيضا.

ولا يوجد سيناريو آخر بين الاثنين السابقين.

تركت الخطاب دون أن أفتحه وذهبت لرؤية فريدي1 الذي يعيش وحيدا في الشقة القديمة التي نطلق عليها إيري بعد انفصال والديه، وحيث كنت أعرف أنني سأجده هو ودونداس يشمان المخدرات. أصبح شعر دونداس يصل إلى وسطه وأصبح جاهزا لحياة إجرامية مزدهرة كانت ستتحول إلى حياة أسطورية لولا أن جسده صغير وأنه لا يجيد الخطط طويلة المدى. كالمعتاد، ابتهج فريدي1 لرؤيتي وقال ما يقوله دائما في هذه المناسبات النادرة عندما نتقابل حيث أشار إلى أنه سيتوقف عن الإدمان وسيذهب إلى مدرسة جيمناس أيضاً.

- "أم هل تعتقد أنني غبي جدا على الذهاب إليها يا فين؟".

- "لا أعتقد أنك غبي يا رقم واحد" قلتها وأنا أرقب ابتسامته العريضة. جلست وأخبرته أنني تلقيت خطابا من ليندا.

- "هل تتذكر ليندا؟".

قال دونداس: "لا".

قال فريدي1: "أذكرها بالتأكيد" وبدا عليه الابتهاج.

قلت: "أحتاج إلى نصيحة" لكنني استطردت قائلا كلاما غير ذي صلة قبل أن أسألهما إن كان علي أن أعطي الخطاب لأمي.

سألني فريدي1: "هل قرأته؟"

Twitter: @ketab_n

- "لا".

جلسنا نتذكر ذكرياتنا المرتبطة بليندا، حاولنا أن نحيي تلك الذكريات التي لا يبدو أنها ستعود، ثم حصلت على إجابة بنعم من فريدي1 لأن أمي هي المرأة الوحيدة التي تتميز برباطة الجأش في شارع ترافر، وحصلت على إجابة حاسمة بلا من دونداس الذي ارتجف من أثر المخدرات، وقال إن كل الأشياء التي لها علاقة بالطفولة ينبغي أن تدفن.

- "قطعه إلى قطع صغيرة".

كانت درجة الحرارة مرتفعة في هذا اليوم. اقتربت الأجازة الصيفية، واقتربت معها بداية صمت آخر. خرجت مرة أخرى إلى هاجان كي أرى العمارات السكنية، سلسلة الجبال المتراصة وكي أتأمل كل شيء مضى. رأيت طفولة ولت لكنها ستمكث على الدوام هنا، ليجتمع أمامي عالمان ليس لهما أي صلة ببعضهما البعض. أرضاني هذا التحليل فعدت إلى المنزل، إلى الخطاب الذي ذكرني بكل الخطابات الأخرى التي تلقيتها وقرأتها بخوف وارتجاف في هذه الشقة.

كان خطها منسابا وأنثويا، خالبا من العيوب، ثابتا كصخرة شكلتها يد لم تستطع يوما أن تحمل شيئا من فوق طاولة المطبخ سوى بعض أعواد الميكانو، وكان الخطاب يحمل شوقا هيستيريا. هي على ما يرام، هكذا قال جزء من الخطاب.

لكنها أشارت إلينا بإصبع الاتهام في شكل سؤال ختامي، هو نفس السؤال الذي سألته لنفسي آلاف المرات لكنني لم أجرؤ على أن أسأله لأمي: لماذا تركناها تذهب هكذا؟

Twitter: @ketab_n

إنها لم تعان بأي شكل من الأشكال، لكن كيف أمكننا أن نشعر بالسكينة والراحة ونحن نعرف أن شخصا ما اقتحم منزلنا وسرق منه طفولته؟

تذكرت الفترة التي استعددت فيها لترك المدرسة في سينسن، عندما لمحني فلينتستون وطلب أن يراني مرة أخيرة في مكتبه المليء بالدخان لأنه، كما قال، يريد أن يُعلمني بملحوظة لاحظها.

قال لي بنفس الابتسامة الصفراء التي لا أستطيع أن أنساها: "لقد عملت في هذه المدرسة منذ أن بنيت، وعلى مر السنين لم أر شيئا مثل الذي فعلته أنت وصديقك عندما ضايق أحدهم أختك. لم أر هذا من قبل".

لم يكن لدي أدنى فكرة عما يريده من هذا الكلام.

قال: "كان حادثا لا ينسى. لقد أوشكتما على أن تقتلا الولد". استطرد بعد توقف قصير "الأطفال لا يفعلون هذا".

- "فعلا؟".

- "الأطفال لا يدافعون عن بعضهم بهذه الطريقة حتى الإخوة منهم".

بدا كأنما قال شيئا مهما للغاية. لكنني لم أستطع أن أفعل شيئا سوى تكرار كلمتي الأبدية "فعلا؟". بدأ يفقد صبره.

- "ربما لا يكون هذا ما حدث!".

- "وما الذي قد حدث إذا؟".

- "هل هاجمتماه من أجل الدفاع عن أختك؟ أم أن هناك دافعا آخر؟".

فهمت ما يلمح إليه أخيرا.

- "تقصد أننا أردنا أن نضربه من أجل الضرب فحسب؟".

- "مثلا".

Twitter: @ketab_n

وقف ولوح بسيجارته.

- "حسنا... ربما..." قلتها بتردد، وعاودني شعور قديم كنت أعتقد أنه ذهب مع ليندا، حيث كنت أشعر أنه لولا عنف فريدي1 المفرط في هذه الليلة، ولولا أنه تحول إلى ذلك السعار، لكنت فعلتها أنا بنفسي ولما قام دونداس على قدميه مرة أخرى. لكنني لم أعد متأكدا من دافعي أو فهل كنت أدافع عنها أم أنني فعلت هذا لنزعة ما بداخلي؟

قال "حسنا، دعنا من هذه المسألة إذا".

مكثت في البلكونة حتى رأيت أمي وهي تمشي حول ناصية البناية 2 مرتدية ملابسها الصيفية: جيبة وبلوزة وسترة فاتحة قصيرة، مرت بجانب منشر للغسيل وطرقت بحذائها على حجارة الطريق حتى وصلت إلى المدخل، كانت مشيتها رائعة ودقيقة. كنت أعرف أن لدي ما يكفي من الوقت للإسراع إلى الداخل وإخفاء الخطاب، لكنني وقفت في مكاني حتى سمعت المفتاح وهو يدور في الباب، ثم تبعه على الفور صوتها:

- "ألم تضع البطاطس على النار؟".

أجبتها "لا. لقد وصلنا خطاب، وهو على طاولة المطبخ".

خيم صمت طويل. ثم جاءت إلى البلكونة في النهاية والخطاب في إحدى يديها بينما كوب من القهوة في اليد الأخرى. جلست على الكرسي القابل للطوي وأراحت قدميها على مسند القدمين الذي اعتدت أن أقف عليه عندما كنت أغسل الأطباق وأنا طفل صغير. كانت في الحمام حيث أزالت زينتها، وربما فعلت ما هو أكثر من هذا، فقد اعتادت منذ فترة طويلة أن تخفي دموعها عني. كانت أمي سيدة جذابة وناجحة وأصبح لها

Twitter: @ketab_n

طفولة ملتئمة الجراح، لقد أصبحت مديرة فرع ميسورة الحال وأصبحت كل حياتها متزنة، هذا على الأقل ما قد يراه شخص بعيد عنا.

قالت وعيناها مصوبتان للخطاب "الحمد للرب".

- "هل ستجيبينها؟" سألتها حين لم تقل أكثر مما قالت.

- "بالطبع".

- "أقصد هل ستجيبين على سؤالها؟".

- "بالتأكيد" قالتها وقرأت الخطاب مرة أخرى.

- "وماذا ستقولين لها؟".

نظرت للأعلى لكنها لم تنظر إلي.

قالت بعد تفكير "لو أنها استمرت هنا لكانت على ما يرام أيضا. .لكنني لم أعرف هذا وقتها. ربما لهذا السبب لم أفعل أي شيء..."

- "إذاً، كان من الجيد أنهم أتوا وأخذوها؟!".

- "لم أقل هذا" أجابتني فنهضتُ ووضعت قبضتي على سور البلكونة وحدقت ناحية البناية التي يسكن فيها إيسي. قالت "لم يكن حالنا جيدا بما يكفي كما ترى".

استدرت ناحيتها فنظرت إلي. قلت "كانوا يعرفون كل شيء عنا".

- "فعلا؟".

هكذا تقول عندما لا أفهم شيئا واضحا للغاية.

سألتها "أكان الأمر متعلقا بالساكن؟" وبدا علي أنني أعرف كل شيء. "لأنك رفضت الزواج منه؟".

Twitter: @ketab_n

هزت رأسها محاولة تجنب النظر إلي.

- "لا أعرف، لكن...".

توقفتْ ثم قالت "لقد حاولت العثور عليها ذات مرة".

- "دون أن تخبريني؟".

- "كنت مجرد طفل يا فين".

سألت نفسي هل كنت طفلا قبل هذا أم لا، لاحظت أن أيا منا لم يذكر الساكن باسمه الحقيقي منذ أن تركنا، في الحقيقة أنا كنت أعرف كل شيء طوال هذه المدة. كريستيان، كمساري الترام، البحار، صانع الأدوات، وعامل البناء، ورجل الاتحاد التجاري، صاحب الخيمة، وفيلسوف البلى والتمزق بمعطفه القطني كان مليئا بالحكايات والأسرار، ولم يكن هناك ما يجعلني أشك فيما توصلت إليه.

سألتني أمي "كنت تحبه، أليس كذلك؟".

- "لا أعرف؟".

- "لقد حاولت أن تحبه على أي حال".

أعتقد أنني فعلت هذا لأجلها. أما الآن فأنا أشعر أنه يجب علي إما أن أفعل كما فعلت هي وأومئ بقدر من الرضا وأقول إن كل شيء على ما يرام بالنسبة لليندا وأنهي هذا الموضوع، أو أن أذهب إلى غرفتي فأهشم المجهر ولوحة الشطرنج. لكنني لم أستطع القيام بأي من الأمرين.

قالت: "أعتقد أن عليك أنت أن تكتب لها، فأنت الشخص الماهر على الرغم من كل شيء".

- "وهل أقول لها إن مسألة أخذها من هنا ليست مهمة؟".

Twitter: @ketab_n

قلتها مهاجما أمي وندمت بعدها على الفور، حاولت تصحيح موقفي فقلت "بالتأكيد سأكتب لها، بالتأكيد".

قالت: "هيا نفعل هذا الآن" ونهضت كي تحضر ورقة وقلما.

وقفتُ للحظة وعيناي مثبتتان على كوب القهوة الذي وضعته أمي على خطاب ليندا حتى لا يطير مع الهواء، وحتى تأتي ونكتب معا تبرئة أخيرة لنا. هذا ما اعتقدته أمي على الأقل. أما أنا فقد حدقت في البناية التي يسكن بها إيسي دون أن أحول عيني عنها وتساءلت هل أنا حقا مستعد لاكتشاف ما إذا كنت قد دافعت عن ليندا يومها لأن هذا هو الصواب، أم أن ما فعلته كان لإرضاء رغبة ما بداخلي.

Twitter: @ketab_n

.....

بطاقة فهرسة

كوفاليك، أورشولا.

امرأة للبيع / أورشولا كوفليك ، ترجمة خالد البلتاجي. – ط1.القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2013
- ص؛ سم.

تدمك 9789773191702

1 – القصص السلوفاكية
أ - البلتاجي خالد (مترجم)
ب- العنوان 891,873

Twitter: @ketab_n

"أم وابنها يبحثان عن ورق حائط لمنزلهما بسعر رخيص، صورة قد تراها في أي مكان في العالم! فما هو الجديد؟الرواية تصور حياة أسرة نرويجية- ام وابنها، فيها من ألوان السرور وصنوف الشقاء ما تمر به أي أسرة أينما كانت، وإن اختلفت المقادير.

غير أن الجديد في هذه الرواية أن الراوي ليس إلا .. طفلاً صغيراً! وهو يرى العالم بصورتة الخاصة، بعيني الطفل وعقل المحلل، ويدرك أكثر مما تظن أمه أنه يدرك.

سيأسرك هذا الراوي الصغير بعينين يقظتين وحساسية مرهفة وتحليل منطقي أكثر مما تتوقع، ويأخذك إلى مواطن لم تكن لتظن أن طفلا في الخامسة قد ينتبه لها، أو يحللها هذا التحليل.

في يوم من الايام تأتي فتاة صغيرة بحقيبتها الزرقاء لتعيش معهم، وحينها هياتهم تنقلب رأساً علي عقب.فين حين يحكي عن عالمه تستشعر كأنه العالم بأسره منعكسا في عيني الصغير. ولعلك تذهل إذ ترى كيف أنك مع تعاقب الفصول تزداد انجذابا للقصة كما لو أنها تحدث في المنزل المجاور لك وليس في النرويج ، بل ربما أقرب من ذلك.

وستتعرف أكثر علي النرويج وعلي الطبيعة البشرية.

تصميم الغلاف: محمد سيد

ISBN 978 977 319 165 8

9 789773 191658 >

العربي للنشر والتوزيع

66 شارع القصر العيني 1145 - القاهرة

ت: 27954529 - 27921943 فاكس: 27947560

Email: alarabi5@link.net